العدد الثالث شوال ١٤٢١ هـ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١ م

أدوماتو
Adumatu

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي



اهداءات ٢٠٠٣

مؤسسة عبد الرحمن السديري
المملكة العربية السعودية

قواعد النشر

١- يقدم البحث باللغة العربية أو الانجليزية مطبوعاً على ورقة A4 ومرفقاً به قرص مغنط مقاس ٣,٥ بوصة ويفضل أن يكون مطبوعاً على برنامج مايكروسوفت ورد ٦ أو أحدث، ويكون متوافقاً مع أجهزة (IBM).

٢- يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على ١٠٠ كلمة.

٣- يشترط ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد قدم للنشر في أي وعاء نشر آخر، كما لا يجوز إعادة نشره كاملاً أو جزئياً إلا بإذن خطي من هيئة تحرير المجلة.

٤- يجب ألا يتجاوز حجم نص البحث خمسة آلاف كلمة، وبحيث لاتتجاوز نسبة الأشكال التوضيحية أكثر من ٣٠٪ من حجم البحث.

٥- ينبغي أن تكون الصور غير ملونة ومطبوعة على ورق لماع وأن تكون ذات جودة عالية ومناسبة للنشر.

٦- تقدم الخرائط واللوحات والأشكال على ورق شفاف (كلك) مرسومة بالحبر الصيني، وترفق التعليقات الخاصة بها في ورقة منفصلة.

٧- توضع إحالات المراجع المذكورة في داخل النص في نهاية الجملة بين قوسين على النحو التالي: (الجاسر ١٤١٧ : ١١)

٨- توضع الهوامش (التعليقات) في نهاية البحث، وتليها المراجع مرتبة ألفبائياً وبحيث تتبع الطريقة التالية في رصدها:

أ- **الكتب**: إسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر، **العنوان**، دار النشر، مكان النشر، (وفي حالة وجود أكثر من مؤلف فتكتب بقية الأسماء مرتبة بشكل عادي).

ب- **الكتب المحررة**: اسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر، اسم المحرر، "عنوان البحث"، اسم الكتاب، صفحات المقال، مكان النشر.

ج- **الدوريات**: إسم العائلة، الإسم الأول، سنة النشر "عنوان المقال" **اسم الدورية**، العدد، الصفحات.

د- **الرسائل العلمية**: إسم العائلة، الإسم الأول، السنة، "عنوان الرسالة"، نوع الرسالة العلمية، القسم، الجامعة، المدينة، البلد.

٩- تمنح المجلة الكاتب خمساً وعشرين مستلة من بحثه، إضافة إلى نسخة من العدد.

١٠- أصول البحوث والمقالات التي تصل المجلة لا ترد أو تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

١١- يرفق مع البحث سيرة ذاتية مختصرة عن الكاتب وعنوانه الحالي.

الاشتراكات

(عددان سنوياً شاملاً أجور البريد)

في العالم العربي:

الأفراد	٧٠	ريالاً سعودياً
المؤسسات	١٢٠	ريالاً سعودياً

خارج العالم العربي:

الأفراد	٣٠	دولاراً أمريكياً
المؤسسات	٤٠	دولاراً أمريكياً

(قسيمة الاشتراك داخل العدد).

المراسلات

مجلة أدوماتو
ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠٣٦٧٨٠ / ٤٠٣٤٧٥١ (١) (٩٦٦+)
فاكس ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)
بريد إلكتروني: adumatu@suhuf.net.sa
الموقع على الانترنت: www.adumatu.com

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية: ٢٠/٣٧١٩
الرقم الدولي المعياري (ردمد): ٨٩٤٧ - ١٣١٩

مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية: أسسها الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري، أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ إلى ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م إلى ١٩٩٠/١/٢٧م، بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها سنة ١٣٨٣هـ، المعروفة باسم دار الجوف للعلوم، والإسهام في حفظ التراث الأدبي والإرث الحضاري في منطقة الجوف، ودعم النهضة العلمية فيها وأعمال خيرية أخرى. وتأمل مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية أن تسهم مجلة أدوماتو في التعريف بآثار منطقة الجوف، وتسليط الضوء عليها، ضمن اهتمامها الواسع بآثار الوطن العربي.

• صورة الغلاف: منظر لسوق قرية الفاو.

بسم الله الرحمن الرحيم

أدوماتو
Adumatu

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي

النـــاشـــر

مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية

أدوماتو
Adumatu

الهيئة الإستشارية

المحتويات

افتتاحية العدد

ها نحن، أيها القارئ الكريم، نقدم لك العدد الثالث من مجلتك "أدوماتو"، التي جعلنا نصب أعيننا أن تضم في كل عدد باقة من الأبحاث الرصينة في مستواها، العميقة في محتواها، المنهجية في توجهها، العلمية في مبتغاها. ولا أظن إلا أننا قد وصلنا إلى هدفنا، أليس كذلك؟ إن مقياس قناعتنا بهذا، هو انتشار المجلة بين القراء، وردود الفعل والأصداء الواسعة، التي وصلنا رجعها من خلال قنوات كثيرة، لعل أهمها الإنترنت؛ فلقد تكاثر الواردون على موقعنا، لأنهم يجدون مورداً جديداً يتعطش الباحثون ، عن آثار العالم العربي إلى مثله، للارتواء بأحلى ما يمكن أن يبل ظمأ الظامئين. "والمورد العذب كثير الزحام".

******

كنا في ضحى يوم الخميس ١٦ جمادى الآخر ١٤٢١ هـ ، الموافق ٢٠٠٠/٩/١٤م، في جمع من الأحباب، عندما دخل علينا أحد الزملاء وقال: "ألم تسمعوا آخر خبر؟" وكنت أظن أنه خبر له صلة بقضيتنا فلسطين، وانتفاضتها المذهلة؛ ولكنه استرسل قائلاً: "لقد مات الجاسر في الولايات المتحدة الأمريكية". فأصابنا جميعاً وجوم عميق، وأضاف قائلاً: "وسيصل جثمانه غداً الجمعة". وعلق كل واحد منا بما تيسر له من الحديث في هذا المقام، وانفض اجتماعنا .

لقد كان مشهد جنازته رهيباً، حضره أخصاؤه ومحبوه، وكم هو مشهد قاس أن تشهد علماً من الأعلام يدفن في التراب، نعم في التراب !! وسكب محبوه العبرات، ودعوا له بالرحمة والغفران، وعزى بعضهم بعضا، وتفرق الناس. أما أنا فبقيت بعض الوقت، أتفكر في هذه الدنيا! لقد كان الجاسر أباً ، لكل من يشعر أن فيه نفحة من علم له صلة بجزيرة العرب، يتقرب إليه ، ينصحه ، يساعده، يرشده، يوجهه، يشركه في أفكاره، يشيد به. واليوم يقابل ربه، بعد أن منحه الله عمراً مديداً، قارب المائة عام.

******

مما تكرر وعرف عن الشيخ حمد، أنه ولد في قرية البرود سنة ١٣٢٨ هـ فإذا كان ذلك صحيحاً ، فإنه قد دخل عقد التسعين، عمراً مديداً متعه الله فيها بالعلم والمعرفة، فجاهد قرابة نصف قرن في التعلم والتحصيل والبحث عن الرزق، بالكتابة في الصحف، ونقد الأبحاث والكتب المنشورة، وأنشأ بذلك حواراً علمياً ، بينه وبين مجموعة من العلماء؛ ثم بدأ في التأليف ، فكان أول مؤلف له هو كتاب: "الرياض عبر أطوار التاريخ" ، وذلك سنة ١٣٨٦ هـ ، الموافق ١٩٦٦م، أي إن عمره في ذلك الوقت، كان قرابة ستين عاماً. وبعد ذلك تدفق الرجل العالم سيلاً جارفاً، من الكتب المحققة والمؤلفة، عن الأماكن في الجزيرة العربية، والرحلات العلمية، في مجالات ، لعل أهمها ، التاريخ والأماكن والرجال والأدب، شعراً ونثراً، أبحاث تتحقق فيها جميعاً منهجية علمية، وذلك بعد أن كافح كفاحاً مريراً ، في سبيل إصدار مجلة تحمل اسم الرياض، وبعدها أنشأ مؤسسة اليمامة؛ ولذا يعد الرائد في تأسيس الصحافة في نجد. فأصدر "اليمامة" مجلة، ثم أصدر مجلة العرب، واكتفى من العمل الصحفي بهذه المجلة الموسوعة، عن الجزيرة العربية؛ أنساباً وتاريخاً

ومواقع وأدباً وتحقيقاً. وقد أعطى من خلالها الشئ الكثير. وقد انتقل إلى رحمة الله ، والمجلة لا زالت في ريعان شبابها، أي لا زالت تتمتع بعقد الثلاثين ربيعاً.

******

ولعل ما يذكر هنا، أنه بدأ تأليفه بكتاب عن الرياض، وختم حياته بكتاب عن البرود، قريته التي ولد فيها، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وفيه تحدث بشكل خاص عن نسبه ، والقبيلة التي ينتمي إليها، وهي قبيلة حرب، التي انتقل جزء منها قبل مائتي عام إلى نجد من المدينة المنورة. وقد نالت منطقة المدينة المنورة من نشاطه العلمي ، الشئ الكثير.

رحم الله أبا معن، فقد كان معيناً عذبا دفاقاً لاينضب؛ كريماً سخياً حيث كانت داره (دارة العرب) ، في حي الورود بالرياض، قبلة الفضلاء من أهل العلم، الذين يفدون إلى المملكة. فقل أن تجد ذا علم، إلا ويجعل ضمن جدول زياراته في الرياض، السلام على حمد الجاسر.

******

وبفراق حمد الجاسر لهذه الحياة الفانية، نكون قد فقدنا علماً ، كان من أوائل من جرد قلمه للدفاع عن الجزيرة العربية، ضد أفكار الدكتور كمال الصليبي في كتابه: "التوراة جاءت من جزيرة العرب" . وقد تناول الجاسر، رحمه الله، تفنيد آراء الصليبي، ودحضها من الناحيتين التاريخية والجغرافية، كما لمس الجانب اللغوي فيها أيضاً. ولم يكن الجاسر يظن أن أفكار الصليبي ، سوف تتسرب إلى ذاكرة الشباب العربي، وتصبح جزءاً من حوارات النشء الجديد في مجالسهم، وكأنهم يكتشفون شيئاً جديداً، بل وكأنهم لم يقرأوا حقائق التاريخ. فقد زارني أحد شباب الخليج قبل أيام ، وكانت كل أسئلته عن تاريخ الجزيرة العربية، وعن حقائق التوراة، كما رواها الصليبي ولوى عنقها لياً، لكي تتسق مع نظريته.

ومن خلال المناقشة، لاحظت تشرب الشاب لأفكار كمال الصليبي ، خاصة أنه قبل الزعم القائل إن سيدنا إبراهيم الخليل – عليه السلام – من منطقة ما في الجزيرة العربية، وأنه لم يكن في العراق ، ولم يمر بفلسطين، ولم يزر مصر، ولم يتزوج فيها ! بل يذكر أن مصر هي مكان ما، يقع في شمال الجزيرة العربية ، وغيرها من المزاعم المعنية بالقضية الفلسطينية، ففي تلك الندوة ، جعل المتحدثون أصل سيدنا إبراهيم – عليه السلام – من عسير، وأنه كان يغدو ويروح منها إلى مكة وبالعكس ، وهكذا بقية المنظومة الفكرية الشريرة، التي غرس بذرتها الصليبي.

******

ومما يؤسف له، أن أفكار الصليبي، لم يلتفت إليها العلماء المتخصصون في التاريخ القديم، في ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر، ذلك إن مجريات الأحداث في تلك المناطق، سواء منها ما جاء نتيجة للتنقيبات الأثرية، أو ماورد في الكتب السماوية، تسير في اتجاه لا يلتقي أبدا مع توجهات الصليبي، التي لم نكتشف بعد بواعثها. فقد كان خلواً من أي معلومات عن تاريخ الجزيرة العربية، وظهر ذلك بجلاء عندما حضر الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة

العربية، التي عقدت في رحاب جامعة الملك سعود سنة ١٩٧٩م. فقد ألقى بحثاً مجملاً عن حضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام، فتعرض لنقد شديد من الحاضرين، خاصة من المختصين من غير العرب . فاعترف أمام الأشهاد، بجهله التام بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، وأنه يعد بكتابة دراسة متعمقة في موضوعه، وأسف لما حدث منه. وهذا يدل على أحد شيئين: إما أنه لم يكن يظن أن مستوى الندوة سيكون على مستوى الندوات في الغرب، ولذا استهان بالبحث، وهذا ليس من أخلاق العلماء؛ وإما أنه فعلاً، لم يكن يعي تاريخ الجزيرة، وهذا أيضاً لا يليق به كباحث يضع نفسه في مأزق مثل هذا، ومرت سنوات وإذا به يظهر علينا بهذا الكتاب، وتروج له إحدى كبريات المجلات الألمانية، ويترجم إلى عدة لغات. ألا نتوقف هنا هنيهة لنتبصر الأمر ؟؟!!!

******

وظهرت بعد ذلك كتب أخرى للمؤلف نفسه، تسير في الإتجاه نفسه. كما ظهرت كتب أخرى لغير كمال الصليبي، أحدها عنوانه "بلقيس" ، لمنى زيادة. وفيه بث بعض أفكار الصليبي. وتلقف "سيد القمني" طريقة تفكير الصليبي، في مجموعة من الكتب ، لعل أوضح ما فيها محاولة إعادة تفسير كثير من الحقائق الدينية، وربطها بالوثنية العربية قبل الإسلام؛ مثال ذلك جعله معبود سبأ "المقه"، هو الذي تحول في ما بعد إلى كلمة "مكة" !! وفي هذا ما فيه من غمز لقناة التوحيد.

******

وثالثة الأثافي ذلك الباحث المصري، الذي يقبع في لندن، ويصدر بين الفينة والأخرى كتباً، تقدم تاريخ مصر القديم وملوكها على طبق من ذهب ، هدية إلى من يدعون أن لليهود حقاً في الحضارة المصرية. فقد جعل بعض ملوكها هم أنبياء بني إسرائيل، مما لم تأت به لا التوراة ولا القرآن الكريم، ولا صحائف التاريخ المسجلة، في مواقع تنقيبات الحضارة المصرية العريقة !! ومن عجب إن هذا الباحث، تترجم كتبه إلى اللغات الأجنبية، وتفسح له الصحف العربية صفحاتها في كل اتجاه! على الرغم من أنه تناول آثار الجزيرة العربية وتاريخها على طريقته، فأصبح يجمع أشتاتاً من هنا وهناك، فتقرأ ما يكتبه فلا تفهم ما يقول !! إن هي إلا كتابة من غير متخصص، يضر ولا ينفع.

وهكذا بدأت جوقة الظلام تخرج من جحورها لتبث سمومها ، في مرحلة ضعفت فيها اليد العربية، وفي هذا لفت لأنظار المجتمع عما هو أهم، إلى ما هو من سفاسف الأمور. ولا أدري لم لا يوجه هؤلاء، بما أوتوا به من قدرة على الجدل والحوار، نشاطهم إلى دحض أباطيل المعتقدات ، التي بنت عليها إسرائيل حقها في الاستيطان في أرضنا، وأرض إبراهيم وسليمان وغيرهما، بدلاً من إصرارهم على أن هؤلاء الأنبياء جاءوا من جزيرة العرب؟

كم كنا سنفخر لو أن هؤلاء الأنبياء جاءوا حقاً من جزيرة العرب، ولكن حقائق العلم تاريخاً وآثاراً وكتباً مقدسة، لا تعطي لهذا الاتجاه قوة وبرهاناً وتصديقاً لما يرمون إليه. فهل يمهد هذا الاتجاه لكوارث سوف تعم المنطقة، أشد مما نحن فيه ؟ تلك هي الأماني التي يدبر لها من يدبر، فهل لعلمائنا في العالم العربي أن يعيدوا النظر في التغافل ، عما يظنونه فقاقيع لابد لها أن تتلاشى ، عاجلاً أو آجلاً ؟!!!

رئيس هيئة التحرير

دراسات ما قبل التاريخ في وادي النيل (السودان ومصر): ملاحظات حول المنهج والنظرية

يوسف مختار الأمين

ملخّص: تتناول هذه الورقة تاريخ أبحاث ما قبل التاريخ في السودان ومصر، منذ بداية القرن الميلادي الماضي، من خلال استعراض نقدي للأعمال الآثارية المهمة، التي أنجزت، وذلك في محاولة لتقصي طبيعة هذه الدراسات من عدة جوانب، منها الأساليب المنهجية المتبعة، والأفكار التي شكلت الإطار النظري لها. وفي إطار التحليل النظري للتيارات الفكرية والمنهجية، التي انتظمت علم الآثار عالمياً، يحاول البحث رصد اتجاهات مماثلة لها في دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل، ومدى اتصالها بتلك التيارات. وقد اقترح الباحث ثلاث مراحل لتطور الأبحاث في هذه المنطقة، لكل واحدة منها سماتها المنهجية، ومنطلقاتها الفكرية. وقد اتضح أن هذه التوجهات المرحلية، في أبحاث ماقبل التاريخ في السودان ومصر، تقترب من التيارات المنهجية والفكرية العالمية أحياناً، وتختلف عنها أحياناً أخرى. ومن جهة أخرى،فإن سماتها الحالية لاتؤهلها بأن توصف "بالنماذج الإرشادية"، كما حددها فلاسفة العلم. كما ناقش الباحث أيضاً الصعوبات، التي تواجه الباحثين في المنطقة وإمكانية تجاوزها.

***Abstract.** Surveying the most important archaeological research carried out by foreign expeditions on prehistoric Sudan and Egypt since the beginning of the last century, this paper presents a critical assessment of the methodological and theoretical orientations of that research. In doing so, the study seeks to establish trends in research on prehistoric Nile Valley and evaluate them in the light of the major intellectual developments in modern archaeology worldwide. The paper identifies three stages of development in the archaeological research in this area; each has its own methodological characteristics and ideological underpinnings. The trends so described, sometimes approximate universally recognized methodological and theoretical trends, while at others they branch off. Still these stages of developments fall short of constituting sustained paradigms. The paper also addresses the difficulties researchers may face in the area and suggests ways of overcoming them.*

تتناول هذه الورقة تاريخ البحث الآثاري، الخاص بفترة ماقبل التاريخ في وادي النيل، من بداياته الفعلية المتمثلة في المسح الميداني والتنقيب، منذ أوائل القرن الماضي، ومن خلال السرد التاريخي لهذا النشاط العلمي، يحاول الباحث رصد السمات المنهجية والفكرية، التي انتظمت الأعمال البحثية الرئيسية، التي أنجزت. والهدف الأساس من ذلك، هو النظر في تشكل المناخ الفكري، الذي جرى في إطاره وأجوائه البحوث، حيث تتحدد ملامح مستقبلها. ومن المعروف صعوبة معرفة ملامح البحث الآثاري عموماً، كغيره من العلوم الإنسانية، إلابتقصي منابع التوجهات وأصولها، التي انطوى عليها ذلك النشاط العلمي. وكما سيتضح في ثنايا هذه الورقة، فإن دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل مرت بمراحل مختلفة، يتفاوت فيها الاهتمام بهذه الفترة من التاريخ البشري في المنطقة، صعوداً وهبوطاً، وذلك لأسباب مختلفة ففي النصف الأول من القرن الماضي، كان يُنظر لوادي النيل كمنطقة بعيدة عن بؤرة التطور الثقافي في ما قبل التاريخ، ليس لها مساهمات تذكر في مجرى الأحداث الحضارية المهمة.

العدد الثالث شوال ١٤٢١هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١م
(ص ص ٧ - ٢٨) ردمد: ٨٩٤٧ - ١٣١٩

ولم يحدث تغيير يذكر في مثل هذه الأفكار، إلا خلال المرحلة الرئيسية الثانية من تاريخ الأبحاث الآثارية في المنطقة، التي بدأت بحملة إنقاذ آثار النوبة (١٩٥٩ - ١٩٦٥م). لقد كان لهذه الحملة العلمية بالغ الأثر في تاريخ البحث الآثاري عموماً في وادي النيل. فقد كشفت عن أهمية المنطقة حضارياً، وكانت نتائجها نقطة مفارقة في تاريخ البحث الآثاري في فترة العصور الحجرية، في كل من مصر والسودان. وبفضل هذه الأبحاث، صار ينظر إلى منطقة شمال شرق أفريقيا على أنها مركز إشعاع حضاري، خاصة بعد أن تسارعت وتيرة الأبحاث الميدانية المكثفة، التي قامت بها مجموعات من العلماء من مناطق مختلفة من العالم، كانت نتائجها -هي الأخرى- ذات دلالات علمية عميقة. ويعد وادي النيل (السودان ومصر) اليوم، بفضل هذه الجهودات العلمية، من أكثر أودية الأنهار في العالم حظاً في البحث والتنقيب، في آثار العصور الحجرية. ويتضح ذلك من وفرة الأدبيات المنشورة، من مجلدات وكتب وتقارير ودوريات متخصصة ووثائق مؤتمرات منتظمة، حول فترة ماقبل التاريخ. وقد أصبح من الضروري الآن البحث في طبيعة هذه الدراسات، والتدقيق في مناهجها وأطرها الفكرية. فمما لا شك فيه أن كل إنتاج أكاديمي، يعتمد على مادة امبريقية أو غيرها، لابد له من منهج لإجراء الدراسة، وكذلك فكرة أو نظرية يستهدي بها الباحث، ويفسر من خلالها الظواهر الثقافية. إن تتبع هذه المناهج والنظريات يعني ببساطة، إننا نبحث في تاريخ ذلك العلم. فما معنى تاريخ الأبحاث في مجال علم الآثار وأهميته إذن؟

أهمية تاريخ البحث الآثاري :

هناك شبه اتفاق بين علماء الإنسانيات، على ضرورة رصد تاريخ النشاط العلمي وتحليله في كل فرع من فروع العلوم الإنسانية،من منطلق أهميته في معرفة تفاصيل واقع النشاط الأكاديمي فيه.

هذا الواقع ينعكس في النظريات والمناهج، التي يتبناها الوسط العلمي، ومن ثم تتحكم في إنتاجه لفترة من الزمن. وبتتبعها يمكن تخطيط البحث المستقبلي، بطريقة تؤمن نجاحاته في الأهداف والتصورات، التي يضعها العلماء. ففي علم الآثار مثلاً، يتناول مؤرخو العلم النشاط البحثي الميداني من منظور عالمي، ويسجلون أهم الابتكارات المنهجية والنظرية، التي أدت إلى تطور العلم ،وترسيخ مبادئه الأساسية. وينظر هؤلاء إلى الأمر من عدة زوايا، مثل : رصد النظريات والأفكار، التي تميز كل مرحلة من مراحل تطور العلم وكيف ينظر العلماء إلى المادة الأثرية موضوع دراستهم، وامكانية الاستفادة منها في معرفة التاريخ الإنساني.

ويهتم العلماء بتحليل ظواهر المناخ الفكري السائد في المجتمع، عند إجراء البحث، لأنه من خلال ذلك المناخ يتشكل نموذج الدراسة من ناحية أهدافها، والمناهج المتبعة في تحقيق تلك الأهداف. فالتأويل - عادة - يخضع لقناعات واعتقادات فكرية وعملية، تتشكل في الإطار الفكري السائد في وقت إجراء البحوث. وكما يقول الفيلسوف والمؤرخ الآثاري كولنغوود، فإنه "لايمكن دراسة أي مشكلة تاريخية، دون دراسة تاريخ الأفكار التي وردت حولها ..."ويقول أيضاً : أن كل مشكلة آثارية تنبع من واقع حياتي .. وأننا ندرس التاريخ من أجل أن نرى بوضوح الموقف، الذي نتصرف فيه الآن " [(1)] (Trigger 1989 : 2). فإذا ألقيت نظرة سريعة على تاريخ علم الآثار الحديث تتضح مباشرة العلاقة بينه، كممارسة أكاديمية، وبين الأيدولوجيا والسلطة السائدة في المجتمع، الذي تنتج فيه المعرفة الآثارية.

وبما أن الهدف الأساسي لعلم الآثار كان - ومايزال- كتابة تاريخ الثقافة الإنسانية، وتفسير عمليات التطور والتغير فيه، فمن البدهي أن تستغل تلك المعرفة بتفاصيل التاريخ الثقافي في تحقيق بعض الأهداف الآنية للمجتمعات. ويكون استغلال هذه المعرفة لخدمة أغراض متعددة، يمكن تلخيصها في دورين : أحدهما إيجابي لمصلحة العامة، والآخر

لمصلحة فئات محدودة في المجتمع. فعلم الآثار يؤسس، مع تخصصات أخرى المعرفة الخاصة بتاريخ الهويات الثقافية ، وهي عادة ماتكون نقطة الانطلاق في تكوين الشرعية، التي تقوم عليها الأمة والسلطة ، التي تدير شؤونها. واستعادة الماضي، أي التاريخ الثقافي، والاستعانة به في تشكيل الحاضر، يتوقف بالدرجة الأولى على الأيدولوجيا السائدة، وعلى قدرة القوى الاجتماعية التي تتبناها. وعلى سبيل المثال ، يمكن أن نذكر مافعله الآثاريون في إسرائيل ، من إنتاج معرفة تؤكد - في نظرهم- أحقية المستوطنين اليهود في أرض الميعاد ، وإحياء العصبية اليهودية، ومن ثم إثبات الهوية الثقافية ، كما وردت في القصص التوراتي. وتمثل مواقع الآثار الكبيرة بالنسبة لهم قوة رمزية ساعدت في التوحد لتأسيس الدولة الوطنية، وأصبحت جزءاً مهماً في الفضاء الاجتماعي والسياسي والفكري الإسرائيلي، كذلك استفادت الأقليات ، من السكان المحليين في أمريكا واستراليا، من المعرفة الآثارية، للمطالبة بحقوقها التاريخية والثقافية ، واستعادة أمجادها القديمة.

وفي مناقشته للهوية الوطنية المصرية، لاحظ فكري حسن رسوخ التراث العربي الإسلامي، وما وفد من أوروبا حديثاً، في أذهان الناس، مما يشكل قطيعة بين الحاضر والماضي القديم ، المتمثل في الحضارة الفرعونية، على الرغم من أن الأخير يظل ورقة سياسية مهمة. وقد كان التاريخ الفرعوني مصدر قوة واعتزاز لدى المصريين، أيام مقاومة الاستعمار، ويظهر ذلك في خطب السياسيين ، وما كتبه مثقفو الطبقة الوسطى عن الهوية المصرية. وقد استدعى قادة ثورة ١٩١٩م هذا التاريخ، ومجدوا ماضي الأمة، التي كانوا يدعونها للنهضة. وقد كتب عدد من مشاهير الأدباء أعمالاً روائية مهمة، تستمد رموزها من ذلك التاريخ القديم، ولم يتراجع ذلك الاهتمام، إلا بعد نمو التيار القومي الحديث في الخمسينات من القرن الماضي (Hassan 1998a: 207) .

هذه أمثلة محدودة ، لعلاقة علم الآثار بالتيارات السياسية والفكرية في المجتمعات المعاصرة. إن البحث في تاريخ النشاط الآثاري في أي بلد ، لابد أن يكشف شيئاً عن مثل تلك العلاقة ، أو غيرها. ووفقاً لهذا الاتجاه، يبرز على السطح سؤال يتعلق بطبيعة المراحل، التي مرَّ بها علم الآثار، من ناحية مناهجه والأفكار، التي تؤطر أهدافه. فعلى سبيل المثال : هل هناك من رابط بين مناهج البحث الآثاري المطبقة ونظرياته ، على المستوى العالمي ؟ وهل يتخذ علم الآثار مرجعيته النظرية والمنهجية من العلوم الطبيعية والإنسانية الأخرى ، في كل مرة يظهر فيها تحول أو نقلة في تلك المعارف ، أم يبنى ذلك تدريجياً وبصفة تراكمية ؟ إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة تحيل إلى النظر في كتابات المتخصصين في تاريخ علم الآثار، الذين حاولوا رصد التيارات المنهجية المتعاقبة في العالم ، خاصة أوروبا وأمريكا على مدى مئتي سنة من العمل الآثاري [٢] .

وقد تأثر الباحثون في تاريخ علم الآثار بآراء فلاسفة العلوم ، الذين طرقوا -منذ أوائل القرن الماضي - موضوع ميكانزمات "آليات" حركة إنتاج المعرفة العلمية ، وأشكال وصيغ التقدم في العلوم . وقد ظهرت تيارات نظرية متنوعة، حول دراسة تطور العلم في إطاره التاريخي ، والثقافي والاجتماعي، يربط بينها فكرة التطور العلمي عن طريق تراكم التجارب . وانتقل هذا المفهوم إلى العلوم الاجتماعية، ومن بينها علم الآثار ، الذي تعود دارسو تاريخه على تفضيل فكرة التطور التدريجي واقتباس المناهج والنظريات، من مختلف ضروب المعرفة خلال مراحل تطورها المختلفة، ولم يهتم علماء الآثار، في واقع الأمر ، ولفترة طويلة ، بتطبيق نظريات صارمة في أعمالهم. وفي هذه المرحلة من تاريخ علم الآثار، تمكن العلماء من تثبيت المبادئ والأهداف الرئيسة لعلمهم، وحددوا بشكل عام كيفية تحقيقها. يبدأ ذلك من إجراء العمل الميداني، ودراسة المواد الأثرية المكتشفة وتحليلها ، معتمدين في ذلك على ماتقدمه العلوم الاجتماعية والعلمية ذات الصلة. وقد كانت الأداة

المنهجية الأساسية عند الآثاريين هي التصنيف، بطرائقه المختلفة التي بواسطتها يرصد الباحث أوجه الشبه والاختلاف بين المعثورات ، أو الظواهر الثقافية، وذلك بحصر السمات التقنية والشكلية المشتركة بينها. فالسمات المشتركة تؤخذ كمؤشر للإنتماء، إلى مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة. وقد عرف هذا الأمر آنذاك بما أطلق عليه "الثقافةالآثارية". وهي تعني ببساطة ذلك التاريخ الثقافي، الذي اعتمد في بنائه ومعرفته على الأسلوب الآثاري المذكور، لأن الهم الأساسي كان معرفة التاريخ الثقافي، ووضعه في جدول زمني يسمح بمقارنته مع غيره، من المناطق أو الثقافات المجاورة. وكانت المجاميع الأثرية المتشابهة تمثل لهذا الاتجاه منتجات مادية لمجموعة من الناس ، يشترك أفرادها في صفات ثقافية ، ومن ثم توصف بأنها مجموعات إثنية. وكان النموذج النظري، الذي وجد رواجاً في هذه المرحلة، هو مايسمى "بالتاريخية الثقافية"، حيث ينصب الاهتمام على رصد مواصفات الثقافة المعنية ، وتحديد خطها التطوري والمؤثرات التي تتدخل في عمليات التغير والتطور فيه (Trigger 1989:206,448) .

وقد كان للنظرية التطورية، المعروفة في العلوم الطبيعية ، تأثير كبير على هذا الاتجاه ، على الرغم من التعديلات التي أدخلت عليها، عند استصحابها في تفسير تطور الثقافة؛ خاصة أن اهتمامات علماء الآثار في هذه المرحلة كانت تتكيف مع ماهو ذائع من أفكار ومناهج علمية . وكانت هناك اتجاهات أو مدارس ، تركز بصفة رئيسة على أحد الجوانب الاقتصادية أو الفكرية أو البيئية، باعتباره يمثل العنصر الأساس في تطور المجتمعات القديمة (Ibid: 247-259) . ولكن لم توجد حتى الآن نظرية واحدة، تقيد المنحى العلمي الفلسفي في النشاط الآثاري . فالسمة العامة هي أن علم الآثار ظل انتقائياً في الجانب النظري ، إذا يأخذ الباحث مايراه نظرية مناسبة للحالة قيد الدراسة ، ويتخلى عنها في حالة أخرى.

وفي مرحلة التيار الحديث في علم الآثار، تعارف مؤرخو العلم على إطلاق مسمى "علم الاثار الحديث"، على تلك التحولات المهمة، البالغة التأثير، في العمل الاثاري، من ناحية المنهج والنظرية ، التي حدثت في الستينات من القرن الماضي. وقد بدأت هذه الحركة كمراجعة فكرية ونقدية ، لأهداف علم الآثار المعهودة ، والطريقة التي تعود علماء الآثار على اتباعها ، في تحقيق تلك الأهداف. ولايود البحث أن يتحدث عن ذلك التحول المنهجي والنظري بالتفصيل هنا . إذ يكفي أن يُذكر أن الحركة الجديدة توخت الاستفادة من كل منجزات العلوم الطبيعية الحديثة ، من وسائل للتأريخ، ومناهج لتحليل المواد العضوية والبيئية .. الخ. إضافة إلى اعتماد الفلسفة والمنطق في بناء الفرضيات واختبارها ، من أجل الوصول إلى استنتاجات معرفتها مطلوبة من المادة الأثرية.

وقد هدف علم الآثار الحديث، إلى جعل الممارسة الأكاديمية علمية ، قدر ما تعني تلك الكلمة من شروط، في استخدام الفروض النظرية واختبارها بطرق علمية، بهدف الوصول إلى أحكام عامة عن السلوك البشري في الماضي. كذلك بدأ الاهتمام الواضح في البحث الآثاري، بمراحل التغير الثقافي ، والعوامل التي تنظم حركة الثقافة وخط سيرها دون الاكتفاء بالوصف الذي هيمن على كل الأعمال الآثارية السابقة. وقد ظهر هذا التيار في وقت شهد تطورات عميقة في شتى ضروب المعرفة العلمية والإنسانية.

وقد كان هذا الموقف الفكري الجديد ، نتيجة لأسباب كثيرة، منها : التأثير المباشر لاطروحات فيلسوف العلوم توماس كُون ، التي نشرها في ذلك الوقت عن نظرية التطور العلمي [٣] . فهو صاحب فكرة الربط الوثيق بين فلسفة العلم وتاريخه، عن طريق تتبع منهج الدراسة، وقد طرح من خلال مناقشته ، لما أسماه بنية الثورات العلمية، فكرة "النموذج الارشادي" (Paradigm) ، في محاولة منه للتشكيك في نظرية التطور العلمي عن طريق التراكم. فالنموذج الارشادي، ببساطة يعني مجموعة نظريات ومناهج معتمدة لدى المجتمع العلمي

ويشترك فيها كل العلماء . وفي مرحلة سيادة "نموذج ارشادي" ما، يظل التطور العلمي تراكميا، إذ يجري تحسين النظريات القديمة بغيرها، لتواكب الملاحظات العلمية الطارئة. وخلال ما اسماه الثورة العلمية، أي مرحلة التغير ، يلاحظ العلماء أشياء جديدة لم تكن مألوفة لديهم لاتستوعبها النظريات الموجودة. ويحدث تحول جذري يتطور في شكل نموذج مغاير ، وتختلف الرؤية من ناحية العلاقات الجديدة التي يكشفها النموذج الفكري الجديد، فهي تعكس تغيرات جذرية ، تُحدث قطيعة بين القديم والجديد . وعندما ينزوي نموذج ، يحل محله نموذج آخر. والنماذج الإرشادية الجديدة "ليست نتيجة منطقية أو تجريبية للنظريات السابقة". ففي كل مرحلة تظهر ثورة علمية ، تكون السيادة فيها لنموذج إرشادي ، يهيئ للعلماء تقليداً متماسكاً لإجراء البحوث العلمية ، ثم يحل محله نموذج آخر في المرحلة التالية . وهكذا الحال على مدى مسار التطور التاريخي للمعرفة ، وفي كل الأحوال فإن نتائج التحقيق المنهجي نسبية وغير ثابتة . وأن الأفكار التي تقبل عالمياً هي التي تأخذ صفة النموذج الإرشادي . وهكذا فالتقدم الحقيقي في العلوم يأتي في مرحلة التحولات الأساسية في النماذج الإرشادية ، واحلال نموذج مكان آخر (كُون ١٩٩٢ : ٤٥-٥٢ ، ١٣٤ ، ٢٢٧-٢٣٠) .

ظهر تأثير أفكار كُون في أدبيات علم الآثار الحديث منذ السبعينات، خاصة تلك التي كانت تدعو إلى إعادة النظر في تاريخ علم الآثار، وفي النظرية التاريخية الثقافية ، التي تشكل المحور الأساس في الدراسات الآثارية ، كذلك أثرت في الدعوة الى تبني مناهج جديدة في الاستنتاج ، والتركيز على قضايا حركة الثقافة وديناميتها ، ومن جهة أخرى أوضحت القصور الذي أصاب توجهات البحث الاثاري نتيجة ابتعاده عن مناهج العلوم التجريبية وفقدانه لنظرية متماسكة توجه الأبحاث فيه ويقول ديفيد كلارك ، أحد أعلام التيار الحديث في علم الآثار ، أن علم الآثار ظل حتى ظهور أفكار توماس كون ، "منهجاً امبيريقياً (تطبيقياً) غير ممنهج " (Trigger 1989: 50) .

تعرضت أطروحة كون لنقد ومراجعة من قبل فلاسفة العلوم. ولكن بعض الاثاريين المحدثين رأوا أن المراحل التي مرّ من خلالها علم الآثار ومافيها من المناهج والنظريات المتماسكة يؤهلها لأن تصبح نموذجاً إرشادياً . وعلى الجانب الآخر ظل عدد كبير من الآثاريين على اعتقادهم بأن الحال في علم الآثار لا يماثل العلوم الطبيعية التي وضع كون نموذجه عليها. ويعتقد هؤلاء أن التطور في المنهج والنظرية في علم الآثار ، كان تراكمياً ومتدرجاً عبر فترة زمنية طويلة ، وليس فيه ما يوحي بثورة أو انتقال مفاجئ في موجهات البحث الآثاري. إن أقرب احتمال لاطروحة كون ومناسبتها في علم الآثار، هو عندما نتبين أن التفسير الآثاري لم يتطور في اتجاه أحادي ، وإنما حدث نتيجة لمؤثرات من معارف شتى . وهكذا فإن النماذج الإرشادية المتغيرة هذه، قد تنبه الباحثين إلى مجالات وآفاق بحثية لم تكن موضع اهتمامهم.

ومهما يكن من أمر تأثير أطروحة كُون في علم الآثار الحديث، فإن التأثير الذي بدأ كحركة نقدية للمدرسة التاريخية - الثقافية ومناهجها، تفجر في سيل من فروع المدارس الفكرية خلال عقدين فقط من الزمان لكل واحد منها توجهاته النظرية والمنهجية، التي انتهت الى محورية شديدة في البحث الآثاري.

وبعد فترة وجيزة تعرض التيار العلمي الجديد، الذي يسعى إلى تفسير التغير الثقافي من خلال رصد حركة الثقافة وإصدار أحكام أو قوانين عامة عنها، إلى نقد شديد ، وكان النقد منصباً على أن هذا التيار يركز كثيراً على الجوانب المادية في حياة الإنسان، وينظر إلى الثقافة من خلال التكيف على البيئة، وذلك من منظور النظرية الوظيفية، التي عرفت في الانثروبولوجيا منذ الثلاثينات في القرن الماضي ، وقد كان دعاة التيار الحديث أكثر تفاؤلاً في تقديراتهم، لما يمكن أن يتحقق من الأهداف التي طرحوها، إذ إن بعضها لايضع في الاعتبار إشكالات المادة الأثرية،

ومايترتب على ذلك من تطبيقات للمناهج الجديدة، ومهما يكن من أمر فقد توفرت لعلم الآثار لغة خاصة ، ذات عبارات دقيقة تقترب من لغة العلوم الطبيعية. ومن الفكر الذي وجد رواجاً بعد ذلك البنيوية ، ثم الوظيفية -البنيوية، الماركسية المحدثة ، والنظرية النقدية. وأصبحنا الآن نقرأ عن علم الآثار الجنساني (Gender Archaeology)، وعلم الآثار المعرفي (Cognitive Archaeology) ، ضمن مسميات أخرى. وقد تراجع أخيراً بعض الفكر النظري في علم الآثار إلى الدعوة إلى المدرسة "التاريخانية المثالية" التي تركز على الظرف الاجتماعي الذي تكونت فيه الظاهرة الثقافية قيد الدراسة (Renfrew and Bahn 1991: 405-434) . وفي ضوء هذه المعلومات الموجزة عن الوضع المنهجي والنظري في علم الآثار في الوقت الحاضر، ننظر إلى دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل ، وذلك لأمرين : أولهما ، لنرى ما إذا كان في هذه الدراسات مراحل محددة المعالم، يمكن تمييزها على أسس توجهات نظرية ومنهجية ، وثانيهما لنرى مدى تأثرها بالتيارات الحديثة في علم الآثار آنفة الذكر.

دراسات ماقبل التاريخ في وادي النيل :

تعّرف العلماء على وجود الإنسان، خلال عصور ماقبل التاريخ في وادي النيل ، منذ القرن التاسع عشر ، ولكن جمع المواد الأثرية الدالة عليه ، من مواقع هذه الفترة ، لم يبدأ بصورة فعلية إلا مطلع القرن الماضي ، ومنذ ذلك الوقت مر تاريخ البحث الآثاري عن هذه الفترة بمنعطفات، فتارة تنشط الأبحاث، وتنقطع تارة أخرى ، حتى نشطت بصفة شبه دائمة، بعد حملة إنقاذ آثار النوبة (١٩٥٩- ١٩٦٥م) . كما لاتوجد دراسة مفصلة عن طبيعة أبحاث ماقبل التاريخ ومناهجها ، إلا مايرد عنها في شكل موجز ومقتضب، ضمن مقدمات التقارير والمؤلفات ، التي تحوي نتائج المسح والتنقيب في حقب ما قبل التاريخ ، في مصر أو السودان. وقد كتب آدمز مقالا ناقش فيه تاريخ البحث الآثاري في السودان وذكر أنه يمكن تقسيمه إلى أربع مراحل متعاقبة ، تمثل كل واحدة منها نموذجاً إرشادياً متوافقاً مع الوصف ، الذي طرحه كُون من قبل. ويرى آدمز أن هذه النماذج الإرشادية في البحث، تعكس متغيرات الأحوال السياسية، خلال فترة الحكم الأجنبي وما بعده. وفي الوقت نفسه حدد شكلها التقدم في المنهجيات والتخصص المهني، الذي حدث في علم الآثار، هذا إضافة الى التغير الذي طرأ في نظرة الغرب إلى أفريقيا وشعوبها من ناحية فلسفية. وكان أول هذه النماذج التي اقترحها آدمز، هو الذي يحمل الأفكار التي سادت في القرن التاسع عشر، وسماه نموذج "القطف"، أو جمع الآثار دون موجهات علمية تذكر. والثاني نموذج ماسماه بمرحلة "الاستعمارية المستنيرة" وهي الفترة التي شهدت ميلاد البحوث حول أصول الحضارة المصرية القديمة في شمال السودان . والثالث نموذج ما بعد الاستعمار، والرابع هو النموذج الوطني (Adams 1981)، ومن الملاحظات التي تؤخذ على هذا التقسيم ، أنه لم يشتمل في مادته على الأبحاث التي أجريت عن فترة ماقبل التاريخ ، إذ حصره المؤلف في الآثار التاريخية. ومن جانب آخر، لم يبين بصورة واضحة الفروق الفكرية أو المنهجية بين المرحلتين الثالثة والرابعة. كذلك يمكن الإشارة الى أن النظرية التاريخية الثقافية، كانت بارزة في معظم الأعمال الرئيسية، التي تمت في الدراسات الآثارية في السودان على اختلاف مراحلها ، وما خرج عليها يعد في حكم النادر. وسيتضح عند مناقشتنا لأبحاث ماقبل التاريخ في الصفحات التالية صعوبة تطبيق فكرة النموذج النظري الإرشادي الواحد الذي تنتظم فيه معظم الدراسات.

بعد مراجعة نتائج دراسات ماقبل التاريخ في السودان ومصر تبين أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل رئيسة ، تمثل كل واحدة منها عدداً من الاتجاهات المنهجية والنظرية. كذلك، يلاحظ أن النظرية السائدة في أي من هذه المراحل الثلاث، لم تختف مرة واحدة ، بدليل التداخل النظري بين المراحل، كما أن كثيراً من الأفكار الحديثة السائدة في الأبحاث

العالمية اليوم، لم تنعكس بطريقة مكتملة في المرحلة الثالثة، كما سيأتي ذكره. ويرتكز التقسيم الثلاثي المقترح على أساس طبيعة المناهج الميدانية ، والطرق المتبعة في دراسة المعثورات، والآراء التي تبناها العلماء في تفسيرهم لتطور ثقافات العصور الحجرية في المنطقة ، في إطار ما هو معروف في الدراسات العالمية المماثلة. فالمرحلة الأولى تغطي الفترة منذ بداية الأعمال الميدانية الفعلية عند بداية القرن الماضي حتي العام ١٩٦٠م ، حيث تبدأ المرحلة الثانية مع حملة إنقاذ آثار النوبة ، التي تعد نقطة مفارقة في تاريخ البحث الآثاري عموماً في المنطقة. أما المرحلة الثالثة فهي التي شهدت الأعمال، التي أعقبت تلك الحملة من العام ١٩٧٠ م تقريباً ، حتى الآن . ومن أجل تحديد ملامح هذ التقسيم نتناول كل مرحلة على حدة .

المرحلة الأولى :

على الرغم من أن البحث عن مواقع ماقبل التاريخ، لم يبدأ بصورة علمية منتظمة إلا في العقدين الأولين من القرن الماضي، إلا أن وجود المعثورات الأثرية من هذه الفترة، تم تسجيله بواسطة عدد من الرحالة المستكشفين في مصر، منذ أواخر القرن التاسع عشر، ومن الملاحظ أن الاهتمام بهذه الفترة كان مبكراً في مصر، بينما أهمل بعد ذلك عند بداية الحرب العالمية الثانية. ويعزى ذلك إلى سببين رئيسين: أولهما ، اعتقاد كثير من الباحثين بعدم أهمية المنطقة حضارياً في تلك الفترة بسبب تخلفها عن مسيرة التطور، الذي حدث في مناطق أخرى من العالم ، وثانيهما ، التركيز والشهرة اللتان اكتسبتهما مصر، باكتشاف الحضارة المصرية العريقة، بفنونها الزاهية ، وعمارتها ، ولغتها القديمة ، وهي الحضارة التي امتد إشعاعها بعيداً في أرجاء العالم القديم . لقد كان العمل الاثاري ، الذي أداره الغربيون في ذلك الوقت ، موجهاً بصفة رئيسة نحو البحث في أصل الحضارة الإنسانية، وخصائصها وكيفية انتشارها من منابعها الأولى في مصر . كما رأى كثير منهم ، إلى بقية أنحاء العالم.

وفي مصر تعرف الباحثون على وجود الإنسان ، أولاً في الصحراء الغربية، من خلال رحلات المستكشفين الأجانب ، في أواخر القرن التاسع عشر ، وفي أوائل القرن الماضي ، وصف شوينفيرث وكورلي وستيرت ، أدوات من العصر الحجري القديم ، وكذلك فعل الشئ نفسه بوفير-لابيني، من خلال أعماله في العباسية بالقرب من القاهرة ، ولم تكن هذه الاكتشافات منتظمة أو ذات أهداف محددة (Wendorf and schild 1976 : XV) . ويأتي في مقدمة الأعمال المهمة من التنقيب والبحث ، في مواقع ماقبل التاريخ ، ما قام به كاتون طوسون وغاردنر في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، إذ تمكنا من اكتشاف حضارة ماقبل الأسرات ، متمثلة في البداري . ثم أعمالهما الرائدة في الفيوم ، عندما حددا تسلسل الأدوار الثقافية هناك ، من بدايتها حتى ظهور مجتمعات إنتاج القوت، في العصر الحجري الحديث . وبعد ذلك تأتي أبحاثهما في واحة الخارجة (١٩٣٠- ١٩٣٢ م) ، حيث وصفت كاتون طومسون تسلسل أدوار العصر الحجري القديم ، بدءاً من الأشولية وما أسمته الأشولي -اللفالوازي . فقد كان هذا أحد الأعمال الكاملة المبكرة في الصحراء الغربية في مصر .

ونالت هذه المنطقة حظها من قبل في زيارات الجيولوجيين والآثاريين والمستكشفين ، وكذلك اكتشف حسين بك في ١٩٢٤ م الرسومات الصخرية في منطقة العوينات ، وكذلك باقنولد (Bagnold)، وميرز (Myers) . ويأتي في صدر قائمة الأعمال الميدانية المهمة ، في تاريخ البحث الآثاري في مصر أيضاً، ما قام به فينارد (Vignard)، في كوم امبو في أواسط مصر ، حيث اكتشف ماأطلق عليه "حضارة السبيل" المشهورة، التي نسبها إلى العصر الحجري الأعلى ، ووصف أدواتها بأنها خليط من تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى، والصناعة الموستيرية ،التي ظلت عالقة في المنطقة حتى وقت متأخر ، مما يوحي بأن المنطقة

كانت متأخرة حضارياً، ولم تشهد الابتكارات الحضارية، التي عرفتها مناطق اخرى. وقد تردد مثل هذا الرأى في كتابات كاتون طومسون ، عندما ذكرت -مثلاً- أن إقليم شمال شرق أفريقيا كان منغلقاً ومكتفياً ذاتياً في فترة العصور الحجرية. ويبدو كذلك أن التطور الحضاري كان بطيئاً ، وبعيداً عن التيارات الحضارية الرئيسية، التي عرفتها منطقة الشرق الأدنى وأوروبا (Caton-Thompson 1946: 57-58) .

وقد حظيت منطقة النوبة بقدر من الاهتمام في مجال البحث الآثاري ، خلال هذه المرحلة المبكرة من العمل الميداني ، عندما تقرر بناء خزان أسوان ، وتعليته فيما بعد. وقد أجري مسحان أثريان (١٩٠٧-١٩١١ و ١٩٢٩-١٩٣٣) في منطقة النوبة السودانية ، ولم يذكر فيهما شئ عن وجود مواقع تعود للعصر الحجري القديم ، بل ذكر في تقاريرها أن الاستيطان البشري بدأ بوصول مجموعات سكانية من خارج المنطقة ، أعطيت حضاراتها أسماء بالحروف الأبجدية وبدا واضحاً أن الاهتمام الأكبر كان من نصيب حفر المقابر ووصف المعابد، والمباني الشاخصة ، التي نُسبت للحضارة الفرعونية ، بسبب اعتقاد الباحثين أن منطقة النوبة تمثل امتداداً حضارياً لمصر ، ولهذا يجب وضع آثارها ضمن الهيكل التاريخي المعروف لديهم سلفاً (Adams 1963) .

وأما الإشارة الواضحة لوجود آثار من العصور الحجرية ، فقد وردت في أعمال ساندفورد وأركل ، التي قاما بها في النوبة المصرية ، عندما حاولا -في الثلاثينات - دراسة جيولوجيا المنطقة، وترسبات فيضانات نهر النيل القديمة. وقد وصفا مجاميع أدوات حجرية من نوع الأشولية والموستيرية. وبعد ذلك أجريا مسحاً مماثلاً في النوبة السودانية ، حتى سمنة جنوباً، وبناء على تلك المعلومات وصفا تسلسل أدوار العصر الحجري القديم ، وخلصا إلى أن الصناعة الاشولية لا توجد جنوب وادي حلفا ، كما أن الصناعة الموستيرية استمرت في المنطقة لوقت طويل بعد اختفائها في المناطق المجاورة، وبهذا يدعمان ماذكرته كاتون طومسون من قبل ، بأن التطور الثقافي خلال العصر الحجري القديم ، كان هامشياً ومحافظاً (Sandford and Arkell 1933: 35) .

أتيح لأنطوني آركل ، أحد الإداريين البريطانيين في السودان ، الذي أصبح مديراً للآثار في ١٩٣٨م، أن يجمع أدوات حجرية من نوع الأشولية من السطح ، في كثير من المواقع المتفرقة في البلاد ، وبهذا يكون قد أوضح وجود الإنسان المبكر إلى الجنوب من الخرطوم ، على غير ماكان يعتقد. ومن أهم اكتشافاته موقع خور أبو عنجة الأشولي ، الذي نشر تقريراً عنه مع تلك المكتشفات في أول كتاب خاص بالعصر الحجري القديم في السودان عام ١٩٤٩م . وعلى الرغم من أن هذا العمل كان محدوداً إلا أنه دحض الرأي القائل بخلو المنطقة من وجود الإنسان في تلك الفترة (Arkell 1975) . ومن أهم أعمال آركل، ذات الأثر الكبير في دراسات ماقبل التاريخ في السودان ووادي النيل عموماً، تنقيبه في موقعي الخرطوم القديمة والشهيناب التي تقع نحو ٥٠٠ كم إلى الشمال من أم درمان .

وصف آركل الخرطوم القديمة بأنها مستوطنة يعود تاريخها للألف الثامن قبل الميلاد، وكانت مستوطنة شبه دائمة ، اعتمد أصحابها على صيد الحيوانات البرية والأسماك وصنعوا أدوات حجرية متميزة ، وكذلك الخطاطيف العظيمة ، التي عرفت بها هذه الحضارة . كما أنهم صنعوا الفخار المزين ، بالخطوط المتصلة والمموجة، وبأخرى متقطعة مموجة ، أو متعرجة. ولم يتمكن هؤلاء الصيادين من ممارسة الزراعة، أو استئناس الحيوان (Arkell 1949). وفي الموقع الآخر (الشهيناب) ، اعتمد السكان على الصيد البري والمائي ، واستأنسوا الأغنام والماعز والأبقار ، ولم يوجد دليل على الزراعة وتطورت صناعة الفخار حيث عرفوا الصقل والزخرفة بأشكال أخرى متنوعة واعتقد آركل أن الشهيناب (الألف الرابع ق.م) كانت تطوراً طبيعياً من حضارة الخرطوم القديمة أي تطوراً من العصر الحجري الوسيط ، الي العصر الحجري الحديث. وقد وجد حلقة الوصل بين الموقعين في موقع آخر

(القوز)، في منطقة الخرطوم (Arkell 1953) . ويعتقد آركل أن حضارة الشهيناب ظلت محصورة في وادي النيل، بينما طور نظريته المعروفة بأن الخرطوم القديمة كانت هي المركز الذي ظهر فيه الفخار أولاً في أفريقيا، ومن ثم انتشر بزخارفه المميزة في منطقة واسعة، تمتد شمالاً حتى الفيوم، وإلى الصحراء الكبرى في الغرب. وقد ظلت أفكاره متداولة حتى اليوم، بين مؤيد ومعارض. ومهما يكن من أمر فإن آركل استطاع أن يضع منطقة النيل الأوسط في خارطة أبحاث ماقبل التاريخ، وجذب إليها أنظار العلماء، وظلت أفكاره رائجة لوقت طويل بعد ذلك. ومن المناسب هنا الإشارة، إلى أن وجهة نظر آركل تمثل فعلاً أحد النماذج الفكرية السائدة في أواسط القرن الماضي في علم الآثار، وهي فكرة الانتشارية. فهناك في الخرطوم القديمة، حدث تطور ثقافي محلي، أصبحت بموجبه المنطقة مركز إشعاع حضاري، يبث مؤثراته بوسائط غير محددة على وجه اليقين، إلى أماكن بعيدة، وتتشكل نتيجة لهذا الانتشار منطقة ثقافية يمكن تحديد معالمها جغرافياً. كذلك تجدر الإشارة إلى أن آركل استخدم كل ما كان متاحاً في وقته من منهجية ، لعمل تنقيبات ميدانية منظمة، جمع خلالها المواد العضوية والمعثورات والظواهر، التي استطاع أن يكّون من خلالها صورة مناسبة عن حياة أولئك الصيادين في منطقة الخرطوم .

إذا أراد المرء أن يصف حالة البحث حول فترة ماقبل التاريخ في السودان ومصر خلال هذه المرحلة، فيمكنه القول :

١- لم تكن المنطقة المذكورة في مقدمة المناطق في العالم القديم ، التي حظيت كثيراً باهتمام الاثاريين ، وربما يعود ذلك الى انشغالهم بالحضارة المصرية القديمة في العصور التاريخية، وانكباب العلماء، من مختلف مراكز الأبحاث العالمية على دراسة آثارها وفنونها الرائعة.

٢- لم تكن هناك أبحاث خطط لها، ماعدا حالات قليلة. فالأعمال الميدانية كانت تتحكم فيها الصدفة. فعندما تقرر بناء خزان أسوان - مثلاً - أصبح العمل الآثاري إنقاذياً في المقام الأول ومن جانب آخر ،كانت بعض مواقع ماقبل التاريخ، يسجلها المستكشفون ولايكتبون عنها وصفاً كاملاً. وهكذا ظلت دراسات ماقبل التاريخ بعيدة عن الاهتمام .

٣- يلاحظ أن معظم المواد الأثرية، التي تم تسجيلها أود دراستها كانت ملتقطات سطحية من الأدوات الحجرية، مما جعل الباحثين يركزون على تصنيفها وترتيبها، بهدف معرفة الأدوار الثقافية التي تمثلها. وفي تحديدهم لمعالم الأدوار الثقافية في ماقبل التاريخ ، اعتمدوا على أنواع معينة من الأدوات الحجرية عدت نموذجية، وهو الشئ نفسه الذي فعله علماء ما قبل التاريخ في أوروبا. ومن ثم استخدموا المصطلحات نفسها المعروفة في أوروبا، ولم يلتفت أحد في ذلك الوقت، إلى احتمال عدم مناسبة بعضها للمواد المكتشفة في وادي النيل. كذلك كانت المقارنات محصورة بما عُرف في أوروبا والشرق الأدنى، ونادراً مايذكر الإطار الجغرافي لوادي النيل في أفريقيا، عند إجراء هذه المقارنات.

المرحلة الثانية :

على الرغم من أن العمل الميداني، في شكله المحدود ذاك، لم ينقطع، إلا أن بداية حملة إنقاذ آثار النوبة في عام ١٩٦٠م، تمثل نقطة تحول أساسي في تاريخ العمل الآثاري في المنطقة، بصفة عامة، وماقبل التاريخ بصفة خاصة. فخلال هذه الفترة استمرت عمليات المسح والتنقيب، في منطقة محصورة على ضفتي النهر في منطقة النوبة، بين الشلال الأول والثاني ، لمدة خمس سنوات. واستمرت أعمال التحليل والدراسة والنشر بعد ذلك، حتى عام ١٩٧٠م تقريباً . وقد دخل إلى منطقة النوبة مالايقل عن أربعين بعثة تنقيب أجنبية، بعد النداء الذي وجهته الأمم المتحدة، وحكومتا مصر والسودان ، لإنقاذ آثار النوبة. وكان يقصد بها آنذاك، المعابد والقصور والكنائس وكل

الآثار الشاخصة في المستوطنات القديمة، ولم تكن آثار ماقبل التاريخ، ضمن الخطة الأصلية لمشروع البحث . ولكنها اعتمدت بعد بداية الحملة فعلياً، وقبل التعرض للمنهجية، التي اتبعتها الفرق البحثية في مواقع ماقبل التاريخ، يجدر أن نقرر أن نتائج تلك الأعمال الميدانية، التي نشرت تباعاً بعد عام ١٩٦٥م كشفت عن معلومات جديدة ومثيرة، عن الأدوار الثقافية في العصور الحجرية في تلك المنطقة، من وادى النيل. فقد اتضح من الوهلة الأولى ، خصوصيتها وثراء التجربة الإنسانية فيها. فقد كشفت أعمال البحث والتنقيب، عن العديد من التقاليد الثقافية المتميزة، التي تطورت محلياً، وأخرى تأثرت بعوامل محلية وخارجية، من شمال أفريقيا ومن شمال وجنوب الوادي، وقد كانت المنطقة خلال الجزء الأخير من البلايستوسين، تعيش نمواً ثقافياً مهماً وحيوياً خلافاً لما كان يظن أنها تعانيه من ركود وعزلة ثقافية. (Wendorf 1968 a: Introduction) .

وقد عملت تلك البعثات في المسح والتنقيب في آثار المنطقة، وعدد قليل منها تخصص في مواقع ماقبل التاريخ، في مصر والسودان. وفي هذه المرحلة كان العمل محصوراً في المنطقة، التي ستغمرها مياه السد العالي وماجاورها. ففي شمال السودان انحصر البحث في منطقة مساحتها ستون كيلو متراً فقط، حول مدينة وادي حلفا. والفضل في معظم، بل في أهم ماحققته تلك الفرق العلمية من اكتشافات، يعود للبعثة الأمريكية المتحدة، المكونة من عدة باحثين ينتمون إلى جامعات من أقطار مختلفة، بقيادة فرد وندورف، التي نشرت أعمالها بصورة غير مسبوقة في عدد من المجلدات والأبحاث المتفرقة. حدث هذا على الرغم من الخلفيات الأكاديمية المتباينة للباحثين، الذين يجتمعون لأول مرة في منطقة واحدة محصورة، لم يكن لمعظمهم - بما فيهم رئيس الفريق نفسه - خبرة سابقة بنوع مواقعها وطبيعتها ومشكلاتها. ولهذا يلاحظ بعض الاضطراب في المسميات والمصطلحات المستحدثة، في وسائل تصنيف ووصف المعثورات، الأمر الذي أثر سلباً في ترتيب المراحل الثقافية خلال العصور الحجرية بل في تحديد معالمها بشكل دقيق واضح.

وقد ساهم التطبيق الصارم لأنظمة التصنيف الآثاري الأوروبية، في وجود مثل هذه الاشكاليات. فعلى سبيل المثال، استعملت قائمة الأدوات، التى ابتكرها فرانسوا بورد، في تصنيف الصناعات الموستيرية النوبية، ولكنها وجدت غير مناسبة لتطبيقها في تصنيف أدوات ماسمي بصناعة خور موسى . وقد كان من الممكن إضافتها للمجموعة الموستيرية، إذا استخدمت منذ البداية طريقة أخرى، كما اتضح فيما بعد عند إعادة دراسة هذه المادة (Elamin 1981: 1- 13) . ومن جهة أخرى، فإن الطبيعة الإنقاذية جعلت تلك الأعمال الميدانية جزئية، كما أن بعضها اعتمد على مواقع أثرية منتقاة. وربما يضاف إلى ذلك، أن العمل نفسه لم يكن من النوع الذى اقتضته قضايا أثرية محددة ، أو فرضيات معينة، حول تطور ثقافات العصور الحجرية في المنطقة، كما حدث في بعض الدراسات الأخرى في السودان، عقب انتهاء الحملة.

وعلى الرغم مما ذكر، تمكنت البعثة الأمريكية المتحدة من توثيق أكثر من عشرين تقليداً في صناعة الأدوات الحجرية. وبناء على ما فيها من خصائص تقنية، ونوعية مشتركة وعلاقات زمانية ومكانية فقد عدت كل واحدة منها ذات طابع خاص متميز وقد رتبت في تسلسل زمني، يمتد من الدور الأشولي حتى نهاية العصر الحجري الحديث. وقد كانت أعمال هذه البعثة متميزة بشموليتها، من حيث إجراء البحوث الجيولوجية، والبيئية ذات الصلة، ثم جمع كل ماهو متاح من معلومات، تفيد في التعرف على أنماط الاستيطان البشري القديم، والكثافة السكانية وأنماط الاقتصاد المعيشي. وقد كانت المعلومات حول هذه الأمور قليلة في كثير من الحالات، نسبة لطبيعة المواقع نفسها، خاصة أنها فقدت كل ماكان فيها من مواد عضوية، بفعل عوامل الطبيعة .

ومن ناحية منهجية، اعتمدت الدراسة على

الاعتقاد بأن كل المعثورات، وفي معظم الحالات، الأدوات الحجرية، التي توجد في مكان واحد وفيها ما يوحدها من الخصائص ، تسمى مجموعة (-Assem blage). ثم توضع -بعد ذلك- الجاميع التي تشترك في خصائص نوعية وتقنية بنسبة كبيرة، في وحدات تسمى صناعة (Industry). ويعتقد الباحثون أن كل وحدة، أوصناعة، تمثل وحدة ثقافية يمكن نسبتها لثقافة مجموعة سكانية، عاشت في المنطقة في الزمن المعين . وعلى هذا الأساس ترتب الصناعات، اعتماداً على أسس تصنيف المعثورات بالطرق المعهودة في دراسات ماقبل التاريخ عالمياً ، كما ذكر آنفاً. ولكن تجربة البعثة الأمريكية نفسها أوضحت ،أن هناك بعض الجاميع لايمكن وضعها ضمن أي صناعة تم تعريفها، ولهذا جمعت في قائمة أطلق عليها اسم متفرقات "Miscellaneous" . وتبعاً لهذا النموذج . تعد كل صناعة ممثلة لأنشطة مجموعة من الناس، يشتركون في ثقافة مميزة وهذه الصناعات الحجرية تمثل "حقائق ثقافية وليست نتيجة لنشاط وظيفي متخصص، أو تكيف بيئي موسمي، أو أنها تجمعت صدفة نتيجة لأسلوب الجمع من الميدان، أوالتصنيف". والمبدأ العام في هذا النموذج أنه، إذا كان الاختلاف ضئيلاً بين الجاميع الأثرية المتعاقبة، فإن ذلك يعدتطوراً واستمرارية، وعندما يكون الاختلاف كبيراً، فيفسر ذلك بدخول مجموعات عرقية جديدة للمنطقة، ذات ثقافة مختلفة. وفي حالة منطقة النوبة، عندما تكون الصناعات متزامنة ومختلفة ، فإنها تمثل تعايشاً بين مجموعات مختلفة ثقافياً وعرقياً في إقليم واحد (Wendorf 1968b: 1041) .

إن هذا النموذج الفكري، في تفسير التنوع في المخلفات المادية لجموعات ما قبل التاريخ ، يذكّر مباشرة بنموذج "الثقافة الآثارية"، التي عرفها ووضع أسس طرائق تحديدها ، غوردون شايلد، وغيره من رواد علم الآثار في الأربعينات، من القرن الماضي. فهذه الفكرة هي التي بدأ بنقدها أصحاب مدرسة التيار الحديث في علم الآثار، عندما بينوا عيوب التوجه التاريخي - الثقافي ، الذي يقوم على أسس التصنيف الشكلي للأدوات الحجرية. وهو في ذلك يعتمد على النسب الإحصائية بين مجاميعها، ثم ينظر إليها في حلقة متصلة كما لو أنها تتناسل، بينما هي في الواقع من فعل الإنسان، بطبيعة الحال (Binford 1966) . ومن دون مناقشة الأساس النظري، الذي اعتمدت عليه مثل هذه الدراسات، فهناك ثغرات إجرائية في المنهج، يمكن الإشارة إليها فمن ذلك مثلاً ، أن الاختلافات المذكورة بين الجاميع ، تقوم أساساً على فروقات إحصائية، في نسب أنواع الأدوات الحجرية . كما أن تصنيف الأدوات ونسبها، يتوقف -هو الآخر- على عينة الدراسة ومدى تمثيلها للكل. وهناك اختلاف نتائج التصنيف المبدئي، الناجم عن تطبيقات لأشخاص مختلفين. فالصناعات الموستيرية في منطقة النوبة السودانية ، تم تعريفها من دراسة مجاميع أدوات حجرية وجدت على السطح ، في أحد عشر موقعاً. وقد صنفت الأدوات على أساس قائمة بُورد، لتصنيف أدوات العصر الحجري القديم الأوسط . ولكن حجم العينة في بعض الحالات كان غير مناسب، لإجراء مقارنات إحصائية بين تلك الجاميع. وقد قسمت الصناعات الموستيرية إلى أربعة أنواع ، وذكر أن بعضها يماثل الصناعات الموستيرية في غرب أوروبا تقنية ونوعاً، وهو أمر خاضع للتأكيد (Marks 1968:292) . ومهما قيل من ملاحظات عن أعمال هذه البعثات، خلال حملة إنقاذ آثار النوبة، فإن الإيجابيات تفوق السلبيات. أما عن أبحاث ماقبل التاريخ ، فيمكن القول أن النتائج التي حصلت عليها بعثات التنقيب ، فتحت الباب على مصراعيه في مصر والسودان لدراسات جديدة ، بتوجهات وأهداف مختلفة، كان لها نتائجها العلمية المهمة. (كما سيأتي ذكره في الفقرة التالية).

إن الأعمال الميدانية، ودراسة ما عثر عليه من مواد أثرية، في هذه المرحلة من أبحاث ماقبل التاريخ في منطقة النوبة وخارجها، يمكن تلخيص أهم ملامحها المنهجية في الآتي:

أ- إن تقنيات المسح والتنقيب وتسجيل المعثورات، وكل إجراءات العمل الميداني، كانت تتسم بمعظم الصفات المطلوبة في العمل الأثاري الحديث. وقد وضعت تقاليد جديدة للعمل الأثاري ترسخت مبادؤها فيما بعد في المنطقة. فقد استفاد عدد من الباحثين من تجارب هذه الحملة العلمية الكبيرة ، في تطوير قدراتهم الأكاديمية، وتخصصوا في ميادين برزوا فيها لاحقاً.

ب- كان التوجه الأساس نحو تأصيل التاريخ الثقافي لفترة ما قبل التاريخ، معتمداً على المناهج التقليدية المعروفة، في تصنيف المعثورات الأثرية منذ فترة طويلة. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن المنطقة لم تكن معروفة تماماً للباحثين ، في تلك الفترة من التاريخ البشري. وربما كانت مناهج التصنيف الأوروبية عائقاً في كشف حقيقة أشكال التنوع الثقافي في تلك الفترة، مما خلق اشكالات في طرح مسميات غير واقعية، لأدوار ثقافية يصعب إزاحتها من أدبيات الدراسة.

ج- وجدير بالذكر، أيضاً، أن العمل الآثاري في كل فترات التاريخ الحضاري في السودان خلال هذه المرحلة كان الباحثون يعملون على إبراز الدور المحلي في تكوين الثقافات السودانية وصفاتها، بعيداً عن تأثيرات الحضارة المصرية القديمة، وكنتيجة لترجيح الأصل المحلي، وتفضيله على المؤثرات المصرية، حلت "مركزية نوبية" مكان "المركزية المصرية" السابقة، في تفسير تطور الحضارات السودانية. ولكن هذا التوجه بدأ يفقد تفوقه عندما أجريت الأبحاث في المناطق الداخلية من السودان .

د- يلاحظ أيضاً أن مناهج التفسير الآثاري، المستخدمة في الأعمال الرئيسة لهذه المرحلة من الأبحاث، لم يُستفد فيها من الاطروحات النظرية الحديثة، في الانثروبولوجيا، ولا مناهج الاثنواركيولوجيا .

المرحلة الثالثة :

تمثل هذه المرحلة الأبحاث، التي أعقبت حملة إنقاذ آثار النوبة ومازالت مستمرة حتى الآن . وهي تعكس ذروة النشاط الآثاري في السودان ومصر خاصة في حقول آثار ماقبل التاريخ. إذ نفذت منها أبحاث على مستويات رفيعة في التحليل المنهجي والنظري، وهي الأقرب إلى التيارات الحديثة في علم الآثار. وبما أن الدراسات التي أجريت حديثاً حول فترة ماقبل التاريخ، كثيرة ومتنوعة فسوف يكتفي هذا البحث باستعراض أهمها، وأشدها تأثيراً في مجريات البحث ، بما طرقته من توجهات نظرية ، أو منهجية جديدة. ومن الملاحظات الأولية حول هذه المرحلة، أن مشاريع الأبحاث الميدانية كان يخطط لها باختيار الباحثين. وفي كثير من الحالات تجرى الأبحاث لتتبع قضية بحثية بعينها. كما أن مناطق جديدة في مصر أو السودان أجريت فيها عمليات تنقيب في مواقع ماقبل التاريخ لأول مرة وكانت نتائج مثل هذه الأعمال قد أثارت عدداً من الأسئلة الجديدة مثل ماحدث عقب نشر نتائج حملة إنقاذ آثار النوبة.

بعد انتهاء حملة إنقاذ آثار النوبة، استمرت البعثة الأمريكية المتحدة في ريادة العمل الآثاري في ماقبل التاريخ في مصر. وقد حاولت نقل أعمالها إلى السودان أيضاً إلا أنها لم توفق سوى في موسم واحد. ولأن أعمال هذه البعثة هي الأهم، وذات التأثير الكبير في سير الأبحاث في المنطقة، فمن المنطقي أن نتتبع أعمالها، من ناحية منهج العمل الذي اتخذته، والأفكار الرئيسة، التي استعانت بها في التفسير الآثاري. ولم تكن هي البعثة الوحيدة التي عملت في مصر ، بل كان هناك بعثات أخرى ، من جامعات ومراكز أبحاث عالمية ، تنقب في أواسط مصر وفي الصحراء الشرقية وغيرها. وواصلت البعثة الأمريكية عملها بطاقم باحثيها الرئيسيين، وانضم اليها في فترات متعاقبة اختصاصيون في مجالات مختلفة، من العلوم المساعدة. وقد توفرت للباحثين الرئيسيين،

آنذاك، الآن خبرة واسعة بطبيعة المنطقة ، وباشكاليات البحث اللوجستية، إضافة إلى مواضيع البحث التي تستحق المتابعة. ومن المعروف أن نتائج حملة إنقاذ آثار النوبة، تركت قضايا علمية معلقة تستحق المتابعة. ويأتي في مقدمها التأكد من طبيعة وتاريخ فيضانات نهر النيل، وتأثرها بالمناخ الإقليمي، وعلاقة أنظمة النهر الايكولوجية بالاستيطان البشري . ثم هناك علاقة السهل الفيضي بالصحراء المجاورة، وانتشار المجموعات السكانية في داخل الصحراء الغربية. كما تبرز كذلك، مسألة معرفة موارد الاقتصاد المعيشي المتاحة للصيادين، خلال فترة البلايستوسين المتأخرة وتكّيف السكان على ذلك بابتكار تقنيات متطورة، قادتهم لاحقاً إلى مستويات ثقافية جديدة.

ومن القضايا البحثية الأكثر إلحاحاً في الوقت الراهن، في علمي الآثار والانثروبولوجيا، قضية ظهور وانتشار الإنسان العاقل الحديث (Homo sapien sapi-en) في العالم القديم. فوادي النيل لم يكن وارداً في السابق عندما يتطرق العلماء لمناقشة مثل هذه الموضوعات . أما الآن، وبعد أن طورت نظرية المهد الأفريقي للإنسان العاقل الحديث ، ومن ثم انتشاره في الشرق الادنى وأوروبا ، كان لابد أن يطرح وادي النيل كأحد المعابر الطبيعية لهذا الانتقال ، وقد أوضحت الاكتشافات الأثرية الحديثة ، في مرحلة حملة إنقاذ آثار النوبة ومابعدها، أن وادي النيل كان مشاركاً في التطورات الحضارية، التي شهدتها فترة العصر الحجري القديم الأعلى، التي يُعتقد أن الإنسان العاقل الحديث انتشر خلالها. وتشير أبحاث البعثة البلجيكية على مدى سنوات، في أواسط مصر، إلى أن تقنيات صناعة أدوات العصر الحجري القديم الأعلى قد ظهرت هناك في حدود ٣٨،٠٠٠ ق.م . وبمناقشة مجاميع هذه الصناعات الحجرية مع تلك التي تنسب للعصر الحجري القديم الأوسط طرح الباحثون أفكاراً مهمة حول دور هذه المنطقة، في فهم أفضل للهجرات البشرية آنفة الذكر. وتبدو هنا أهمية الهيكل العظمي الذي أكتشف هناك مؤخراً، ووصف بأنه من نوع الإنسان العاقل الحديث، ويؤرخ إلى التاريخ المذكور نفسه (Van Peer 1998) .

ومن جهة أخرى كانت الأبحاث السابقة مهتمة بقضايا حيوية، مثل: تاريخ ظهور مجتمعات إنتاج القوت في وادي النيل ، وأصل وكيفية الانتقال الى تدجين الحيوانات وزراعة الحبوب ، وكذلك البحث في عمليات التكيف البيئي وأنماط الاقتصاد المعيشي ، وما أدت إليه هذه الابتكارات الجديدة من تغيير في حياة الناس ومجتمعاتهم. لقد تجددت هذه الموضوعات في هذه المرحلة، ولكن أصبح ينظر إليها من مداخل منهجية ونظرية جديدة، يؤمل من نتائجها معرفة تفاصيل التطور الثقافي في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة ، كذلك النظر للتحولات العميقة التي حدثت في حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، في مجتمعات ماقبل الأسرات في مصر ، وكيف أدت بدورها إلى نشوء الدولة المركزية، ربما لأول مرة في العالم القديم. وقد طرحت الأسئلة نفسها بالنسبة للنيل الأوسط في السودان بحثاً عن ظهور مجتمعات العصر الحجري الحديث، ونمو أنظمة سياسية واقتصادية جديدة، تتمثل في أنماط حياة الرعي والإنتاج الزراعي، وما أفضت إليه من تطورات حضارية، وإذا كانت هذه هي القضايا العامة، التي شكلت موضوعات البحث في هذه المرحلة، من أبحاث ماقبل التاريخ في المنطقة، فينبغي أن تلقى نظرة على المناهج، التي اتبعها بعض الباحثين في الإجابة عن الأسئلة المطروحة حول هذه الموضوعات، وعلى الأفكار الرئيسة التي صارت تميز أبحاثهم.

لقد وُصفت مجهودات فرد وندورف ، الباحث الرئيس في البعثة الأمريكية المتحدة، على مدى أكثر من ثلاثين عاماً متصلة في المنطقة ، بأنها الأكثر فعالية ومساهمة في إبراز الدور الحضاري للمنطقة، كما أنه أرسى ومجموعته أسس العمل الميداني الموجه لأبحاث طويلة الأجل، بما فيها من الجهد الكبير

في التنظيم الإداري المحكم، والاستعداد اللوجستي الكامل، للعمل في ظروف صعبة، مثل ما هو الحال في صحراء مصر الغربية. إضافة إلى الاكتشافات المهمة والمساهمات العلمية المستخلصة منها (Clark 1987: 1-11).

بدأت البعثة الأمريكية المتحدة أبحاثها في مصر عام ١٩٦٧م، بعد حملة إنقاذ آثار النوبة مباشرة، في المنطقة إلى الشمال من أسوان، بالتركيز على ادفو وشمال إسنا ، حتى نجع حمادي، ثم في منطقة الفيوم ، وبعد ذلك توجهت البعثة إلى منطقة الصحراء الغربية، حيث أجرت مسوحات واسعة لحصر المواقع الأثرية وتسجيلها وأخذ عينات منها، ثم عمل خرائط تعكس أنماط الاستيطان أولاً ثم اختيار مواقع منها للتنقيب والدراسة التفصيلية . وتأتي منطقة وادي الكبانية، في الجنوب الغربي في مقدمة أهم المناطق ، التي عملت فيها البعثة، إذ توجت مجهوداتها باكتشافات أثرية في غاية الأهمية .

تتميز أعمال البعثة الأمريكية المتحدة، بالحرص على جمع المعلومات الطبيعية بدراسة جيولوجية المنطقة وظواهرها الجيومورفلوجية، ومصادر المياه القديمة، والغطاء النباتي مما يساعد في وضع خريطة الاستيطان البشري في منطقة الصحراء على مر فترات ماقبل التاريخ وتحديد مايقابلها من تحولات في المناخ . ومن ثم ربط ذلك بتحركات الصيادين ، واستغلالهم لبيئة الصحراء والأودية المجاورة لنهر النيل. أما في المناطق النيلية وفي وادي الكبانية، فقد تركز العمل في الظواهر الطبيعية من أجل مراجعة تسلسل فيضانات النهر القديمة، الذي وضع خلال أعمال حملة إنقاذ آثار النوبة، وقد اتضح نتيجة لهذه الأبحاث ، أن هناك فترة واحدة رئيسية ارتفع فيها النيل ، وتخللتها انخفاضات بسيطة. كما اتضح ايضاً أن نموذج الفيضان الكبير، الذي يعقبه انحسار واضح في مستوى النهر وانتشار الرمال ثم فيضان آخر كبير غير صحيح. وقد أدى هذا الاتجاه الجديد في البحث الجيولوجي ودراسة المواد العضوية المختلفة، إلى معرفة عملية فيضان النهر بدقة أكبر، وعلاقة ذلك بالبيئة المحلية، ومن ثم أثره في حياة الناس وتكيفهم، بالاستفادة من الموارد المتاحة موسمياً. إن الاهتمام بالدراسة المفصلة للظواهر الطبيعة، وعلاقتها بتاريخ نهر النيل، ثم عناصر البيئة، من حيوان ونبات وغيرها، يتضح جلياً في تخصيص ثلاثة أرباع المجلد ، الذي يشتمل على نتائج الدراسة في جنوب مصر ، إلى هذه الموضوعات (Wendorf and Schild 1976) .

وفي وادي الكبانية توجه البحث الميداني أيضاً إلى تطوير تقنيات مناسبة لجمع البقايا النباتية ، التي يصعب الحصول عليها، عادة، في مثل بيئة تلك المنطقة . إضافة إلى عظام الحيوانات البرية الكبيرة والصغيرة، والكميات الكبيرة من عظام الأسماك والطيور . ويهدف البحث المتصل عن المواد العضوية، وعن أحوال البيئة الطبيعية، إلى معرفة أوسع بحياة الناس ومعيشتهم خلال فترة العصر الحجري القديم المتأخر، وتعد هذه فترة مهمة عند النظر في التحولات الحضارية الكبيرة، التي أعقبتها بعد اكتمال عمليات إنتاج القوت في وادي النيل. إن تنوع المعلومات التي جمعتها البعثة الأمريكية المتحدة، يعود في المقام الأول إلى المنهج الإجرائي، الذي اتبعه الباحثون الذين خططوا لمشروع الأبحاث، وهو منهج يعتمد على مبدأ تعدد التخصصات، ودمجها في إطار مشروع بحثي واحد، وذلك أمر يؤثر إيجاباً في نوع المعلومات التي يحصل عليها . ففي حالة وادي الكبانية، كان عدد الذين اشتركوا في كتابة التقارير العلمية المشار إليها ، نحو عشرين باحثاً متخصصاً في ميادين علمية مختلفة، معظمهم ممن اشترك في العمل الميداني (Wendeorf and Schild 1989:1-8) .

فطريقة تكوين الفريق العلمي المتبعة في وادي الكبانية، قل أن يوجد لها مثيل في مكان آخر . ومما يجدر الإشارة إليه، أن هذا الفريق العلمي كان يضم بعض المتخصصين من الوطنيين الذين أبدوا كفاءة عالية في العمل الميداني وفي نشر نتائج أبحاثهم (٤).

ومن الإجراءات المنهجية التي عرفت بها البعثة الأمريكية المتحدة، تصنيف المعثورات الحجرية في الميدان حيث ينتهي العمل فيها بانتهاء الموسم. ويتم ذلك باتباع أدق وسائل التصنيف، التي تتوخى التحري عن أنواع ومصادر الصخور، التي صنعت منها الأدوات، ثم تحديد الأنواع على أساس قائمة من المتغيرات النوعية والشكلية. كذلك تستخدم الأساليب الكمية ، من أجل المقارنة، وكشف مستويات التنوع من شبه واختلاف بين الجاميع المكتشفة ، في كل المواقع. وكان من المتبع وضع نسخة من التقارير الميدانية ، ورسم المخططات ومقاطع الحفريات في مصر ، إضافة إلى المعثورات المكتشفة، وهذا تقليد حميد، نأمل أن تتمكن بلدان أخرى في المنطقة أن تحذو حذوه ، حتى تحفظ موادها الأثرية التي ربما تحتاج إليها أجيال قادمة من الباحثين الآثاريين ، إن هذا الأسلوب الصارم في دقة التوثيق والتسجيل وحفظ المكتشفات، في بلد المنشأ ، يتبعه تقليد آخر متميز ، هو نشر النتائج النهائية في وقت قياسي، وعلى مستوى رفيع يندر أن نجد له شبيها (Wendorf and schild 1980: 1-15) .

وأما عن الأفكار الرئيسة، التي تحكم هذ العملية البحثية الجيدة، فيلاحظ أن البحث يرتكز حول مسألة التاريخ الثقافي، وهي ماتزال الفكرة المسيطرة على مجريات الأمور. ولكن المدخل إليها لم يعد هو تسلسل تقاليد صناعة الأدوات الحجرية فقط ، كما كان الحال في الفترة السابقة ، من أبحاث ماقبل التاريخ في المنطقة. فدراسة أنماط الاستيطان خلال المرحلة الأشولية ومابعدها، ينظر إليه من خلال التكيف على بيئات الصحراء الغربية ، والبيئة النيلية، والأودية المجاورة للنهر فالتطور الثقافي -إذن- كان رهيناً بعمليات التكّيف وحركة المؤثرات المتبادلة، بين المجموعات السكانية وتحركاتها في المنطقة، وظل موضوع التطور المحلي غالباً، في تفسير المخلفات الأثرية في منطقة وادي الكبانية ، عندما ظن الباحثون لفترة من الوقت، أن التجارب المحلية ، في استغلال الحبوب البرية، مثل الشعير والقمح بصورة مكثفة منذ ١٥،٠٠٠ ق.م ، قد أدى إلى تدجينها وزراعتها تلقائياً في وقت مبكر ، ربما قبل أي مكان آخر في العالم القديم. ولكن الجهد العلمي الذي بذله الباحثون في المراجعة، وإعادة الفحص للحبوب المتفحمة، التي أعتمد عليها سابقاً في هذا الافتراض، أوضح جلياً أنها حبوب حديثة العهد ولاعلاقة لها بالمحيط الأثري، الذي وجدت فيه. لقد أعادت هذه المراجعة فكرة المؤثرات الخارجية، مرة أخرى، إلى المقدمة كأحد عوامل التغير الحضاري (Pocit : 7) .

ولا يكتمل استعراض دراسات ماقبل التاريخ، في مصر، دون ذكر الأعمال المهمة التي تقوم بها بعثات علمية أخرى، أوروبية ومحلية. وفي هذا الخصوص تقع الأبحاث التي يقوم بها فكري حسن وفريقه العلمي ، في صدارة هذه الأعمال. فقد عمل لسنوات طويلة منذ ارتباطه بالبعثة الأمريكية المتحدة، في بداية أعمالها، ثم أعماله الميدانية المستمرة في جنوب مصر، والفيوم وسيوه. وتتركز أبحاثه حول ثلاثة محاور، تشمل: البيئة القديمة وتاريخ نهر النيل ، ومجتمعات انتاج القوت والتحولات الثقافية التي صحبته، وأخيراً مجتمعات ماقبل الأسرات وظهور الدولة المركزية (Hassan 1997) . وقد استفاد في مجمل أبحاثه من كل مايتيحه علم الآثار الحديث من مناهج علمية، استطاع من خلالها تقديم اطروحات فكرية، تناولها غيره من العلماء بالنقد والتحليل. ومن جهة أخرى، تمكن من تأويل المعرفة الآثارية عن البيئة القديمة، وعمليات التطور الثقافي ونقلها إلى آفاق الدراسات المستقبلية الحديثة، حول البيئة والاجتماع والسياسة (Hassan 1992) .

وفي السودان، كان لحملة إنقاذ آثار النوبة الأثر نفسه تقريبا ، في دفع مسيرة الأبحاث حول فترة ماقبل التاريخ داخل البلاد. وقد كانت منطقة النيل الأوسط حول الخرطوم، أكثر الأماكن حظاً في التنقيب الأثري، الذي تركز في مواقع مهمة من العصر الحجري الحديث، بدأته بعثات أوروبية منذ أوائل

السبعينات. واستمر العمل فيها لمدة طويلة، باعتبار أنها مواقع مهمة خاصة أن بعضها من نوع موقعي حضارة الخرطوم القديمة والشهيناب الشهيرين ، وقد أدى حصر العمل في منطقة الخرطوم، فيما عدا حالات قليلة، إلى إغفال المناطق الداخلية من النيل الأوسط، يمكن تعميمه على بقية أنحاء السودان (Mohamed-Ali 1987: 125) . وعندما بدأ العمل الآثاري في هذه المناطق لاحقاً ، اتضح مدى التنوع الثقافي الذي شهدته المنطقة خلال العصر الحجري الحديث ومابعده مباشرة .

وقد قامت بالتنقيب المستمر لعدة سنوات ، في منطقة الخرطوم وما جاورها، فرق أبحاث أوروبية من إيطاليا وبولندا والنروي وفرنسا، وكذلك جامعة الخرطوم ، التي أجرى فريقها حفريات محدودة في الشمال من أم درمان، وقد انصب جهد هذه الفرق أولاً على تحديد العلاقة التطورية بين حضارة الخرطوم المبكرة والشهيناب، كما وصفها آركل من قبل. وبعد ذلك اتجهت البحوث للنظر في التغيرات الحضارية، التي أدى إليها التحول إلى إنتاج القوت، متمثلاً في زراعة الذرة وغيره من حبوب وتدجين الحيوانات، مثل الأبقار والأغنام والماعز، وأماكن حدوث هذه الابتكارات.

وقد أجريت التنقيبات الميدانية ودراسة المعثورات، بأحدث ماتوافر من مناهج في علم الآثار ما أحدث نقلة نوعية في المعلومات، الدالة على قدرات السكان وتمكنهم من ابتكار طرق جديدة، في استغلال البيئة الطبيعية، وقد نالت قضايا مثل أصل الزراعة، واستئناس الأبقار، أثرهما في حياة الناس، وتشكيلات انظمة الاقتصاد المعيشي، حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين. كذلك استمرت دراسة الفخار في مكانها المتقدم، من حيث تحديد تتابع أنواعه زمنياً، وتصنيف زخارفه، والتعرف على معانيها. وكانت أساليب التصنيف التقليدية هي المتبعة، إلا أنه تجدر الإشارة إلى الدراسات، التي قامت على التحليل الفيزيائي والكيميائي للفخار، وهي قد أضافت معلومات جديدة ومهمة. فالصفة العامة إذن، كانت تحليل المعثورات، ومتابعة أصولها، وتطور أشكالها وأنواعها، عبر الزمن، ومدى الاعتماد عليها كمؤشرات للاتصال الحضاري بين السكان في المنطقة . ومثل هذا العمل أمر مطلوب، بطبيعة الحال في الدراسات الموجهة نحو التأصيل التاريخي الثقافي وإبراز ملامحه. ومن جانب آخر، استطاع الباحثون في هذه المنطقة طرق موضوعات تتعلق بأنماط الاقتصاد المعيشي، وحياة الناس الاجتماعية . فحللت المواد العضوية نباتية وحيوانية وسمكية، كما أجريت دراسات عن ديموغرافيا السكان ، وعادات دفن الموتى والفنون المختلفة (Krzyzaniak 1991).

وبرزت إلى السطح أسئلة جديدة عن التحول الحضاري من مجتمع الصيد والجمع، إلى الزراعة وحياة المستوطنات المستقرة ، ثم ظهور مجموعات الرعي، وما تبع ذلك من نمط جديد في الحياة ، جعل من قضية العلاقة بين حوض النهر والسهول الواسعة، في وسط البلاد وغربها وشرقها موضوعاً يستحق الدراسة. وهناك أيضاً مسألة الانقطاع في الاستيطان بالمنطقة، إذ لم تكتشف مواقع ذات عدد مناسب لملئ الفترة الزمنية، بين آخر تاريخ لموقع الشهيناب، وبداية فترة حضارة مروي. وأخيراً، هناك السؤال عن أثر تغيرات المناخ على حياة الناس وهل كانت سبباً في تغيرات ثقافية، خاصة ونحن نتحدث عن منطقة هامشية مناخياً ؟ ومن الملاحظ في هذه الأبحاث الميدانية، أنها لم تهتم بالبحث عن مواقع العصر الحجري القديم المتأخر، التي يتوقع أن تمدنا بمعلومات أولية عن مجتمعات إنتاج القوت، آنفة الذكر. ومهما يكن من أمر، فإن المسوحات التي أجريت حول منطقة الخرطوم لم تكشف إلا عن عدد قليل من أنواع هذه المواقع . وربما كان ذلك لأسباب عدة، منها ضياع هذه المواقع بفعل العوامل الطبيعية أو أنها غير موجودة أصلاً. هذه بعض الأسئلة التي أثيرت ولم تتوفر إجابة عنها، وكانت ضمن موضوعات مشاريع الأبحاث الجديدة، التي أجريت بعيداً عن ضفتي نهر النيل.

لم تكن نتائج بحوث العصر الحجري الحديث في

النيل الأوسط. كلها قائمة على توجه التاريخ الثقافي وحده. فقد طورت راندي هالاند، وفريق البحث الذي رأسته مثل أطروحة مختلفة ، اقتضى تطبيقها منهجاً مختلفاً أيضاً. وقدأجرت تنقيبات ومسوحات آثارية عدداً من السنين ، في مناطق متباعدة. فهي قد نقبت في عدد من المواقع المهمة حول الخرطوم، ثم أخرى في رَبَك في أواسط السودان، وأخيراً على نهر عطبرة ، بالقرب من مدينة الدامر. ثم جمعت معلومات اثنوغرافية ، من غرب وشرق السودان ، أفادت منها في دراستها. تتبنى هالاند منهجاً صريحاً يتوافق مع أطروحات التيار الحديث في علم الآثار، وتسعى من خلاله لتكوين فرضيات حول الظاهرة الثقافية، تعمل على رفضها أو قبولها ، بالبحث في شواهد أثرية مستقلة. وقد كان في مقدم اهتماماتها، كيفية تحول المجتمع في منطقة النيل الأوسط، من الصيد والجمع إلى الحياة المستقرة، وكيف ينعكس ذلك في الثقافة المادية. ويقوم المنهج الإجرائي، الذي اتبعته، على دراسة البيئة الطبيعية كإطار تنظر من خلاله للمعثورات الأثرية في علاقاتها الزمانية والمكانية، ثم الاستفادة من المعلومات الاثنوغرافية التي سعت إلى جمعها من مناطق مختلفة من البلاد. وأخيراً الإطار النظري المطلوب، لتفسير التنوع في الثقافة المادية. كما تهتم أيضاً بتصنيف المواقع الأثرية، وماوجد فيها من إطارها الايكولوجي، على أساس وظيفي. وقد مكنها هذا التناول، من طرح نموذج لحركة تنقل الناس الموسمية ، لاستغلال موارد النهر من مستوطنات شبه دائمة بعيدة عنه نسبياً، تختلف في أحجامها ومحتوياتها. كما ناقشت عملية الانتقال النهائية لاقتصاد الرعي الأمر الذي ربما يفسر ندرة المواقع الأثرية، في أواخر العصر الحجر الحديث في المنطقة (Haaland 1983).

ومن الموضوعات الجديدة، التي طرحتها راندي هالاند، دور المرأة في حياة المجتمعات المتنقلة ، عندما بدأت تتحول إلى حياة الاستقرار، فقد ناقشت طبيعة الأعمال التي يمكن أن تقوم بها المرأة بسبب الصفات الجسمية، منطلقة من المؤشرات الاثنوغرافية، مثل إعداد الطعام ، وعمل الأدوات المطلوبة لتجهيزه، وعمليات الجمع والالتقاط ... الخ. ومن الأدلة الأثرية من مواقع نهر عطبرة، اتضح لها أن الاستقرار بدأ قبل أن تتحقق عملية الزراعة الكاملة. فالجمع المكثف للحبوب والزراعة الأولية قبل التدجين الكامل للذرة ، ثم الصيد المكثف للأسماك، أدى إلى استقرار نسبي في المواقع القريبة من النهر. ولعب الفخار دوراً مهماً في هذه العملية ،إذ استغمل لحفظ الحبوب وغيرها من مواد. وترى الباحثة أن للفخار صلة رمزية بالمرأة فالإناء للحفظ كما المرأة للحمل ، وتوفير الغذاء من جسمها للطفل ، وللأواني الفخارية معان طقوسية تتعلق بالموت والولادة ، يمكن البحث عن مثيلاتها عند الإنسان ، وتحديداً المرأة ، وزخرفة الفخار يمكن مقارنتها بعلامات التزيين المختلفة على جسد المرأة ووجهها. وتقول راندي هالاند إن هذه أمثلة انثروبولوجية فيها إيحاءات اجتماعية، يمكن أن يتخيلها الباحث عند تحليله للظاهرة الأثرية. وهكذا يبدو أن توجه الباحثة يركز على الجوانب الاجتماعية والسلوكية للأفراد ، في مجتمعات ماقبل التاريخ ، وذلك في محاولة منها للاقتراب أكثر نحو معرفة حياة الناس، وأنظمتهم الاجتماعية والعقائدية (Haaland 1997).

وتشير مجمل الأبحاث، التي قدمت في المؤتمر العالمي الخامس لدراسات ما قبل التاريخ المتأخر في شمال شرق أفريقيا ، الذي عقد ببوزنان (بولندا) في عام ١٩٩٧م، إلى التقدم الكبير الذي حدث في البحوث الموجهة نحو معرفة العلاقات الثقافية بين المجتمعات الزراعية التي تأسست في مصر والسودان وشمال أفريقيا وشرقها، وربما أبعد من ذلك. كذلك تجدر الإشارة الى المعلومات الجديدة، عن التطورات الاجتماعية التي حدثت بعد عام ٤٠٠٠ ق.م ، خاصة ما يستشف عنها من عادات للدفن والعبادة، وفنون النحت والرسم (Hassan 1998B: 92) .

والنوع الآخر من الأعمال الميدانية في هذه المرحلة من تاريخ البحث يتمثل في المسوحات الآثارية الكبيرة،

التي اختير لها مناطق واسعة. وقد خطط لمعظم هذه المسوحات على أمل الحصول على إجابات لأسئلة ظلت مطروحة لوقت طويل. وكانت الخطوة الأولى هي الخروج من منطقة النيل، والتوجه لتغطية مناطق في شرق وغرب السودان، وهي مناطق تعد جغرافياً وحضارياً جزءاً من وادي النيل، وإن كانت بعيدة عن السهل الفيضي للنهر، الذي تركزت فيه أعمال البحث. ويأتي في مقدمة هذ المسوحات، تلك التي أجريت في البطانة من كهف شق الدود بالقرب من النقعة على بعد ٥٠ كم شرق الخرطوم، حتى منطقة خشم القرب في شرق السودان. وقد شارك في هذا المسح مجموعة من باحثي جامعة الخرطوم وجامعة مثودست الجنوبية في دالاس. ثم المسح الذي قام به الفريق الإيطالي في دلتا نهر القاش بمنطقة كسلا في شرق السودان، حتى الحدود الشرقية مع ارتريا. وأخيراً المسح الأثري في شمال غرب السودان، وبتركيز على منطقة وادي هور، الذي قام به فريق ألماني. وقد شهدت هذه الفترة أيضاً، نشاطاً ملموساً من نوع آخر، يتمثل في عمليات المسح والتنقيب، التي تسببها عمليات بناء الطرق والسدود الجديدة، وهي عمليات إنقاذية للآثار تشرف عليها الإدارة العامة للآثار، مستعينة ببعض فرق البحث الأجنبية والمحلية. وقد توخت المسوحات الكبيرة مناهج وإجراءات ميدانية حديثة، وحدد القائمون عليها أهداف المسح وكيفية تنفيذه، ومناقشة ذلك قبل بداية العمل. فمشروع البطانة الأثري، على سبيل المثال خطط له ليكون مشروعاً طويل المدى، نسبة لأهمية المنطقة، التي تتوسط بين نهر النيل والمرتفعات الأثيوبية. وكذلك لما وجد فيها من قبل من آثار تعود لفترة ماقبل التاريخ، وفترة دولة مروي القديمة. وقد حدد الباحثون الرئيسيون في المشروع أهدافهم، من خلال مناقشتهم لما هو معروف عن منطقة النيل الأوسط والسودان، بصفة عامة. وتتلخص الأهداف الأولية في تحديد أبعاد الاستيطان البشري في منطقة البحث، وعلاقاتها بالأحوال البيئية. كذلك رصد تسلسل مراحل التطور الثقافي والتداخل الثقافي الإقليمي، وطبيعة المؤثرات الخارجية، "وميكنزمات" آليات التغير الثقافي. وأخيراً الدور الذي مثلته هذه المنطقة في التاريخ الثقافي للإقليم عموماً إضافة للأسئلة التي تركتها الأعمال البحثية التي أجريت في وادي النيل الأوسط دون إجابة مقنعة.

وقد كان الاستعداد الميداني لهذا المشروع مثالاً يحتذى في السودان. وعلى الرغم من أنه لم يستمر لأكثر من سنتين، إلا أن نتائج الدراسات كانت تؤكد أهمية التخطيط لمثل هذه المشاريع وجدواها وكان من ضمن النتائج التي توصل إليها فريق البحث، تحديد معالم ثقافات جديدة في العصور الحجرية المتأخرة، لم تكن معروفة من قبل كما وفرت معلومات قيمة تساعد في مراجعة الكثير من قناعات الباحثين، عن فترة ماقبل التاريخ في منطقة وادي النيل الأوسط (العباس محمد علي ويوسف الأمين : ١٩٩٢). وقد وصف الباحثون الخطوات العملية، التي اتخذوها في الميدان لتنفيذ المسح، الذي غطى ما مساحته أكثر من ألفي كلم مربع. كما ذكروا طبيعة المشاكل التي واجهتهم في الميدان، مما قد يفيد الآخرين الذي يودون القيام بأعمال مشابهة. فالمساحة الشاسعة، التي غطاها هذا المسح وتلك التي غطاها المشروع الإيطالي في منطقة كسلا، سمحا معاً بتناول قضايا علمية، كان يصعب تناولها بغير ذلك الأسلوب. ومن أهم هذه الموضوعات مثلاً، قضية التغير الثقافي عندما حدث الانتقال من اقتصاد المجتمعات الزراعية المستقرة، التي وجدت في المنطقة منذ الألف الرابع قبل الميلاد، إلى اقتصاد الرعي ومجتمعاته المتنقلة. وقد كان الهدف من هذه الحالة، اختبار الفرضية التي تقول بتأثير الأحوال البيئية والايكولوجية في هذا التغيير. وقد تم تناول هذا الأمر عن طريق دراسة أنماط توزيع المواقع، في القطاعات البيئية المختلفة في منطقة المسح، ثم تحليل مكونات الأرض المتعلقة بالزراعة والغطاء النباتي الطبيعي. وقد اتضح أن التحول الثقافي المذكور، حدث دون أن يصاحبه تحول

يذكر في المناخ والبيئة فاتضح عندئذ ضرورة البحث عن أسباب أخرى (Sadr 1991: 52-71) .

وفي هذا السياق لابد أن يشار الى أن كثيراً من مواقع العصور الحجرية في السودان، توجد موادها الأثرية فقط على السطح، مما يسبب صعوبات عملية في دراستها التفصيلية. فمن المعروف أن مثل هذه المواقع تخلو ، عادة من المواد العضوية التي تعين الباحث في معرفة جوانب الاقتصاد المعيشي، والعلاقة بين أماكن المواقع وأنظمة الموارد الطبيعية المختلفة ، في ذلك الوقت. وعلى الرغم من ذلك، لم تكن دراسة مثل هذه المواقع غير مجدية، فقد عمل الاثاريون على ابتداع مناهج عمل ميدانية، تساعد علي جمع معلومات مفيدة عن أنماط الاستيطان القديمة ،والخصائص الثقافية (Elamin 1992: 68-69).

إن الذي جعل هذا الأمر ممكناً، كما جعل غيره من النتائج المهمة، التي حققتها أبحاث ماقبل التاريخ، في وادي النيل في هذه المرحلة، هو تطبيقات المسح والتنقيب الآثاري الحديثة، والاستفادة من تقنيات التوثيق الالية، كالحاسوب وأنظمة المعلومات الجغرافية في رسم الخرائط واستعمالات الرادار، وتقنيات الاستشعار عن بعد. إن متابعة هذه التقنيات الحديثة، واستخدامها في منطقة وادي النيل، سيؤدي حتماً إلى تغيرات نوعية في مستوى الأبحاث الميدانية، والمعلومات التي يمكن الحصول عليها. وكما أشير في استعراض أوراق مؤتمر بوزنان سابق الذكر، فإن هذا التوجه سينقل أبحاث ماقبل التاريخ ، إلى حيز البحث في السمات والمؤشرات الوظائفية والرمزية والمعرفية للمعثورات ، ليكمل بها التحليل القائم على أسس التصنيف الآثاري المعهود. كما أن موضوعات العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الأقاليم، سوف تتجاوز موضوع ترتيب المعثورات في حلقات تطورية، الشئ الذي سيطرأ على البحث الآثاري لفترة طويلة (Hassan 1998b: 90-91) .

في ختام هذا يود الباحث أن يبدي أهم الملاحظات العامة، التي أبرزها هذا الاستعراض موجزة في الآتي :

١- أن التقسيم الثلاثي الذي اقترحته لتاريخ أبحاث ماقبل التاريخ، في وادي النيل، ليس نموذجاً متماسكاً تماماً أو صارماً، بل هو مقترح مبدئي يفي بأغراض الاستكشاف الأولية، لاتجاهات البحث المنهجية والنظرية. وقد حاولت أن أنظر من خلاله لتاريخ الأبحاث في هذه الفترة ، وبذلك تيسر تحديد خصائص كل مرحلة بدرجة تساعد في فهم مسيرة البحث ومستقبله، ومهما توفر له من فعالية مجدية، فإنه سيحتاج للتطوير سواء بالإضافة أو التعديل بعد حين.

٢- من الملاحظ أن المرحلتين الأخيرتين، وهما تمثلان أهم ماحدث في تاريخ الأبحاث، تمتازان تقريباً بالإطار النظري نفسه، ماعدا حالات محدودة، هذا الإطار النظري تمثله أطروحات المدرسة التاريخية -الثقافية، وذلك بغض النظر عن قضية البحث المطروحة، وهو -كما ذكرنا - توجه يعتمد أساساً على تصنيف المعثورات وتحليلها، ووضعها في جداول إحصائية، تعكس أنماط التنوع التقني والنوعي، الذي يؤخذ، عادة، على أنه يمثل تنوعاً ثقافياً، وفي الوقت الذي طرأت فيه مواكبة ملموسة للأبحاث العالمية، بالاستفادة من الوسائل التقنية الحديثة، سواء في العمل الميداني أو في تحليل المواد الأثرية، خاصة في المرحلة الثانية، فإن الجانب النظري ظل خالياً من الجدل الفلسفي، ومن الأطروحات الفكرية الحديثة، التي أصبحت علامة بارزة في دراسات ماقبل التاريخ في العالم .

٣- ويتصل بالنقطة السابقة قلة الاهتمام بنتائج الأبحاث الأنثروبولوجية، والاستفادة منها في دراسات ماقبل التاريخ، خاصة أن الاتصال بين العلمين أمر شائع، منذ فترة ليست بالقصيرة. فالمنهج الإثنواركيولوجي، مثلاً، غير مضمن في مشاريع الأبحاث في وادي النيل ربما ما عدا حالة أو حالتين، وهو أمر ملفت للنظر إذا قارناه بما يحدث في مثل هذه الأبحاث في أفريقيا جنوب الصحراء. وهذا أمر بطبيعة الحال، يحتاج الى معالجة إيجابية،

في الأبحاث المستقبلية.

٤- أن جميع مشاريع الأبحاث الميدانية المهمة، ماعدا حالات نادرة تقوم بها فرق أبحاث أجنبية بالكامل، أو يسهم فيها عدد قليل من الوطنيين، يمثلون عادة إدارات الآثار الرسمية. ومن ثم تلاحظ محدودية مساهمة المتخصصين عموماً في البحوث الميدانية، والدراسات المنشورة. إن الذين تخصصوا من الوطنيين في علوم ماقبل التاريخ، وعددهم قليل جداً مقارنة بغيرهم لم يتمكنوا من اختراق سيطرة العنصر الأجنبي في هذه الدراسات بصورة مؤثرة. وليس في هذه الملاحظة ما يوحي بنداء موجه لحجب مجهودات الأجانب أو تقليص نشاطهم خاصة ونحن مدينون لهم بالكثير، لكن فيه دعوة لنا أن ننظر بجدية في هذه المشكلة، ونعمل على معالجتها .

ويبدو لي أن هذا الأمر يعود إلى عدة أسباب منها :

أ- إن دراسات ماقبل التاريخ لم تجذب عدداً معقولاً من الباحثين الوطنيين، مقارنة بالتخصصات الأخرى. وتختلف الدول في مستوى الاهتمام بتأهيل العدد المناسب من المتخصصين. كما يلاحظ أن من تخصص منهم واجه عقبات موضوعية غير متوقعة، تجعلهم يتركون مواقع عملهم. إن وجود آثاريين في هذا الحقل بعدد مناسب من مصر والسودان، سوف يؤثر حتماً على سير عمليات تطوير الأبحاث، وتقديم الأولويات فيها على ما عداها.

ب- مازال ماقبل التاريخ موضوعاً بعيداً عن أهتمام الأكاديميين، لأن بعض الذين يعملون في مجال الآثار يعدون دراسة ماقبل التاريخ نوعاً من الترف. ولا تتوفر الإمكانيات المادية الكافية للآثاريين الوطنيين للقيام بأبحاثهم الميدانية الخاصة . أو مقابلة تكاليف التحليل العلمي للمعثورات، ونشر نتائج الأبحاث. وهناك صعوبة في الاشتراك في الندوات، والمؤتمرات العلمية العالمية، وشراء المطبوعات الحديثة. وقد أشار أكثر من كاتب إلى أزمة الإمكانات المادية في بلدان العالم الثالث عموماً، وتأثيرها السلبي في تأهيل وتطوير قدرات الآثاريين، الذين ينتمون إلى هذه البلدان.

ج- إن عدم رواج دراسات ماقبل التاريخ وسط طلاب علم الآثار والأكاديميين عموماً، يرد جزئياً إلى طبيعة المادة الأثرية نفسها، التي تبدو لكثيرين منهم غريبة ومعقدة في محتوياتها. كذلك يشكل امتداد البعد الزمني السحيق لفترة ماقبل التاريخ صعوبة موضوعية لبعضهم، أمام تقدير أهمية المعلومات، التي تذكر عادة عن حياة الناس في ذلك التاريخ البعيد.

إن الخطوة الأولى في نظري، نحو تحسين أوضاع أبحاث فترة ماقبل التاريخ، التي يقوم بها آثاريون من قطري وادي النيل، هو التوسع في إدخال علوم ماقبل التاريخ الحديثة، ضمن مقررات البكالوريوس في أقسام الآثار بالجامعات، وتوفير الكتاب الجامعي، الذي يفي بالشروط الحديثة. ولإكمال العملية، لابد من إعداد برامج الدراسات العليا المناسبة، لتأهيل المتخصصين بمستويات رفيعة، حتى يتمكنوا من المساهمة مع غيرهم في تطوير هذا المجال من البحث الاثاري ونقله لآفاق رحبة، ينتظم فيها مع ما يماثله في بلدان

د. يوسف مختار الأمين - قسم الآثار والمتاحف -كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ المملكة العربية السعودية.

الهوامش :

(١) وفي هذا الاتجاه نفسه يؤكد عدد من الفلاسفة المحدثين ، مثل هابر ماس وهيربرت ماركوس، في نقدهم للفلسفة الوضعية على أن الظروف الاجتماعية هي المؤثرة في نظرتنا للمادة أو المعلومات الأولية موضوع الدراسة . وكذلك في طريقة تفسيرنا لها .

(٢) يذكر هنا على سبيل المثال G. Daniel ، أحد أشهر المتخصصين في الكتابة عن تاريخ علم الآثار، إذ ألّف العديد من الكتب الرصينة وعشرات المقالات في الموضوع. ومن أهم كتبه في تاريخ علم الآثار .

A hundred and fifty years of Archaeology. London, Duckworth. 1975.

(٣) نشر كون تفاصيل أطروحته في العام ١٩٦٢ بعنوان :

The Structure of Scientific Revolutions.

وقد وجدت طريقها إلى أدبيات علم الآثار الحديث ، خلال المراجعات الفكرية والمنهجية فيه، التي بلغت أوجها في أوائل السبعينات.

(٤) من الأسماء البارزة في هذا الإطار من المصريين : رشدي سعيد ، وفكري حسن ، وبهي العيسوي، ونبيل الحديدي ، والحناوي ... الخ.

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

محمد علي، العباس سيد أحمد ويوسف مختار الأمين ١٩٩٢ م، "مشروع البطانة الأثري في شرق السودان: النتائج والدلالات" **دراسات في الآثار -الكتاب الأول**. قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود، الرياض ،ص ص ٦٥ - ٩٩.

كون، توماس ١٩٩٢، **بنية الثورات العلمية** . سلسلة عالم المعرفة ١٦٨، الكويت، ترجمة شوقي جلال.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Adams, W. Y. 1973. "Strategy for Archaeological Salvage" **Cambridge Monograph Series** vol. 17 :826-835.

Adams, W. Y. 1981. "Paradigms in Sudan Archaeology" **Africa Today**, 28 (2): 15-24.

Arkell, A. J. 1949. **Early Khartoum**. Oxford University Press.

Arkell, A. J. 1953. **Shaheinab**. Oxford University Press.

Arkell, A. J. 1975. **The Prehistory of the Nile Valley**. Leidon

Binford, L. 1966. "A preliminary Analysis of Functional Variability in the Mousterian of Levallois Facies" **American Anthropologist**, (2): 238-295.

Caton-Thompson, G. 1946. "The Levalloisian Industries of Egypt" **Proceedings of the Prehistoric Society** 12: 57-120.

Clark, J. D. 1987. "Fred Wendorf : A critical Assessment of his career in and contribution of North African Prehistory" In : Angela Close (ed.) **Prehistory of Arid north Africa. Essays in Honor of Fred Wendorf**. pp. 1-11.

El-amin, Y. M. 1981. **The later Pleistocene Cultural Adaptations in Sudanese Nubia,**
B. A. R. Internationl Series 114. Oxford.

El-amin, Y. M. 1992. "Archaeological Survey in the Area of Shaqadud Cave, Central Sudan" **Ages,** 7 (2): 43-69.

Haaland, R. 1983. **Migratory Herdsmen and Cultivating Women**. The Structure of Neolithec Seasonal Adaptation in the Khartoum Nile Environment. University of Bergen Press.

Haaland, R. 1997. "Emergence of Sedentism: new ways of living, new ways of symbolizing" **Antiquity**, 71 (272): 374-385.

Hassan, F. 1992. "The Ecological Consequences of Evolutionary Cultural Transformations : The case of Egypt and Reflections on Global Issues". **International Research center for Japanese Studies Int. Symposium No. 6**; Nature and Humankind in the Age of Environmental crisis :29-44.

Hassan, F. 1997. "The dynamics of a riverine civilization: a geoarchaeological perspective on the Nile Valley, Egypt" **World Archaeology**, 29 (1): 51-74.

Hassan, F. 1998a. "Memorabilia. Archaeological Materiality and National Identity in Egypt" In : Stephen Shennan(ed), **Archaeology Under Fire. Nationalism, Politics and Heritage in the Eastern Mediterranean and Middle East**, Lynn Meskell,pp. 200-261.

Hassan, F. 1998b. "The Archaeology of North Africa at Kiekrz 1997," **African Archaeological Review**, 15 (1) : 85-93.

Krzyzaniak, L. 1991. "Early Farming in the Middle Nile Basin: recent discoveries at Kadero, Central Sudan", **Antiquity**, 65 (248) : 515-532.

Marks, A. E.1968. "The Mousterian Industries of Nubia", In : Wendorf, F. (ed.) **The Prehistory of Nubia,** vol. 1, SMU Press, Dallas, pp. 194-314.

Mohammed Ali, A. S. 1987. "The Neolithic of Central Sudan : A reconsideration". In : Angela Close (ed.) **Prehistory of Arid North Africa**, pp. 123-136.

Renfrew, C. and Bahn, P. 1991. **Archaeology, Methods and Practice**. Thames and Hudson, London.

Sadr, K. 1991. **The Development of Nomadism in Ancient Northeast Africa.** Upp, Philadelphia.

Sandford, K. S. and Arkell, W. J. 1933. **Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt**, University of Chicago Oriental Inst. Publication, Vol. 17.

Van Peer, P. 1998. "The Nile Corridor and the Out-of-Africa Model. An Examination of the Archaeological Record" **Current Anthropology,** 39: S115-S140.

Wendorf, F. (ed.) 1968a. **The Prehistory of Nubia**. vol.1. SMU Press, Dallas.

Wendorf, F. (ed.) 1968b. **The Prehistory of Nubia**. vol.2. SMU Press, Dallas.

Wendorf, F. and Schild, R. 1976. **Prehistory of the Nile Valley .** Academic Press, New York.

Wendorf, F. 1980. **The Prehistory of Eastern Sahara.** Academic Press, New York.

Wendorf, (Assemblers) 1989. **The Prehistory of Wadi Kubbaniya**, vol. 2. SMU Press, Dallas.

Trigger, B. 1989. **A history of Archaeological Thought**. Cambridge University Press.

نحو تأصيل التراث الحضاري للجزيرة العربية

عبد الرحمن الطيب الأنصاري

ملخص : تمتلك الأمة الإسلامية تراثاً حضارياً كبيراً، ولاتكاد توازيها في هذا الإرث أمة من الأمم الأخرى . وقد بدأت انطلاقة الحضارة الإسلامية من الجزيرة العربية ، حيث بزغ فجر الإسلام ، واستندت الحضارة الإسلامية على التراث الحضاري في الجزيرة العربية، التي شهدت قيام العديد من الدول والممالك العربية، مثل سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان وحمير واللحيانيين والأنباط وكندة وتدمر. وقد تركت هذه الممالك العديد من الآثار المعمارية والفنية، التي تأثرت بها حياة العرب، وكان لها دور في تكوين الحضارة الإسلامية. ولعل من أهم مايربط الإنسان بالأرض، هو مايعيش الإنسان منه وبه، من مهنة أو حرفة تربطه بمجتمعه، حيث يقدم لمجتمعه خدمة تجعل وجوده ضرورة ملحة بالنسبة لقومه، فيشعر عندئذ بدوره، ومن ثم يتمكن من إجادة مايقدمه، نتيجة للتنافس الشديد بينه وبين أقرانه، في الصنعة أو المهنة. وتتعدد المهن والحرف، بتطور المجتمع وتنوع حاجاته، فتنشأ الحاجة المتبادلة بين الناس. وكان التبادل، أولاً مقايضة نوع بنوع، أو خدمة مقابل صنف، أو سلوك مقابل نوع من الاحتياجات، التي يتميز بها شخص عن الآخرين، فيتحقق بذلك قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وأن لم يشعروا خدم

***Abstract**. The Islamic nation has enjoyed a great cultural heritage hardly matched by any other nation. At the dawn of Islam, Islamic civiliztion rose from the Arabian Peninsula reinforced by the rich cultural heritage of the area. The Arab lands had already witnessed the rise of many Arab kingdoms and states: Sabae, Maen, Hadramawt, Qataban, Osan, Himyar, Lihyans, Nabateans, Kindah, and Palmyra. Those various kingdoms had left many architectural and artistic archaeological remains that had not only influenced the lives of Arabs, but also played a role in the formation of Islamic civilization itself. The strongest tie between a human being and land is perhaps the agency by and through which one may earn one's subsistence. This agency can be a profession or an art that essentially ties a person to the community where, while he / she provides a service to the community, his / her presence becomes a necessity within that society, and thus one realizes his / her importance. Owing to fierce competition among artisian peers, one cannot do without perfecting one's art or profession. Yet, professions and arts grow according to the development and needs of society; people then realize their mutual inter-dependence on one another and start to exchange their services to satisfy their necessities. At first, exchange assumes the form of bartering one item for another, or one service for an item,or a certain behavior for a certain kind of needs that a particular person is capable of satisfying. The essentiality of such mutual activities of trading confirms the common wisdom commemorated by the ancient Arab poet when he insightfully maintained that: aware or not, people to people in all walks of life are only, one to another, servants.*

تمثل الآثار النتاج الحضاري المادي، الذي خلفته الأمم السابقة، وتنقسم إلى : آثار ثابتة، مثل المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية وغيرها؛ وآثار منقولة، وهي التحف المصنوعة من عدة مواد، مثل الحجر والرخام والعظم والفخار والخزف والخشب والزجاج والنسيج والسجاد. أما التراث فهو الموروث الحضاري للأمة، الذي ورثته عن

أسلافها، سواء كان ذلك الموروث مادياً أو أدبياً. وارتكزت الحضارة الإسلامية في انطلاقتها، على تراث حضاري مادي ورثته عن الممالك العربية، التي قامت في الجزيرة العربية قبل الإسلام مثل ممالك سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان وحمير واللحيانيين والأنباط وكندة وتدمر. فكل آثار تراث، وليس كل تراث آثاراً، وبينهما عموم وخصوص والتداخل واضح بين الآثار والتراث، سواء كان منه المادي أو الفكري أو الروحي.

وفي ضوء التعاليم الإسلامية، افترق التراث عن الآثار فيما له صلة بالعقيدة، والتقيا فيما دون ذلك، أي مايمس جوانب الحياة المختلفة. فارتبط التراث بالاثار في العمارة المدنية والفنون والكتابة واللغة والزراعة والحرف والصناعات اليدوية.

ويظهر افتراق التراث عن الآثار، فيما يتصل بالعقيدة جلياً في المعتقدات الدينية الخاصة بالحج والزكاة. فقد كان العرب قبل الإسلام يحجون إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ومنذ أن أقدم عمرو بن لحي الخزاعي، على نصب الأصنام حول الكعبة، فاتخذها العرب آلهة من دون الله سبحانه وتعالى ، أو كما زعموا لتقربهم إلى الله زلفى، فانحرفوا بذلك عن التوحيد، على الرغم من أنهم كانوا يقومون بتأدية بعض أركان الحج وشعائره، مثل الطواف والإحرام والتلبية. لكنهم أدخلوا عليها إضافات وثنية، مثل قولهم في التلبية "لبيك لاشريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك" وغير ذلك؛ ومثل سنهم عادة الطواف عرايا والتصفيق والتصفير أثناء الطواف "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية" (سورة الأنفال ، الآية ٣٥) ومع مرور الزمن حفلت الكعبة المشرفة بالأصنام، مثل آساف ونائلة وهبل (السهيلي ١٣٣٢ : ٦٢/١-٦٦) ، وعندما جاء الإسلام، وتمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، بدأ أول مادخل إلى المسجد الحرام بإزالة الأصنام والصور والتماثيل من حول الكعبة، وطهرها من هذا الرجس (الأزرقي ١٣٥٢: ٧٠/١؛ ابن الكلبي ١٣٤٣: ٣١) "قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً" (سورة الإسراء الآية ٨١).

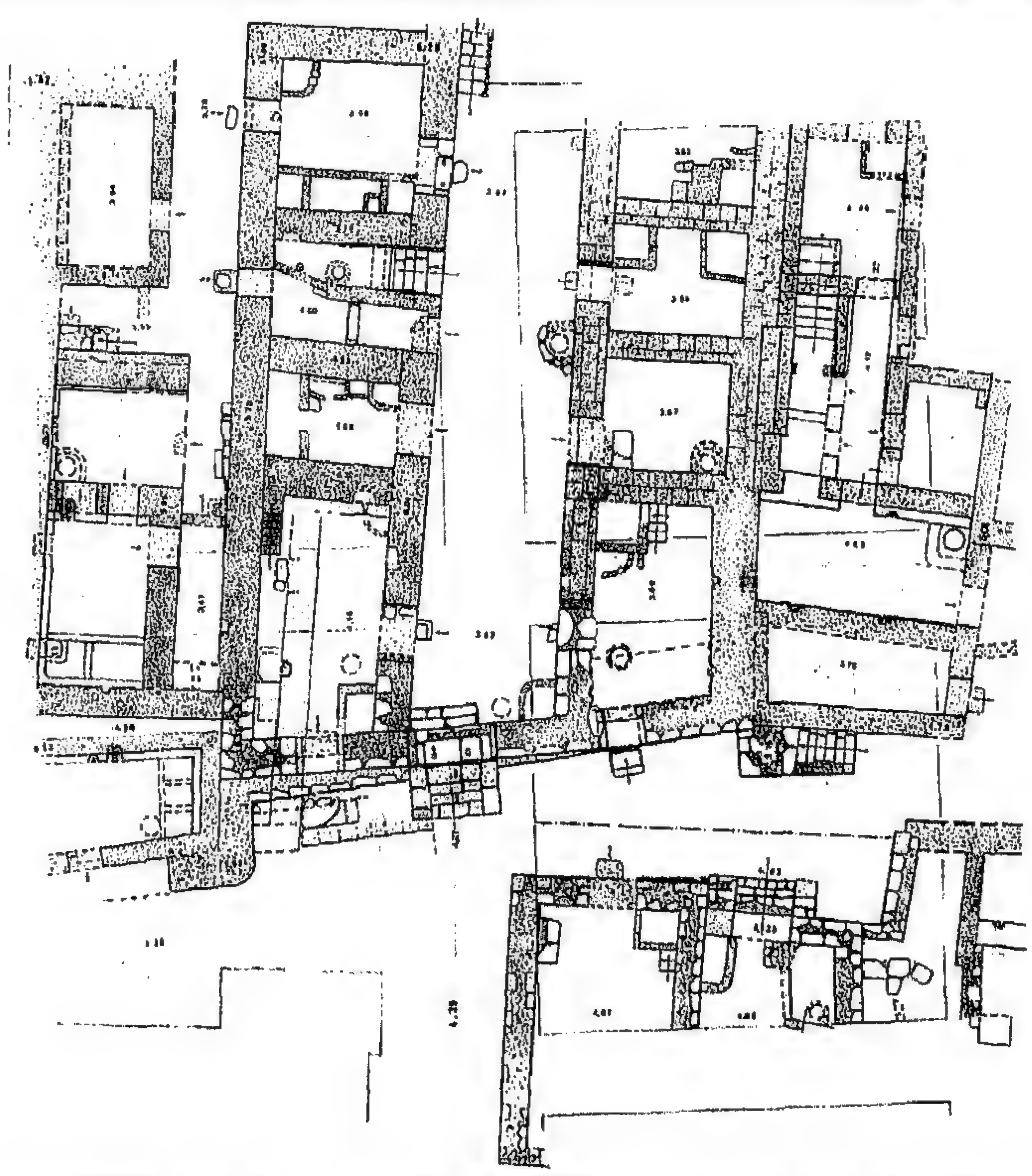
وبهذا فقد ابتعد التراث الديني عن الآثار ،لأن الأمر هنا يخص العقيدة ، فلا يوجد أي ارتباط بينهما. فقد كانت التعاليم الإسلامية واضحة وصريحة، في الفصل بين المعتقدات الدينية والماديات، من أصنام وصور وغيرها. كذلك ينطبق الأمر على الزكاة، التي كان يعرفها العرب قبل الإسلام. وتشير الأدلة الأثرية إلى أنهم قدموا الزكوات والقرابين ، إلى معبوداتهم الكثيرة في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، تقرباً إلى تلك المعبودات. كما فرضت عليهم زكوات على الزروع والحيوانات ولتجارة، تقدم سنوياً إلى المعبودات. وكان القيم على تلك الزكوات، إما الحكام أو الكهنة (الفاسي ١٤١٤: ٢٧٦-٢٨١؛ أبو الحسن ١٤١٨: ٣٨٧-٣٨٩). ولكن بعد دخول الإسلام تغير الأمر تماماً، حيث أوضحت التعاليم الإسلامية أن الزكاة فرض على المسلم تقدم من أجل مرضاة الله وطلباً لغفرانه. وحددت التعاليم الإسلامية وجوه الزكاة، من زكاة المال والزروع وعروض التجارة وأوجه صرفها. وبعد انتقال الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى ، ومنع بعض القبائل العربية دفع الزكاة، حاربهم خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال قولته المشهورة : "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله على وسلم لقاتلتهم عليه". وينطبق الأمر نفسه على الصدقات والنذور ، التي كانت تقدم للمعبودات، والأضاحي التي تذبح لغير الله. فقد وقفت التعاليم الإسلامية هنا حائلاً دون التأثر بالتراث أو بالاثار، التي دلت على تقديم الصدقات والنذور والأضاحي للمعبودات، وخلصت الناس من التعلق بالأوثان من شجر وحجر ،كما خلصت الحج مما لحقه من أوشاب وأدعية وتلبية، تحمل في ثناياها الشرك بالله الواحد الأحد.

العمارة :

اقتبس العرب قبيل الإسلام البناء المتجانس مع تراثهم الحضاري، الذي ورثوه عن الممالك العربية، التي قامت في الجزيرة، إلى جانب مانقلوه عن طريق اتصالهم المباشر بالحضارات المعاصرة. وتحدثت النقوش

العربية القديمة، عن مواد البناء والعمال والمقاييس والمعدات، وانواع المباني والمنشآت الدينية والعسكرية والسكنية، ومنشآت الري والزراعة، وتقسيم البيوت إلى مداخل وأبهاء وحجرات وقاعات، ومرافق خدمية ومنافذ وملاحق. وعرف العرب البناء بالأحجار أو اللبن. وكان تخطيط المدينة يتمحور قبل الإسلام، حول المعبد وقصر الحكم والسوق (لوحة : ١). وبعد الإسلام كان المسجد هو مركز المدينة الإسلامية. فقد أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده في المدينة المنورة، وكان هو مركز العمران بها. وبعد ذلك عندما تأسست مدن الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان، كان المسجد هو البناء، الذي تتمحور حوله بقية مرافق المدينة وبيوتها. وبجوار المسجد كان يوجد قصر الوالي أو الحاكم والسوق، ثم تحاط المدينة بسور ليسهل الدفاع عنها. وبذلك لم يكن المسلمون متأثرين في تخطيط المدن بالفرس أو الروم. فقد كانت أهم المكونات المعمارية في قرية الفاو، على سبيل المثال، تهتم بالمعابد والسوق والقصر والمساكن والمقابر (شكل ٢،١)

ثم تأثرت طريقة تخطيط المدن والبيوت بالتعاليم الإسلامية، مثل القبلة وكونها أحد العوامل المؤثرة في توجيه البيت ، مثل النهي عن استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة، وعدم اختلاط الرجال بالنساء، وحقوق الجار، وحقوق الطريق. وارتبط التراث المعماري بالآثار في تخطيط العديد من المدن الإسلامية وبنائها ، خاصة تلك التي نشأت بجوار بعض المراكز الحضارية القديمة، أو على أنقاضها. فاستعانت في عمرانها بالأساليب المعمارية الموروثة، إلى جانب إعادة استخدام ما أمكن من أحجار وأعمدة وأعتاب وغيرها. واستمر العرب في البناء بالطين، في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، بعد ظهور الإسلام. وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه سكان قرية الفاو (مابين نهاية القرن الرابع قبل الميلاد إلى بداية القرن الرابع الميلادي) بل أن بيوت قرية الفاو كانت تعلوها شرفات مثل الشرفات الموجودة في المباني المشيدة من الطين في نجد، وغيرها من مناطق الجزيرة العربية (الأنصاري ١٤٠٢: ١٨)، وهي نفسها التي تأثرت بها الشرفات



شكل ١ : مخطط مفصل لأحد القصور في قرية الفاو.

الموجودة في المساجد الإسلامية المبكرة، في العصرين الأموي والعباسي، والتي حاول المستشرقون تأصيلها إلى عناصر معمارية مستمدة من الآثار الرومانية والبيزنطية. وشيد العرب بعد الإسلام العديد من القصور، التي تأثرت في عمارتها بالقصور العربية، التي شيدت قبل الإسلام ، ومنها القصور الأموية في صحراء الشام، مثل قصر الحير الغربي، وقصر الحير الشرقي، وقصر هشام في خربة المفجر، وقصر الحلابات، ومجموعة من القصور الأموية، التي شيدت على ضفاف وادي العقيق بالمدينة المنورة. واستمرت العمارة الإسلامية تنهل من التراث المعماري العربي، وظهر ذلك جلياً في عمارة قصر الأخيضر، الذي شيد في العصر العباسي. وفي تخطيط البيوت نجد تشابهاً كبيراً، بين تخطيط بيوت قرية الفاو وبين البيوت المشيدة في الجزيرة العربية بعد الإسلام (شكل : ١)، وإلى يومنا هذا، حيث يتكون البيت من باحة فسيحة، توجد حولها الغرف، وفي الغالب يوجد البئر بداخل هذه الباحة (الأنصاري ١٤٠٢ :١٨) . وقد نقل العرب، بعد الإسلام، هذا التخطيط إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي، فنجده في الشام وشمال أفريقيا والأندلس.

ومن العناصر المعمارية الإسلامية، التي تأثرت بالتراث المادي الموروث :

١- المآذن : خاصة بعض أنواع مآذن المساجد ، مثل مئذنة مسجد سامراء (ق ٣هـ) التي شيدت على طراز الزقورة، ثم شيدت مثلها مآذن عدة، بقي منها مئذنة مسجد أبي دلف في سامراء (ق ٣هـ)، ومئذنة مسجد أحمدبن طولون بالقاهرة (ق ٣هـ) (شافعي ١٩٧٠: ٤٠٠-٤٠٦، ٤٧٩).

٢- الملاقف : عرفت البيوت في الجزيرة العربية قبل الإسلام، نظام تهوية البيوت من الداخل (الملاقف)، واستمر هذا النظام في البيوت بعد ظهور الإسلام، خاصة أنه يناسب التعاليم الإسلامية، التي تحرص على حرمة البيوت، وعدم كشف عورات ساكنيها. ويعزى أسلوب تهوية البيوت من الداخل، إلى أن الإنسان العربي لايهمه المظهر الخارجي، بقدر ما يهمه الجوهر.

٣- شبكات المياه : عرفت بعض المدن العربية القديمة نظاماً فريداً، لتوصيل مياه الشرب الى البيوت، وصرف مياه المجاري عنها. وتشير الأدلة الأثرية، التي عثر عليها في مناطق مختلفة، ومن بينها الفاو ، إلى وجود مجار للمياه النظيفة، وخزانات للمجاري، مما يؤكد وجود مراحيض في الطوابق العليا من المنازل. كما عرفت مدينة العلا نظاماً متقناً في توزيع المياه على المزارع والمنازل (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٢)، ثم ظهر هذا الأسلوب، الذي وجد في الفاو والعلا، في مدينة الفسطاط، التي شيدت بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة ٢١ هـ ، حيث يعد نظام تزويد بيوت الفسطاط بالمياه من أرقى النظم ، التي عرفت آنذاك.

٤- المحاريب : هو مكان وقوف الإمام للصلاة في المسجد. وقد أرجع المستشرقون أصل المحراب الإسلامي الى أصول معمارية هلنستية وبيزنطية، حيث أكدوا أنه تأثر بحنية أفروديت. ونسى هؤلاء، أو تناسوا، أن المنطقة الدينية في (الحجر)مدائن صالح، تضم العديد من المحاريب، التي تشبه في شكلها وتخطيطها، بل وزخارفها، المحاريب الإسلامية (الفاسي ١٤١٤: ٢٥٤-٢٥٥؛ هيلي ١٤٠٦: ١٤٠-١٤٤). وحتى لو قيل أن الأنباط تأثروا في تصميم محاريبهم بما لدى الرومان ، فإن تأصيل المحاريب الإسلامية يجب أن يعود إلى المحاريب النبطية، وليس إلى حنية أفروديت الرومانية.

كما تأثرت المدن الإسلامية بتخطيط المدن العربية قبل الإسلام. فالأحياء المتلاصقة المتصلة، التي تتخللها الطرق الضيقة، التي تؤدي من الخارج إلى الداخل، وتفضي غالباً إلى مركز التجمع الرئيسي، حيث المسجد والسوق. وتهدف هذه الطرق الضيقة إلى تحقيق عدة مزايا، منها :

أ- ضيق الشوارع، مما يؤدي الى اتقاء حرارة الشمس والأمطار.

ب- سهولة الدفاع عن المدينة في حالة الحرب ، عن طريق سرعة الانتقال عبر أسطح المنازل.

ج- ضيق الشوارع وتعرجها يجعل من الصعب على الغريب السير فيها، فينكشف أمره في سهولة ويسر.

وعلى الرغم من كل هذا التراث المعماري، الذي ارتكزت عليه العمارة الإسلامية، أرجع المستشرقون أغلب عناصر العمارة الإسلامية الى أصول فارسية وهيلينستية وبيزنطية وقوطية، بل أن بعضهم تمادى في تجريد العرب من كل مظهر حضاري، ووصفهم بأنهم يعانون عقدة الرعب المتأصل، من الأماكن المغلقة !!.

وقبل الانتهاء من ارتباط الآثار بالتراث المعماري، يجدر أن نعرج على موضوع يتصل بالعمارة، وهو ماعرف في الشعر العربي بالبكاء على الأطلال. فقد درج الشعراء العرب في الجاهلية، في مطالع قصائدهم، على البدء بعدة أبيات يتحدثون فيها عن لوعتهم وحسرتهم، على أيام مضت، وأطلال اندرست. (وما الأطلال، إلا الآثار). وقد ظهر البكاء على الأطلال في الشعر الجاهلي قبيل الإسلام عقب الفترة، التي شهدت انهيار الممالك العربية وسقوطها. فقد سقطت مملكة الأنباط في القرن الأول الميلادي، ومملكة تدمر في القرن الثالث الميلادي، ومملكة كندة في القرن الرابع الميلادي فكأن الشاعر العربي كان يبكي سقوط هذه الممالك في اللاوعي ، دون أن يشعر أنه يتحدث عن ماض عريق ولى ، بسقوط تلك الممالك. ثم شهدت الجزيرة العربية فيما بعد، فترة اضطرابات تغلبت فيها التوجهات القبلية على التوجهات القومية ، ولم تعد للعرب دولة يتحدون تحت لوائها، فعاشت القبائل على الغزو والقتال. ولكن إرهاصات التوحد بدأت في الظهور مرة أخرى قبيل الإسلام، عندما توحدت القبائل العربية وقاتلت جيوش الفرس في موقعة ذي قار، وانتصر العرب على غير العرب لأول مرة، بعد أن كانت أيام العرب كلها حروب أهلية طاحنة. ثم جاء الإسلام ليتوحد العرب تحت رايته ويحملون لواءه إلى شتى بقاع الأرض.

الفنون :

كانت الفنون في حضارات الجزيرة العربية قبل الإسلام، مقترنة -إلى حد كبير- بالمعتقدات الدينية، خاصة في النحت والتصوير. ومن الجدير بالذكر أن العرب عندما عبدوا الأصنام، لم تكن عبادتهم اياها خالصة، أي أنهم كانوا يؤمنون ويعتقدون بأن الله، سبحانه وتعالى، هو خالق الكون ومبدعه. ولذلك لم يبرع العرب في عمل التماثيل والأصنام، بل كانت عبارة عن أشكال تجريدية، لأن الذاكرة العربية أيقنت بأن الإله الحق، لا يمكن تمثيله ولاتشبيهه تشبيهاً كاملاً. وكما يحدثنا القرآن الكريم، فإن بداية فكرة عبادة الأصنام جاءت عن طريق عمل تماثيل لبعض الصالحين، يقول الله تعالي "ولاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسراً" (سورة نوح ، الآية ٢٣) . ومن ثم تحول الناس لعبادتهم. لذا، فإن أصنام العرب لم تكن مثل المعبودات الفرعونية ، أو الإغريقية ، أو الرومانية، التي كانت تمثل مخلوقات حقيقية، أو خرافية، تمثيلاً كاملاً ومتقناً؛ بل جاءت تماثيل معبودات العرب في شكل تجريدي (Nielsen 1927: 163) . وبعضها، مثل اللات ، رمز له بصخرة، وبعضها لم تعرف له تماثيل، مثل المعبود ذو غيبة ، الذي عبد في العلا أيام اللحيانيين (أبو الحسن ١٤١٨: ٣٩٤-٣٩٥) . وكذلك كهل والمقه في كندة وسبأ. وظل اعتقاد العرب راسخاً بأن هذه المعبودات لا تمثل الله. ولذلك كان جدالهم مع الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد البعثة أنهم إنما يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى. وبعد الإسلام انعكست تعاليمه على الفنون. فابتعد الفنان المسلم عن تصوير الأشكال الآدمية والحيوانية، وبرع في الزخارف النباتية والهندسية. وأدت التعاليم الإسلامية، أيضا، إلى قيام فن جديد هو الخط العربي، الذي برع فيه الفنان المسلم، من خلال الاعتزاز بالقرآن الكريم، والحرص على كتابته بأشكال فنية مختلفة، سواء على المخطوطات، أو على واجهات المساجد والمنابر. وبدأت بواكير فن الخط العربي تظهر على قبة الصخرة، التي شيدت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ/ ٦٩١ م . واستمرت الخطوط العربية تظهر على جميع الآثار الإسلامية، من عمائر وتحف منقولة، مثل الخزف والرخام



لوحة ١ : منظر لسوق قرية الفاو.

والخشب والنسيج والسجاد وغيرها، إضافة الى المخطوطات والتي شملت القرآن الكريم ، وكتب العلوم المختلفة.

أما الزخارف النباتية، فقد برع فيها الفنان المسلم ، حتى يبتعد عن تصوير الرسوم الحية، وإن كانت بعض الآثار الإسلامية المبكرة، من عمائر وتحف منقولة قد زخرفت بالرسوم الحية، ومنها القصور الأموية في صحراء الشام، مثل قصر هشام بخربة المفجر ، وقصر الحير الغربي، وقصر الحير الشرقي ، وقصير عمرة ، فقد حفلت هذه القصور بلوحات من الفسيفساء، أو الألوان المائية (الفريسكو)، التي تمثل مناظر صيد أو صوراً آدمية وحيوانية، لموضوعات مختلفة. وقد حاول المستشرقون هنا أيضاً تأصيل طريقة الرسم بالألوان المائية (الفريسكو)، إلى أصول رومانية وبيزنطية. إلا أن الاكتشافات الأثرية في قرية الفاو، وفي شبوة بحضرموت، أثبتت أن العرب قد عرفوا هذا النوع من الرسوم ،التي تقوم أساساً على طلاء الجدران بطبقة رقيقة من الجص، والرسم عليه قبل أن يجف (لوحة :١).

ومن المشاهد التي نراها حتى اليوم في البيوت العربية، تزيينها ببعض صور الحيوانات والطيور والناس؛ إن ما يرسم على البيوت في بعض البلاد العربية والإسلامية، من مناظر رحلة الحج وغيرها، فإن ذلك كان صدى لما عرفه العرب قبل الإسلام. فقد عثر في دكان فنان قرية الفاو على ثلاث لوحات، تمثل الأولى رحلة صيد للجمال قام بها شخص يمتطي صهوة جواده؛ والثانية رسم شخص كتب فوقه اسمه. والثالثة تمثل كلاباً تسير في معية أحد المواكب، ورسم لبعض الكواكب ورسوم آدمية في شكل تجريدي (الأنصاري ١٤٠٢: ٢٤-٢٥).

ولكن شيئاً فشيئاً تخلص الفنان المسلم من الزخارف الحية ، وتركز إبداعه في الزخارف النباتية، التي أبدع فيها مع مرور الزمن فناً إسلامياً خالصاً، هو ماعرف في تاريخ الفن بالتوريق "الأرابيسك"، وهو عبارة عن زخرفة نباتية غير متناهية كما برع الفنان المسلم في تشكيل نماذج رائعة من الرسوم الهندسية المبتكرة،

تمثلت بصفة خاصة في أعمال الفسيفساء وفي أعمال الخزف والزجاج والخشب والحجر والرخام والنسيج والسجاد.

إذن فإن التعاليم الإسلامية، التي لاتسمح بتصوير الكائنات الحية، من إنسان وطير وحيوان، حالت دون أن يكون الفن وسيلة تقرب من أجل الدين. كما كان الحال في الحضارات العربية قبل الإسلام. فأوقف الإسلام اقتران المظاهر المادية بالعقيدة، وفي هذا الصدد يروي المؤرخون أن رجلاً اسمه أبو جُزأة، جاء إلى ابن عباس رضي الله عنهما وقال له : انه كان رساماً يرسم الصور ويرتزق منها . والآن فقد حرم الإسلام التصوير. فقال له ابن عباس: صور ماليس فيه روح.

وانتج إبداع الفنان المسلم في الزخارف النباتية ، ماعرف في تاريخ الفن بطراز سامراء (بداية القرن الثالث الهجري)، وهي طرز زخرفية قامت أساساً على الزخارف النباتية. وكانت في الطراز الأول محاكية للطبيعة، وفي الثاني أقل تجريداً أما الطراز الثالث فكان أكثر تجريداً.

في الإطار نفسه يجدر أن نذكر أن المسكوكات، التي كانت متداولة لدى العرب قبيل الإسلام، من الدراهم الفارسية والدنانير والفلوس البيزنطية إضافة إلى مسكوكات بعض الممالك العربية، مثل المسكوكات الحميرية، كانت تحمل صوراً للملوك، ورموزاً تعبر عن عقائد تلك الأمم. فقد صور على الدراهم الفارسية بيت النار والكهنة، وعلى الدنانير والفلوس البيزنطية الصلبان وصور الأباطرة البيزنطيين. وبعد الإسلام أقر الرسول، صلى الله عليه وسلم، استخدام هذه المسكوكات في التداول، ثم بدأت خطوات التعريب. فبدأ الخلفاء من عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في إضافة بعض العبارات على تلك المسكوكات، مثل بسم الله، وبسم الله ربي وغيرها. وبدأت أولى خطوات التعريب في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الذي ضرب في البداية مسكوكات نقش عليها صورته، متقلداً سيفه، وضربت في عهده مسكوكات عليها رسم لثلاثة أشخاص. ثم عربت المسكوكات الإسلامية تماماً، وحذفت منها الصور والرموز الدينية، وصارت زخرفتها الأساسية هي الخط العربي وبعض الزخارف النباتية. وكانت بداية التعريب في سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م، لكن الصور ظلت تظهر على بعض الفلوس، التي ضربت في العصر الأموي، كما ظهرت الصور على المسكوكات الإسلامية من حين لآخر، خاصة على المسكوكات التذكارية. كما أن بعض الدول الإسلامية كانت مسكوكاتها حافلة بالصور، مثل بني أرتق في شمال العراق، مابين القرنين السادس والسابع الهجريين (محمد ١٩٦٥: ٤٢؛ العش ١٤٠٤: ١٩٧؛ Lane-Poole 1877: 221).

اللغة والكتابة :

عرف العرب الكتابة، وكانت لهم عدة أنواع من الخطوط. فالخط المسند استعمل في ممالك جنوب الجزيرة العربية: سبأ، ومعين ، وقتبان ، وحضرموت، وأوسان ، وحمير ،وكندة . كما عرف أيضاً في الشمال، حيث استعمله اللحيانيون في العلا، إلى جانب الخط الآرامي، الذي تطور على يد الأنباط فكتبوا به في البتراء، وفي الحجر، ثم في تدمر. أما أرباب القوافل وسكان البادية، فقد استخدموا ماعرف اصطلاحاً بالكتابات الثمودية والصفوية، إذ كتب أرباب القوافل بخط الأعراب، عندما كانوا ينتقلون بقوافلهم بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها وينزلون في حواضر اليمامة والحجاز واليمن. وكانوا يختارون من حروف هذا الخط وسوماً يسمون بها أنعامهم، ومازالت هذه العادة معروفة لدى العرب حتى يومنا هذا .

وتعد الكتابة من أهم الموروثات التراثية ، بل لولا الكتابة لما كان هناك تراث. فقد كانت الكتابة هي الأداة، التي انتقل عن طريقها التراث من جيل إلى جيل. وقد تطور الخط العربي من الكتابات العربية النبطية. وبعد ظهور الإسلام اهتم المسلمون بالكتابة، من أجل تدوين القرآن الكريم. وكانت الكتابة تتم على العسب (جريد النخل)، والعظم والرق والأديم والبردي. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن كثيراً من المصادر التاريخية



لوحة ٢ : رسم ملون (فريسكو) وجد في معبد من معابد قرية الفاو ، وهو لمعبود من المعبودات ، لعله (باخوس).

العربية، تحدثت عن جهل العرب بالكتابة قبل الإسلام، إلا أن الأدلة الأثرية، التي تزخر بها الجزيرة العربية، تدل على العكس من ذلك تماماً. فما ترك العرب مكاناً في جزيرتهم إلا وسجلوا عليه نصوصاً قيمة، بجانب ماكشف عنه من كتابات في المراكز الحضارية ، في شتى أنحاء الجزيرة العربية. ففي قرية الفاو، أظهرت الاكتشافات العديد من الأسماء والمفردات، منها شاهد قبر الملك معاوية بن ربيعة ملك قحطان ومذحج. كما استطعنا من خلال الكتابات، التي عثر عليها في الفاو، التعرف على أسماء بعض المعبودات، مثل: كهل وإل واللات وعثتر – أشرق والعزى ومناة وود وشمس. ومن أسماء الأعلام : عبد العزى وعبد شمس وأقصى ، وبهذا يتضح أن العرب لم يكونوا أمة لايجيدون بل يعرفون القراءة والكتابة (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٣-٢٤). وإلا ما معنى القدر الكبير من ألفاظ الكتابة، التي وردت في القرآن الكريم؟ وهل يمكن لمجتمع أن يرتفع إلى هذا المستوى من البلاغة والفصاحة، وأن يكون القرآن الكريم معجزاً له ، وهو جاهل بالقراءة والكتابة ؟ وهل يتفق أن يجتمع لرسول الله، صلى الله عليه وسلم ، حوالي ٦٠ كاتباً للوحي، مع ماقيل من ندرة العارفين بالقراءة والكتابة؟

وكذلك تأثرت طريقة الكتابة بعد الإسلام بما كان متبعاً في الكتابات، التي عثر عليها في قرية الفاو. فالنص الكتابي يوجد داخل إطار محدد، وهي الطريقة التي استخدمت على نطاق واسع من قبل الخطاطين العرب المسلمين بعد الإسلام.

وظل العرب بعد الإسلام يستخدمون البردي والرق في الكتابة، حتى دخلت صناعة الورق في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. ولم يمر زمن طويل، حتى كان المسلمون قد أدخلوا تحسينات كبيرة على هذه الصناعة. وساعدت صناعة الورق وسهولته في الكتابة، على تسجيل التراث الإسلامي. فبدأت في العصر العباسي حركة تدوين كل العلوم والمعارف، التي توصل إليها المسلمون ، إلى جانب ازدهار حركة ترجمة

علوم الأمم الأخرى، مثل الفرس واليونان.

وارتبط التراث بالآثار أيضاً في اللغة ومفرداتها، فما زالت بعض الكلمات العربية القديمة مستعملة حتى الآن في اللهجات الفصيحة والعامية، لدى الشعوب العربية. ونذكر منها المسجد على سبيل المثال. وقد عرف العرب المسجد بوصفه مكاناً للعبادة قبل الإسلام، وقد جاء في نقوش المنطقة الدينية في الحجر (مدائن صالح) نقش نصه :

"هذا المسجد الذي أنشأه شكوم بن ثورا لأعرا الموجود ببصرى إله رب إل ...." (الأنصاري ١٤٠٤: ٤٠-٤١).

ومن أمثلة وجود بعض الكلمات القديمة، استعمال اللغة الحميرية، التي تقوم على حذف حرف اللام من أداة التعريف، وإبدالها بحرف الميم، وكانت هذه اللغة -ومازالت دارجة- بين سكان تهامة وعسير وبعض مناطق اليمن ،وورد بها حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روي عاصم بن مالك الأشعري رضى الله عنه قال :

"سأل سائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله هل من امبر امصيام في امسفر قال صلى الله عليه وسلم : ليس من امبر امصيام في امسفر".

الزراعة :

كانت ندرة المياه في الجزيرة العربية هي الشغل الشاغل للإنسان منذ أقدم العصور، في بيئة عرفت بقلة مصادر المياه وشحها. فاعتمدت الزراعة بصفة أساسية على مياه الأمطار والآبار والعيون، مما استدعى معرفتهم بالأمطار وصفاتها، وعلامات سقوطها وانحباسها، والآبار وطرق حفرها، ووسائل رفع المياه من الآبار، والأدوات المستعملة في ذلك، وصيانة الآبار وحمايتها، ووسائل خزن المياه، كالمآجل والبرك والكرف والأحواض والصهاريج والمقالد والأهوار والبحيرات والمناضح، وتوضح هذه المسميات مدى الغنى الواضح في مفردات مصانع جمع المياه، ومدى الحاجة إليها.

وتحدثت النقوش العربية عن الأراضي الزراعية، ومواسم الزراعة وأساليبها ومحاصيلها، والحصاد والدياسة وتخزين المحاصيل الزراعية، والمعاملات الزراعية، ومايتبع ذلك من عقود وضرائب وتنظيمات زراعية، إضافة الى الآفات والكوارث الزراعية وحظائر الحيوانات (الفاسي ١٤١٤: ١٩٥-١٩٦)؛ أبو الحسن ١٤١٨: ٣٩٩-٤٠٢؛ النعيم ١٤٢٠: ١٩٥-٢٠٤). واعتمد العرب على أساليب عديد لرفع المياه من الآبار والعيون، وتوزيعها على الأراضي الزراعية. وقد عرفت العديد من المدن العربية أساليب متقدمة في الري، منها مدينة العلا ، التي عرفت تنظيماً متقدماً لقنوات الري. فقد كانت القنوات تحمل المياه من الآبار، ويتم تبطين القنوات بالأحجار حتى تمنع المياه من التسرب ، توزع القنوات المياه على المزارع (Jussen & Savignac 1997: 38-40).

وتعد الزراعة أحد المظاهر، التي تتطابق فيها الآثار مع مانعرفه من التراث في عدة مجالات، مثل : طرق الري والحصاد، وأنواع المحاصيل، ووقت الزراعة، مع مايلزم ذلك من معرفة بأوقات دخول الفصول وانتهائها، واستخدام بعض المعدات، مثل الساعات الشمسية.

الحرف اليدوية والصناعات التقليدية :

ذكرت النقوش العربية القديمة العديد من الصناعات، التي أتقنها العرب، مثل: صناعة الخشب والكتان، ودباغة الجلود، والغزل والنسيج وأسماء المنسوجات وأنواعها، وآلات النسيج، وأسماء النساجين والصباغة والأصباغ، وبالبحث في نقوش المسند الجنوبي وجد ما يقارب من ثلاثمائة مفردة تدل على حرفة، أوصناعة، أو مهنة، عرفت في ممالك جنوب الجزيرة العربية : أوسان ، وقتبان ، وحضرموت، ومعين وسبأ وحمير وكندة (الأنصاري ١٤٠٢ : ٢٥-٣٠).

وتوجد العديد من الحرف والصناعات، التي ارتبط فيها التراث بالآثار ارتباطاً وثيقاً، مثل الصناعات المعدنية، من سيوف وخناجر وحلى ذهبية وفضية ، وهي صناعة شهدت الكثير من الرواج عند العرب قبل الإسلام، ومازالت من الصناعات التراثية المتوارثة حتى اليوم، ومن الصناعات الأخرى النجارة، والغزل والنسيج،

والفخار، والصناعات الحجرية، وصناعة الخوص، والأطعمة، التي ماتزال تحتفظ بأسمائها القديمة، مثل السويق.

١- النجارة : تعتمد أساساً على الأخشاب المتوفرة في البيئة المحلية، مثل خشب أشجار النخيل في الواحات، أو خشب أشجار السنط والأثل، وغيرها. وتتكون المصنوعات الخشبية من الأبواب، والشبابيك، والأسرة، والصحاف، والأقداح.

٢- الصياغة : وهي صناعة الحلي والجوهرات، وتعتمد على الذهب والفضة، وتتكون أدواتها من سندان ومطارق، ومقارض وبوتقات للصهر، والقوالب للصب.

٣- تعد الصناعات الحجرية هي الصناعة الأكثر انتشاراً وشيوعاً، لأنها صناعة ذات إنتاج كبير، لحاجة الناس الماسة إليها في حياتهم اليومية، لاستعمالها في صناعة المجامر والمذابح والموائد والتماثيل وصحائف الكتابة والمعاصر والمجارش والمطاحن والبناء، وتعد الرحى من أشهر الصناعات الحجرية الباقية إلى الآن، وتتكون من قطعتين من الحجر، السفلى ثابتة على الأرض والعليا توضع وتدار بواسطة مقبض من الخشب ، مثبت في طرفها، وتوجد فتحة في منتصف القطعة العليا توضع من خلالها الحبوب. وقد وجدت الرحى ضمن آثار كثير من المدن العربية، وماتزال مستخدمة حتى الآن.

٤- الفخار : صناعة موغلة في القدم، وماتزال متوارثة وموجودة حتى الآن، وتعتمد على الطين بوصفه المادة الخام الأساسية للصناعة، والدولاب، الذي يدار بالقدم، وبعض أدوات زخرفة يرسم بها الصانع بعض الرسوم والنقوش، ثم الفرن لحرق الفخار بعد تشكيله ، واشتهرت الممالك العربية بإنتاج أنواع جيدة من الفخار، مثل مملكة الأنباط. كما اشتهرت بعض المدن، مثل تيماء، بإنتاج أنواع كثيرة ومتعددة من الفخار (أبو درك ١٤١٩: ٦٩-٧٤)، وتعد صناعة الفخار من الصناعات التقليدية، التي تشهد بوضوح على ارتباط الآثار بالتراث.

٥- الخوص : من الصناعات التي ازدهرت في الواحات، التي يكثر بها النخيل، مثل : اليمامة والأحساء والقطيف والعلا وتيماء والمدينة المنورة وغيرها ، وتعتمد هذه الصناعة على خوص سعف النخيل، وعمل أبسطة وأدوات منزلية تحفظ فيها الأطعمة وتحمل فيها الثمار، مثل المكتل. واستخدمت عيدان جريد النخيل في صناعة الأقفاص، والأسرة، وأسقف المنازل، ولاتزال هذه المنتجات مستعملة حتى الوقت الحاضر، في بعض مناطق الجزيرة العربية، وفي بلاد الشام، ووادي النيل، وشمال أفريقيا.

٦-الغزل والنسيج : برع العرب في غزل صوف الأغنام، ووبر الجمال، إلى خيوط، ومن ثم حياكتها إلى ملابس وأشرعة، وكان الصوف هو المادة الخام الأساسية في صناعة الملابس، إلى جانب استخدام الأنوال اليدوية، في صناعة الأبسطة والسجاجيد.

٧- الحدادة : تعتمد على الحديد وصهره وطرقه وتشكيله، بواسطة أدوات متنوعة، مثل : المطارق والمثاقب والمبارد والكير والسندان. وقد برع العرب في هذه الصناعة وبصفة خاصة السيوف، التي كانت السلاح الوحيد للدفاع عن النفس ، وأطلقوا عليها عدة مسميات، مثل المهند والصمصام وذو الفقار، إلى جانب صناعة الخناجر والأدوات المنزلية العديدة، التي يحتاج اليها الإنسان في حياته اليومية. وقد تفوق العرب في صهر الرصاص والبرونز وصبهما، وقد صنعوا من البرونز المسكوكات والمكاييل والموازين، كما صنعوا منه تماثيل آدمية وحيوانية ومصابيح ومسارج ولوحات الكتابة ، التي توضع في المعابد، أو تعلق على جدرانها من الخارج. ووجدت إحدى تلك اللوحات معلقة على جدران معبد (عثتر-ود) من الخارج ، في قرية الفاو (الأنصاري ١٤٠٢: ٢٨) ويذكر هذا بما كان يعلق على أستار الكعبة، وصحيفة قريش التي علقتها عند مقاطعتها لبني هاشم، والحدادة، أيضاً من الصناعات التي ارتبط فيها التراث بالآثار، ارتباطاً وثيقاً.

الفنون الشعبية :

كان العرب مولعون بالفنون منذ القدم. وقد ارتبطت هذه الفنون قبل الإسلام بالدين والعقيدة في الأغلب. وكانت الرقصات والأغاني تؤدى باعتبارها جزءاً من الطقوس الدينية. وعثر على الكثير من النقوش، التي تمثل مناظر الرقص والطرب ، وغيرها، على العمائر والتحف المنقولة، التي تعود للحضارات العربية قبل الإسلام، ومن أمثلتها لوحة تمثل منظر رقص عثر عليها في سفوح جبل مريبخ، الذي يقع غربي قرية الفاو. وتأثرت بذلك الفنون الإسلامية فيما بعد، فرأينا العديد من التحف الإسلامية، التي صورت عليها مناظر الرقص والمطربين، وغير ذلك، فنجدها على الخزف والخشب، وفي وقتنا الحاضر نحس أن الرقصات والأغاني الشعبية، ماهي إلا صدى لما عرفه العرب قبل الإسلام وبعده، مثل :

١- العرضة : وهي رقصة الحرب، ويؤديها صفان من الرجال يقفات متقابلين، وبينهما يقف حاملي الدفوف والطبول. وربما كانت العرضة تعني استعراض الجيوش قبل خروجها للقتال ، ومن ثم إلقاء بعض الأشعار والخطب الحماسية لشحذ همم المحاربين، ثم صارت من الرقصات التراثية، ويطلق على الشعر الذي يقال أثناء العرضة "حربيات" ، وقد أصبحت العرضة فيما بعد، رقصة النصر على الأعداء.

٢- الهجيني : هو غناء أرباب القوافل ، وقد عرف العرب السفر والترحال منذ القدم، عندما كانوا ينقلون تجارتهم بين جنوبي الجزيرة العربية وشماليها، وكانوا يقطعون المسافات الشاسعة بالغناء، وهو الفن الذي عرف بالحداء ، واستمر هذا الفن بعد الإسلام، فقد استقبل الأنصار الرسول، صلى الله عليه وسلم ، بعد وصوله إلى المدينة المنورة وهو ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

كما كان الصحابة رضوان الله عليهم ينشدون أثناء بنائهم مسجد قباء :

لاعيش إلا عيش الآخرة
اللهم فأرحم الأنصار والمهاجرة
(السهيلي ١٣٣٢: ٢/١٢).

وفي موقعة أحد كانت هند بنت عتبة ، تستحث جيش المشركين على الثبات في القتال قائلة:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشى القطا النواتق
إن تقبلوا نعانق وإن تدبروا نفارق
فراق غير وامق
السهيلي ١٣٣٢: ٢/١٣٠).

كما ارتجل أحد الصحابة، الذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، حداء يلتزم فيه بالتعاليم الإسلامية، ويعبر عن عقيدته فكان يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولاتصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

وعرف العرب، منذ القدم أيضاً، بعض الآلات الموسيقية، مثل الربابة والسمسمية والمزمار، وهناك صور للسمسمية في جبال عكمة بالعلا، ترجع الى فترة حكم اللحيانيين.

وقد ساعدت الأعمال الرائدة، التي أنجزها نخبة من الدارسين العرب، في مجال الدراسات اللغوية والحضارية والثقافية، من خلال خلخلة النصوص العربية القديمة، وفك طلاسمها، وإخراجها للباحثين، في فهم هذه الحقائق والوصول اليها، بعد أن كان هذا العلم حكراً على من يكتبون أو يقرأون بلغات أجنبية من المتخصصين في هذا الجانب، وبذلك لم يعد تراثنا حكراً للآخرين يفسرونه كيفما يشاءون، ليوافق توجهاتهم الثقافية والأيدلوجية.

أ. د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري : عضو مجلس الشورى.

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ١٣٥٢ هـ **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي ملحس ، المطبعة الماجدية.

الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب ١٤٠٢ هـ **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**، جامعة الرياض ، الرياض.

الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب وأحمد غزال ، جيفري وكنج ١٤٠٤ هـ **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية العلا (ديدان) الحجر (مدائن صالح)** ، قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود، الرياض.

أبو الحسن ، حسين بن علي ١٤١٨ هـ **قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض .

أبو درك ، حامد إبراهيم ١٤١٩هـ : **مقدمة عن آثار تيماء**، الطبعة الثانية، وكالة الآثار والمتاحف ، الرياض.

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ١٣٣٢هـ :**الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام** ، مطبعة الجمالية ، مصر.

شافعي ، فريد ١٩٧٠م **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

العش ، محمد أبو الفرج ١٤٠٤هـ **النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني** ، وزارة الإعلام، الدوحة، قطر.

الفاسي، هتون أجواد ١٤١٤ هـ **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة مابين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي** ، الرياض.

ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ١٣٤٣ هـ **كتاب الأصنام** تحقيق: أحمد زكي، الهيئة القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر .

محمد ، عبد الرحمن فهمي ١٩٦٥م **موسوعة النقود العربية وعلم النميات - فجر السكة العربية**، دار الكتب ، القاهرة ، مصر.

النعيم ، نورة علي عبد الله ١٤٢٠ هـ **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض.

هيلي، جون ١٤٠٦ هـ "الأنباط ومدائن صالح"، **أطلال**، ١٠ : ١٣٥-١٤٤.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Houes of Seljock. Urtuk, Zengee etc. in the **British Museum**, London.

Nielsen, D, 1927 **Handbuch det Altarabischen Altertumskunde** Leipzig.

Jussen. A. et Savignac. R, 1997 **Mission Archeologique en Arabie II EL-'ELA, D'HEGRA ATEIMA, Harrah de Tebouk.** Institut - LE CAIRE.

Lane-Poole, S, 1877 **The Coins of the Turkman**

أدوماتو
Adumatu

دراسة لمشغولات فنية من موقع الأخدود بنجران

حميد بن ابراهيم المزروع

ملخّص : يدرس هذا البحث ثلاث مشغولات فنية (لم تنشر من قبل) ، من موقع الأخدود الأثري في نجران. تجسد هذه المشغولات أشكالاً آدمية ، اثنين منها مصنوعان من البرونز ، والثالث من الحجر الجيري . وتركز الدراسة على تحليل المظاهر الأسلوبية لهذه الأعمال الفنية ، كما تحاول الوصول إلى بعض النتائج الأولية المتصلة ببعض المفاهيم والدلالات الحضارية ، التي قد تعكسها هذه الأعمال المتميزة، إضافة إلى الفترة الزمنية التي قد تنتمي إليها.

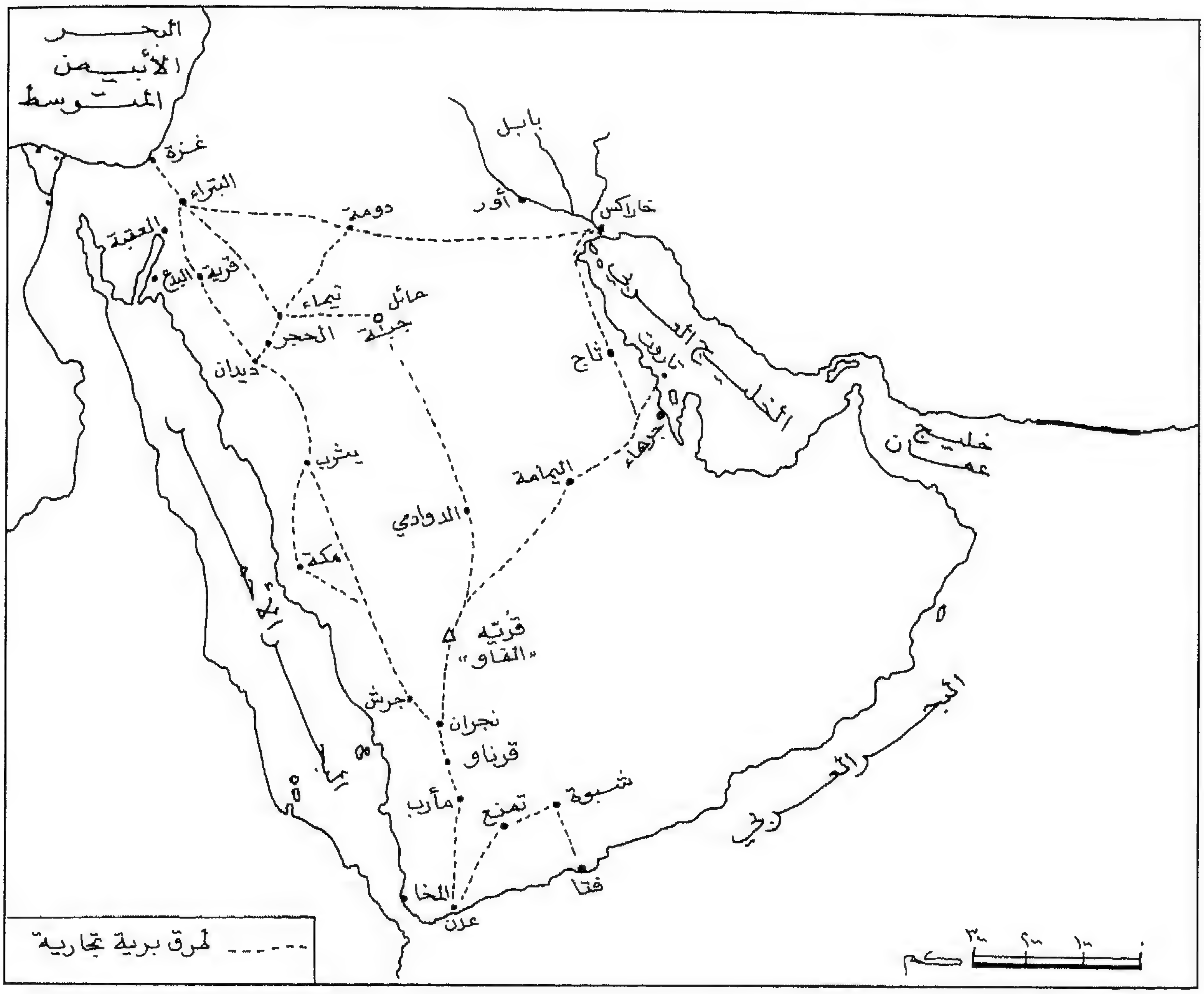
Abstract: This study addresses three sculptural objects discovered in the archaeological site of al-Ukhdud in Najran. All three objects depict human figures; one of the three is made of limestone, and the other two of bronze. While concentrating on the analysis of the objects' stylistic features, the study also seeks certain preliminary conclusions pertaining to their date and cultural significance.

يُعد موقع الأخدود، الذي يقع إلى الجنوب من وادي نجران، من المواقع الأثرية المهمة التي شهدت استيطاناً حضارياً مبكراً ، وتعود أهمية هذا الموقع، عبر التاريخ القديم للجزيرة العربية ، لعدة أسباب حيوية، لعل أبرزها : كونه يقع في وادي نجران حيث التربة الخصبة، والنشاط الزراعي، كما اكتسب أهمية اقتصادية متزايدة حيث أصبح محطة تجارية، على الطريق التجاري القديم (Groom 1981: 187-188)، الذي يربط الممالك العربية القديمة في اليمن السعيد، وتلك التي ظهرت في وسط وشمال الجزيرة العربية (خارطة ١).

ورد ذكر نجران في العديد من كتب الرحالة والمؤرخين، التي لايتسع المجال لذكرها (زارينس وآخرون ١٤٠١) ، إلا أن آخر الدراسات الأثرية (زارينس وآخرون ١٤٠٣)، تشير إلى أن موقع نجران الأثري يتكون من مساحة شبه مستطيلة، تبلغ حوالي ٢٣٥ متراً مربعاً ، ويحتوي على العديد من المعالم الأثرية، منها المنشآت المعمارية، وكذلك الأسوار المرتفعة، كما يشتمل الموقع على مجموعة من أنظمة الري القديمة، منها سد للتحكم بمياه الأمطار والسيول، يقع في أقصى الطرف الجنوبي للموقع ، إلى جانب مجموعة من الآبار. كما كشفت هذه الدراسات نفسها، عن أنماط الفخار المستخدم ، ومن ناحية أخرى، توصلت هذه الدراسات إلى تحديد الفترة الزمنية ، التي شغلها الموقع، وقد امتدت بناء على نتائج تحليل الكربون المشع، من ٥٣٥ ق.م - ٣٢٥م، وهي فترة تزيد عن سبعة قرون.

لاشك أن موقعاً بهذا الحجم والعمق الحضاري، جدير بأن يكشف عن مشغولات فنية في غاية الأهمية، منها ماهو محل هذه الدراسة (١) ، وأخرى ربما ماتزال كامنة تنتظر الاكتشاف والدراسة. وتشتمل مادة الدراسة لهذا البحث على الآتي :

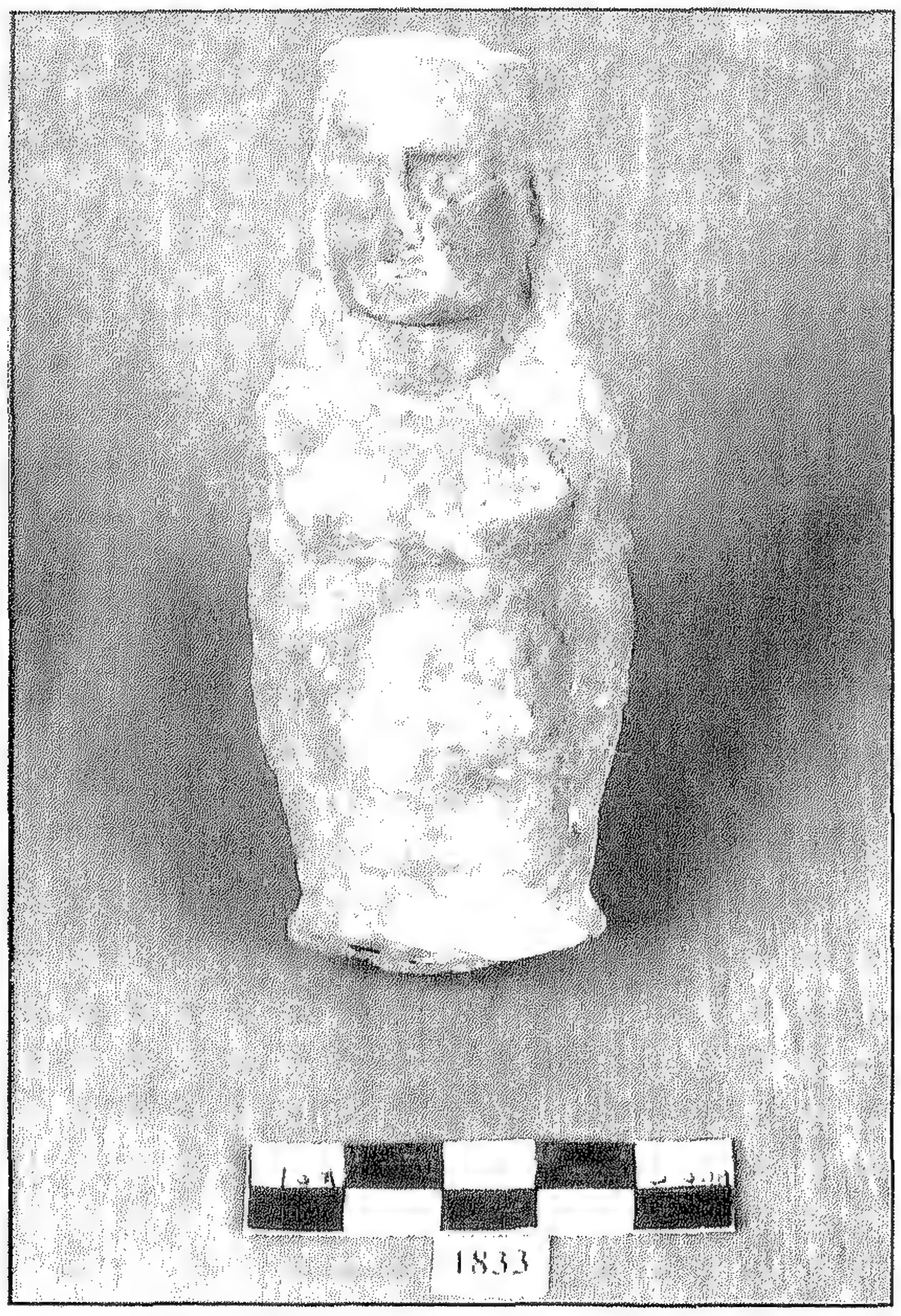
١- تمثال صغير من الحجر الجيري، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣٣، ويبلغ ارتفاعه ١٠سم وعرضه ٤ سم، يمثل امرأة واقفة (لوحة ١)، الجزء الأسفل من التمثال مفقود، والأيدي مسدولة على



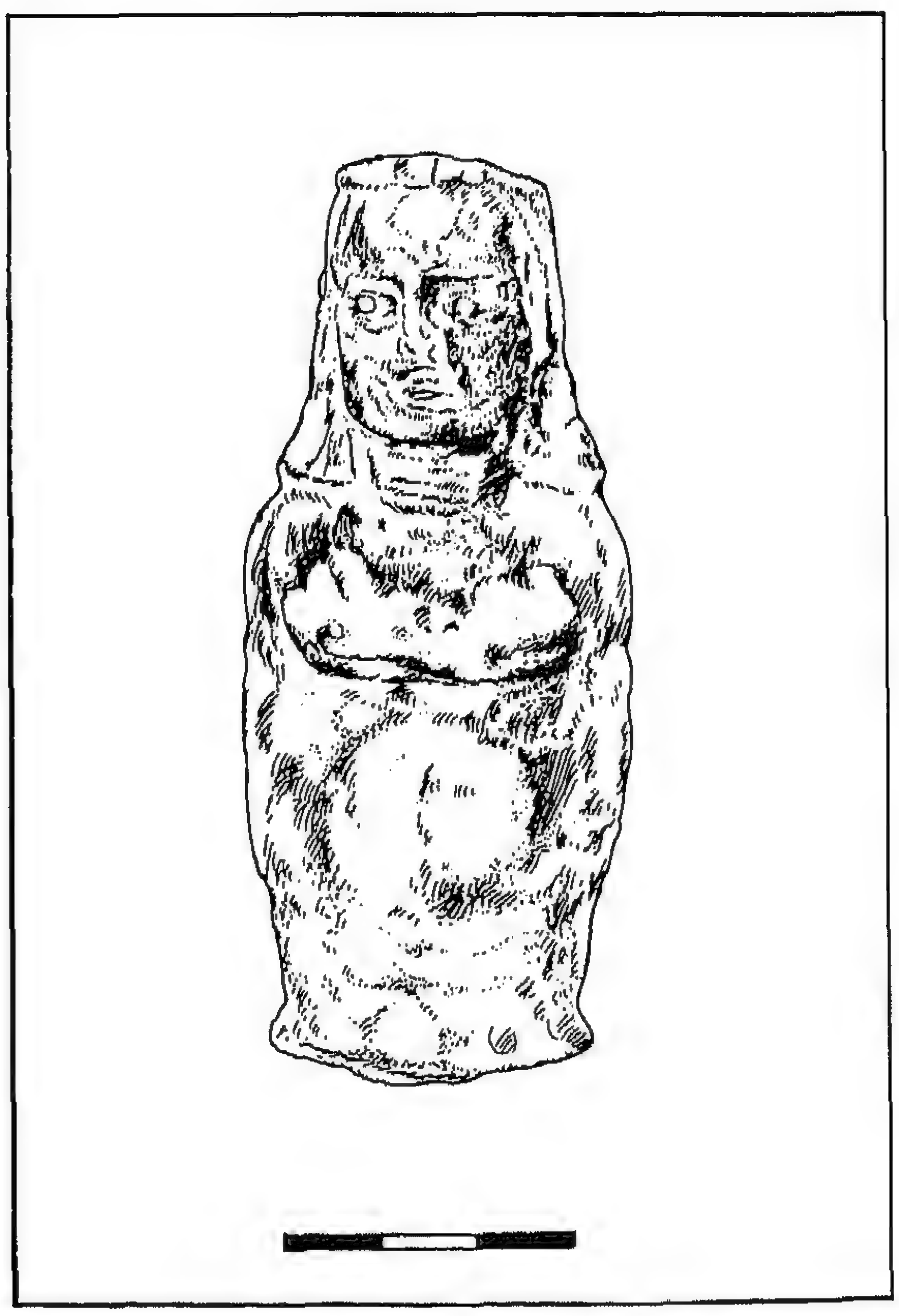
خارطة ١ : موقع نجران - الأخدود ، والطرق التجارية القديمة.

الجنبين موازية للجسم. وقد حرص الفنان على تفاصيل الرأس والوجه، حيث جسد الشعر على نحو قصير مسدول على الكتفين. ويبدو أن تفاصيل الشعر كانت مزينة بخطوط سوداء، تسير باتجاه الخطوط المحززة ، التي تمثل اتجاه تسريحة الشعر. أما تفاصيل الوجه، فتعكس بوضوح ملامح امرأة عربية، خاصة طريقة تصميم الأنف، الذي يلتقي مع الجبهة بشكل شبه مستقيم. أما العينان فصممتا وهما مفتوحتان، تنظران إلى الأمام ولهما شكل لوزي. ويتضح أن هذه المرأة تتقلد عقداً على الرقبة، حيث يوجد عليها ثلاثة حزوز متوازية. أما الرداء، وعلى الرغم من فقدان جزء التمثال السفلي الذي يمثل الأرجل، فيبدو كأنه رداء طويل ربما يصل الى القدمين. له أردان قصيرة . كما يظهر الحزام، الذي تتمنطق به المرأة في وسطها (شكل : ١).

وتشير الخصائص الأسلوبية لهذا التمثال ، إلى تحرر الفنان في نجران من تأثير المدارس الفنية التقليدية في الجنوب، التي تتميز بإنتاج تماثيل آدمية شكلها الخارجي شبه عامودي، يخضع أسلوب صناعتها -غالباً- إلى اتباع التصميم التخطيطي (Linear design). كما أنها من الناحية الأخرى، تكون مشطوفة الرأس في معظم الأحيان، في حين تصمم الأيدي وهي ممدودة الى الأمام (Pirenne 1977 : 357) . أما التمثال موضوع الدراسة، فينسجم في خطوطه الفنية العامة، مع المدارس الفنية الشمالية ، وكذلك تلك التي ظهرت في وسط الجزيرة العربية، وعلى وجه



لوحة ١ : تمثال من الحجر الجيري لامرأة واقفة.



شكل ١ : تفريغ لوحة (١).

التحديد قرية الفاو ، خاصة فيما يتصل بالجوانب الفنية الآتية : نزعة الفنان إلى إنتاج أعمال فنية تميل إلى الواقعية ، وضع الأيدي ، وأخيراً طريقة تصفيف الشعر . ويذكر أسلوب صناعة هذا التمثال ، وكذلك الشخصية المجسدة فيه، بتمثال امرأة ذات مكانة دينية أو اجتماعية عثر عليه في إحدى مقابر قرية الفاو (AL-Mazroo 1990)، حيث يتطابق التمثالان في معظم الملامح الفنية، وكذلك التفاصيل، مثل أدوات الحلي والزينة والشعر ، وكذلك نوعية الخامة الحجرية المستخدمة. ولعل الاختلاف يكمن في عدم ظهور الحزام ،الذي يتوسط الخصر على تمثال قرية الفاو.

كما يمكن أن يقارن التمثال محل الدراسة، مع تمثال آخر لامرأة واقفة عثر عليه في موقع يعرف باسم الضالع في اليمن (Pirenne 1986 : II.299-II.302). اذ يعكس الأخير أوجهاً فنية متطابقة مع تمثال نجران. ويظهر الاختلاف بينهما فقط في وضع الأيدي، حيث صممت في تمثال الضالع وهي ممدودة إلى الأمام، حسب الوضع التقليدي للتماثيل الجنوبية، في حين تظهر الأيدي لتمثال نجران وهي مسدولة على الجنبين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحثة جاكلين بيرين ، قد أرخت لتمثال في موقع الضالع بالقرون الأول الميلادية (Pirenne 1986 : II.299-II.302). ولاشك أن التمثال محل الدراسة، وتمثالا الفاو والضالع المشار اليهما في المقارنة، تنتمي كلها إلى المدرسة الفنية نفسها، الشمالية التوجه ، وأن التباين الثانوي الظاهر عليها، المتمثل في كيفية وضع الأيدي واختفاء الحزام، إنما هو ناتج عن اختلاف الورش الفنية، التي أنتجت هذه الأعمال الفنية. مما سبق يمكن القول أن هذا التمثال ربما يؤرخ إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين.

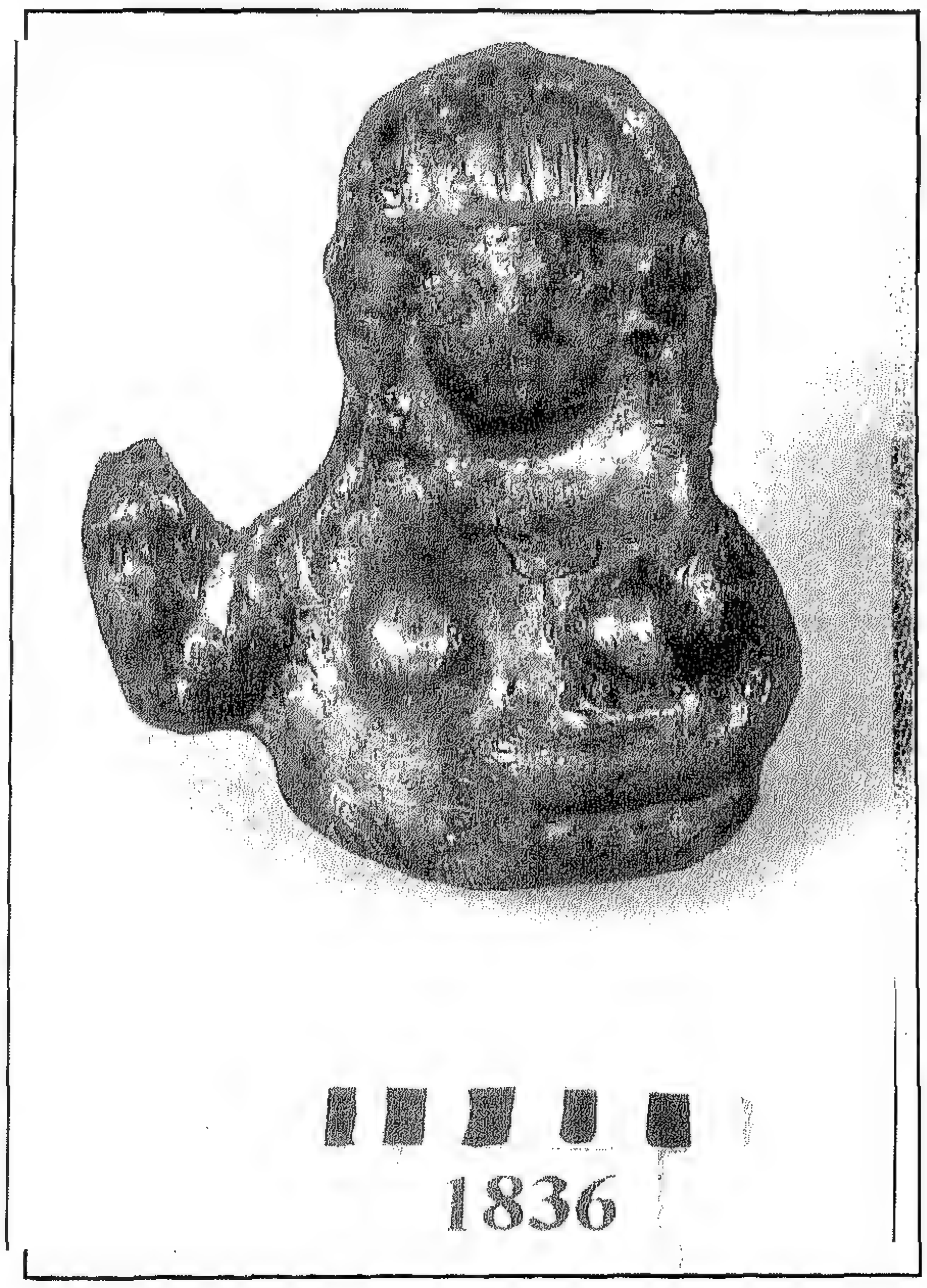
٢- تمثال نصفي لامرأة، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣٦، ويبلغ ارتفاعه ٣،٥ سم (لوحة : ٢)، مصنوع من البرونز ، صمم على الهيئة

الموضحة في (اللوحة : شكل: ٢). اليد اليمنى للتمثال مرفوعة إلى الأعلى، في حين تظهر اليد اليسرى، غير المكتملة، مضمومة إلى الجسم أسفل الصدر البارز المعالم . وقد حرص الفنان على الرأس ، خاصة تسريحة الشعر المنسدل على الجبهة، على شكل حزوز شبه مستقيمة. ويظهر على وسط الرأس مايبدو شريطاً لتزيين الشعر. أما الوجه، فعلى الرغم من عدم وضوح ملامحه، فمن المؤكد أنه يعكس ملامح أنثوية، لامرأة لها أنف صغير، ووجه شبه دائري (شكل : ٢).

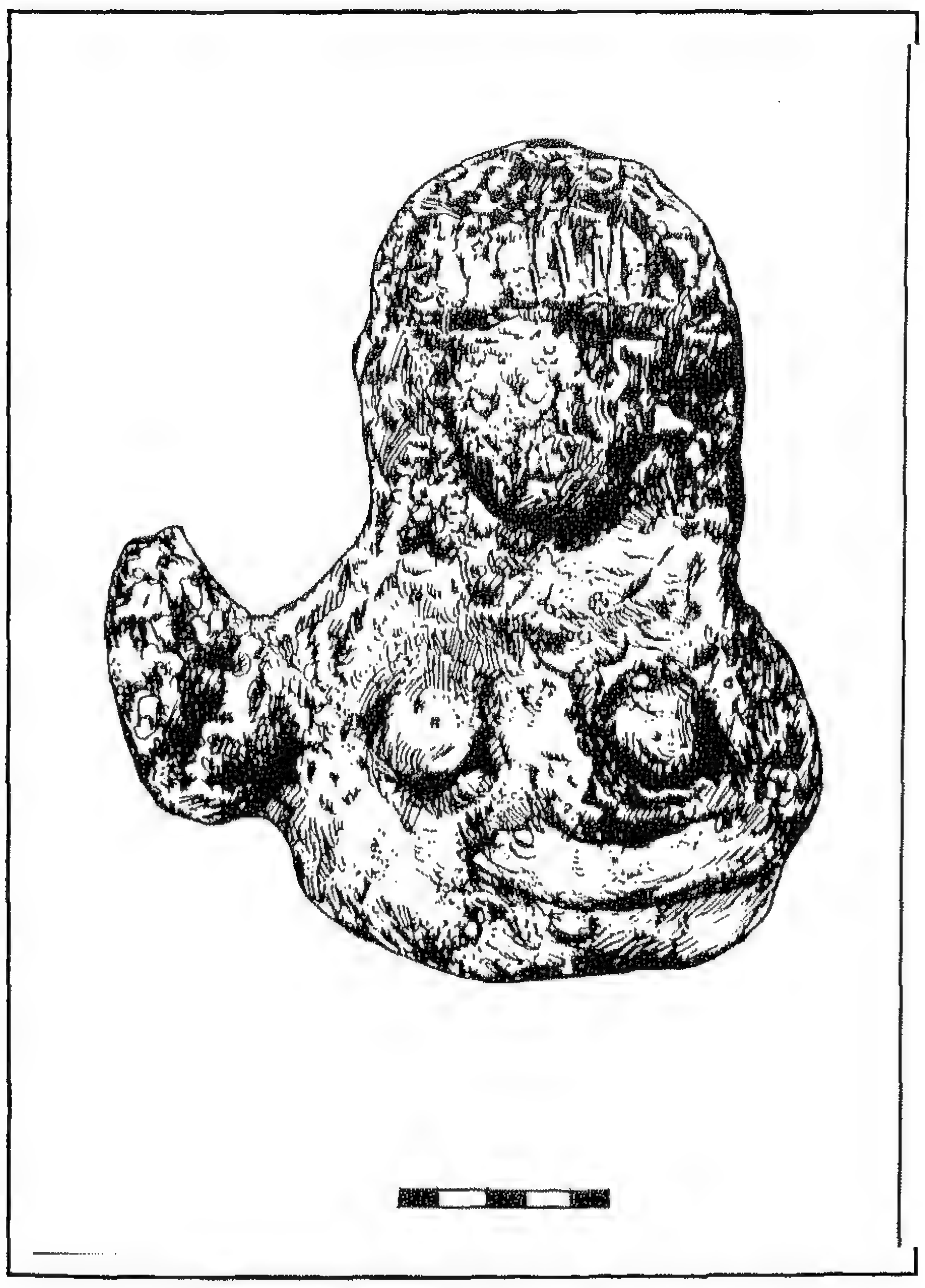
وتنسجم الملامح الأسلوبية لهذا العمل الفني، وعلى وجه التحديد كيفية وضع الأيدي، مع العديد من الأعمال الفنية العربية الجنوبية، التي منها ما اكتشف في مقبرة تمنع (Cleveland 1951: 49,51). وأخر في مواقع سبئية مختلفة في مأرب (Pirenne 1977 : I.441-I.449). ويتضح من كثافة تكرار ظهور كيفية هذا الوضع في الفنون العربية الجنوبية، بأنها أصبحت، من ناحية، سمة أسلوبية متأصلة تميز المدارس الفنية الجنوبية ، ومن ناحية أخرى، تجسد شخصية تعبدية، غالباً ما تظهر في الفنون الجنوبية، وهي تحمل رموزاً لها مدلولات دينية، مثل حزمة القمح في اليد اليسرى.

أما من الناحية التقنية ، فيعد هذا التمثال متطوراً نسبياً ، إذا تجاهلنا الطريقة البدائية التي صممت بها اليد اليسرى. ويبدو أن الفنان قد استخدم طريقة الشمع المذاب بعد تجهيز القالب ، الذي يتضح من طبيعة الشكل شبه الدائري للجذع من الأسفل، أنه كان قالباً مقفولاً، ومستدير الشكل.

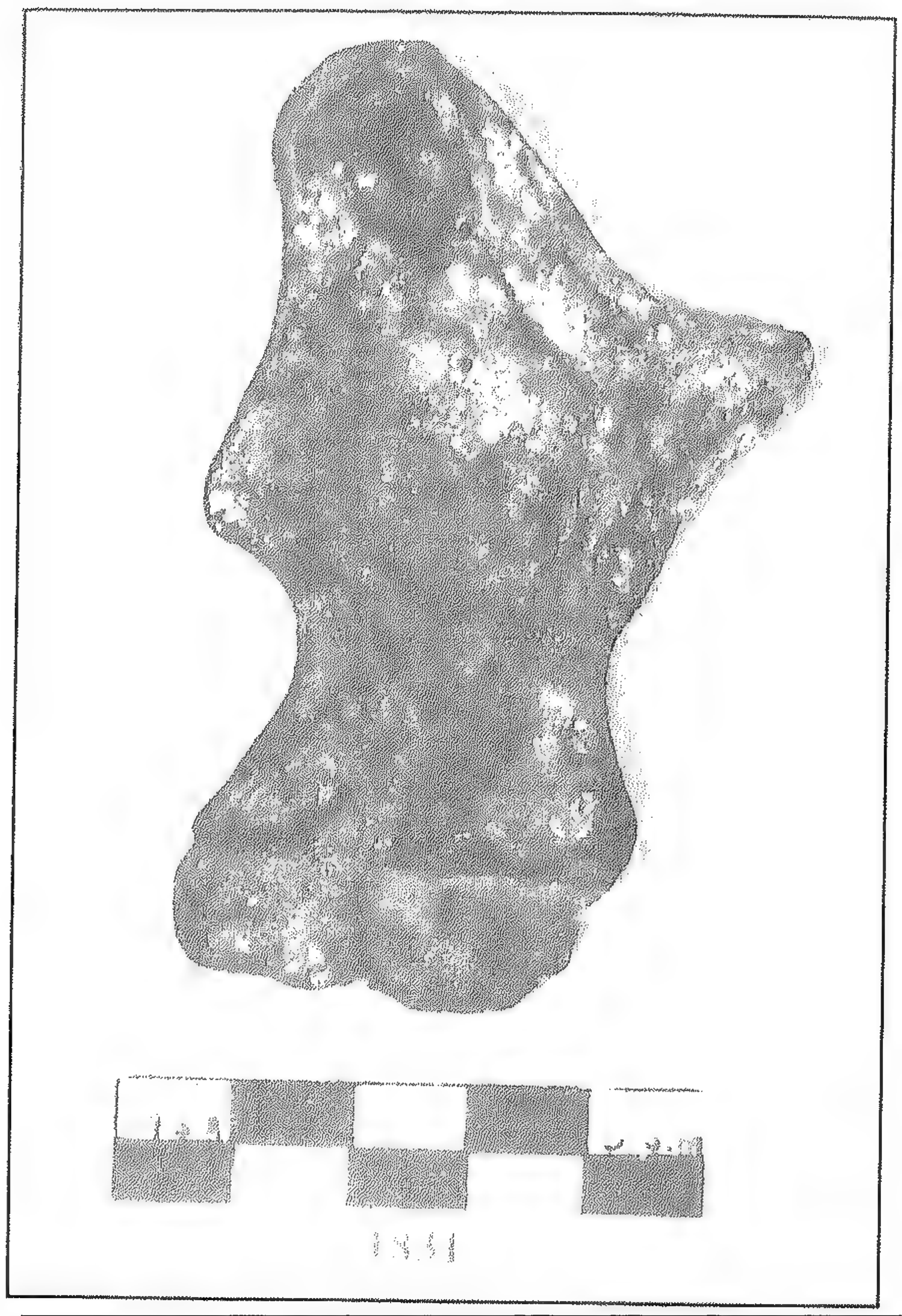
٣- تمثال برونزي ، مسجل لدى وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم ١٨٣١، وتبلغ أطواله ٨ سم طولاً و ٥ سم عرضاً ، و ٠،٦ سم سماكة ، يمثل هذا التمثال شكل امرأة واقفة بصورة مائلة (لوحة : ٣). ترتدي عباءة



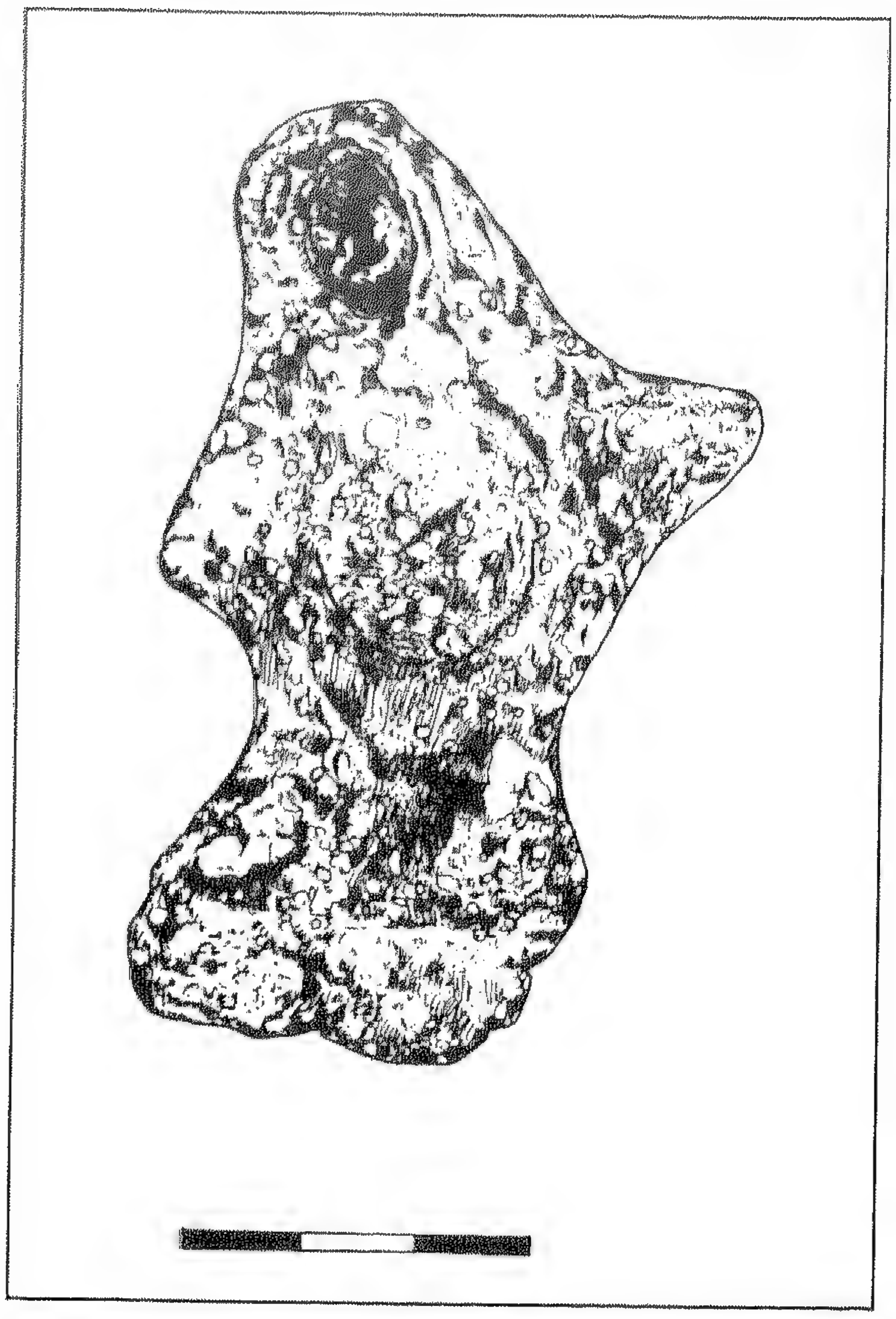
لوحة ٢ : تمثال نصفي من البرونز لامرأة.



شكل ٢ : تفريغ لوحة (٢).



لوحة ٣ : تمثال برونزي لامرأة (بشكل مائل).



شكل ٣ : تفريغ لوحة (٣).

طويلة وفضفاضة تغطي القدمين. وتحمل المرأة مايبدو دفاً في يدها اليسرى . أما الجزء الخلفي من التمثال فمسطح، مما يشير إلى أن هذه القطعة الفنية قد أنجزت بأسلوب القالب المفتوح، ثم الصب (شكل : ٣) .

ومن الواضح أن الخطوط الفنية العامة لصناعة هذا التمثال، تختلف اختلافاً جذرياً عن أسلوب صناعة التماثيل التقليدية ،السائدة في حضارات الممالك العربية الجنوبية، فقد تميز هذا التمثال، بتحرر الفنان في تشكيل كيفية الوقفة، التي تحاكي المدارس الفنية الشمالية، من حيث المرونة والواقعية. كما نجح الفنان في هذا العمل في تصوير مشهد احتفالي.

ولاشك أن المشغولات محل الدراسة، تشكل إضافات جديدة لرصيد معرفتنا عن أساليب الفنون الصغرى في نجران، فهي تؤكد، من ناحية، أهمية الدور الاقتصادي الذي لعبه نجران كمحطة تجارية تمثل عنق الزجاجة، كما تعكس مهارة الفنان العربي في هذه المنطقة، على استيعاب تقنية الصناعات المعدنية .

وأخيراً يمكن القول أن القيمة الحضارية لهذه المشغولات، تكمن في أنها تقدم كنذور وهدايا (Votive Offering) للالهة المحلية. أما الفترة الزمنية التي تنتمي إليها، فإن أساليبها الفنية تنسجم إلى حد كبير مع أساليب الفنون الصغرى المتأخرة، في جنوب الجزيرة العربية، وكذلك في قرية الفاو، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن هذه المشغولات، ربما تنتمي إلى الفترة الاستيطانية المتأخرة من موقع الأخدود، أي القرون الأولى الميلادية.

د. حميد بن ابراهيم المزروع : قسم الآثار والمتاحف -كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية.

هامش :

١) يتقدم الباحث بخالص الشكر والعرفان لسعادة الأستاذ الدكتور / سعد الراشد ، وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف، على إتاحة الفرصة لدراسة هذه القطع الفنية المحفوظة تحت الأرقام : ١٨٣١، ١٨٣٣، ١٨٣٦ .

المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

زارينس، يوريس وعبد الجواد مراد وخالد اليعيش ١٤٠١ هـ "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية" **أطلال** ، ٥ : ٩-٢٦. إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

زارينس، يوريس وعبد الرحمن كباوي وعبد الجواد مراد وسيد رشاد ١٤٠٣ "تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران / الأخدود" **أطلال** ، ٧ : ٢١-٣٨ . إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

ثانياً : المراجع غير العربية :

Groom. N. 1981. **Fran kincense And Myrrh**. London. Longman.

Pirenne, J. 1977. Corpus des Inscriptions ET **Antiquites** Sud-Arabes. Peeters, Louvain.

Pirenne, J. 1986. Corpus des Inscription ET **Antiquites** Sud-Arabes. Peeters, Louvain.

AL-Mazroo, H. 1990 A stylistic and Comparative Study of Unpublished Pre-Islamic Stone Sculptures from Arabia. University College, London.

Cleveland. R. 1965 **An Ancient South Arabian Necropolis**. Objects from the Second Campaign (1951) in the Timna Cemetery. Baltimore: The John Hopkins press. PLS-49, 51.

درهمان من مسكوكات الدعوة العباسية

فرج الله أحمد يوسف

ملخص : ارتبطت الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية بأبي مسلم الخراساني على الرغم من أنه لم يتول قيادتها إلا في سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥م . وترجع بداية انطلاق الدعوة العباسية إلى سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨م ، عندما أرسل محمد بن علي بن عبدالله بن عباس دعاته إلى العراق وخراسان. ويهدف هذا البحث إلى إثبات أن الدعوة قد أعلنت سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، وليس سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧م، كما جاء في المصادر التاريخية. كما يسلط الضوء على دور الدعاة العرب، الذين تولوا قيادة الدعوة العباسية طوال ثمانية وعشرين عاماً، قبل مجيء أبو مسلم ، ضربوا خلالها المسكوكات التي منها الدرهمان موضوع البحث.

ABSTRACT*. The Abbasid movement against Umayyad Caliphs had been associated with Abu Moslem al-Khorasani, although he had not assumed a leadership role until 128 A H (745 AD). The Abbasid movement started in 100 A H (718 A D) when Mohammed bin Ali bin Abdullah bin Abbas had sent his supporters to Iraq and Khorasan. This paper aims to shed more light on the role played by the Arab advocates who led the Abbasid movement for twenty eight years. Of particular importance here is their minting coins, an activity under which the focus of this paper, the two Dirhams, falls.*

بدأت الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية، عندما أرسل محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، الدعاة إلى العراق وخراسان سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م. واستند العباسيون في مطالبتهم بالخلافة، على تنازل عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن حق العلويين في المطالبة بالخلافة، عندما قابله في الحميمة ، وقال له : "إن هذا الأمر الذي نطلبه ونسعى فيه فيك وفي ولدك. حدثني أبي أن علياً قال له : يابني لا تسفكوا دماءكم فيما لم يقدر لكم بعدي ، فإن الأمر كائن في بني عمكم من ولد عبد الله بن عباس" (مؤلف مجهول ١٩٧١: ١٨٦؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٤/١٥٩). ويدور حول هذا التنازل رأيان يشكك في صحته أحدهما اعتماداً على أن مطالبة العلويين بالخلافة، لم تتوقف بتنازل عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب، فبعد وفاته سنة ٩٨هـ / ٧١٦م، خرج على الخلافة الأموية زيد بن علي العلوي سنة ١٢١هـ / ٧٣٨م، وابنه يحيى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م، فضلاً عن حضور العباسيين الاجتماع الذي عقد في الأبواء سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، وضم بني هاشم، عباسيين وعلويين، أختير فيه محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، "النفس الزكية" إماماً لبني هاشم، وخليفة بعد سقوط الخلافة الأموية (الطبري ١٩٧٩ : ٩/٨٠؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٤/٣٨٠؛ الأصفهاني د.ت : ٢٧٠-٢٩٥؛ الليلم ١٩٩٠ : ٤٧-٤٩).

وأما الرأي الآخر فيؤيد صحة التنازل، مستنداً على ما كان يتناقله الناس من نبوءات، حول انتقال الخلافة، من بني أمية إلى بني العباس، مثال لذلك ما يروى عن خالد بن يزيد بن معاوية، في قوله للخليفة الوليد بن عبد الملك ، عندما سأله رأيه في سجن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، لخشيته من خروجه عليه ، فرد خالد بن يزيد بقوله : "لست أخاف عليك



لوحة ١ : درهم ضرب مدينة جي سنة ١٢٧هـ، محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة ، لم ينشر من قبل.

الآن . ولكن عندما يقتل سميك (الخليفة الأموي الوليد بن يزيد)، وتظهر الرايات السود بالمشرق، فبؤساً لبني أمية عندما يزول الأمر عنهم". (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ١٧٩) . ومن أدلة خوف بني أمية من العباسيين، أنهم كانوا يمنعونهم من زواج أي امرأة من بني الحارث، نظراً لما يروى أن الخلافة ستكون فيهم "لابن الحارثية". فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة استأذنه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في زواج ابنة خاله ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله من بني الحارث . فتزوجها فولدت له أبا العباس السفاح. (الأزدي ١٩٨٨ : ٧٢-٧٣).

ويستند هذا الرأي، أيضا، على ما حدث من أبي سلمة الخلال ، الذي عندما بلغه مقتل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، في صفر سنة ١٣٢هـ / سبتمبر ٧٤٩م أراد تحويل الخلافة إلى العلويين. فبعث رسالتين إلى كل من جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (جعفر الصادق)، وعبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عبدالله المحض)، يدعو كليهما لتسلم الخلافة. فأحرق جعفر الصادق الرسالة دون أن يقرأها. ولكن الرسالة لاقت قبولاً لدى عبدالله المحض، فجاء إلى جعفر الصادق يشاوره في الأمر. فرد عليه جعفر الصادق مستنكراً : "أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العرق، أنت كنت سبب قدومهم، أو وجهت فيهم. وهل تعرف منهم أحداً ؟" فقال عبد الله المحض : "إنما يريد القوم ابني محمداً -النفس الزكية- لأنه مهدي الأمة". وفشلت خطة أبي سلمة وبويع أبو العباس السفاح بالخلافة. (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ٣٢٧؛ الطبري ١٩٧٩ : ٨/١٥٣-١٣٦؛ ابن الأثير ١٩٨٣ :٤/٣١٠) أما القول باشتراك العباسيين في اجتماع الأبواء، ومبايعتهم لمحمد بن عبد الله (النفس الزكية)، فمردود عليه بأن الاجتماع عقد سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، بعد سبعة وعشرين سنة من إرسال محد بن علي بن عبدالله بن عباس دعاته إلى العراق وخراسان. فلا يعقل أن يرضى العباسيون بعد كل ذلك، مبايعة محمد النفس الزكية.

وبعد سبعة وعشرين عاماً من الكفاح، استطاع الدعاة الذين أرسلهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، نشر الدعوة العباسية، التي تخفت وراء شعار الرضا عن آل محمد صلى الله عليه وسلم، وضرب

العباسيون المسكوكات، التي تحمل شعارات الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية، قبل أن يتولى أبو مسلم الخراساني قيادتها. ومن تلك المسكوكات درهمان : الأول منهما محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة، ولم يسبق نشره من قبل، وهو من ضرب جي سنة ١٢٧هـ. (لوحة : ١) ونصوص كتاباته كما يلي :

الوجه : مركز: لا إله إلا

الله وحده

لاشريك له

هامش داخلي : بسم الله ضرب هذا الدرهم بجي سنة سبع وعشرين ومئة.

هامش خارجي : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا.

الظهر: مركز: الله أحد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن

له كفوا أحد

هامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

(شكل :١) الوزن : ٢.٨٧ جرام . القطر : ٢٢ مليمتر.

ويمتاز هذا الدرهم باكتمال الآية ٢٣ من سورة الشورى، إلى قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا" وأنفرد بذلك عن مسكوكات الدعوة العباسية ، التي نقشت عليها الآية كما يلي : "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" (يوسف ١٩٩٧ : ٤٣-٥٢).

أما الدرهم الثاني ، فهو أيضاً من ضرب جي سنة ١٢٧هـ (لوحة :٢؛ شكل :٢)، ونصوص كتابته كما يلي:

الوجه : مركز: لا إله إلا

الله وحده

لاشريك له

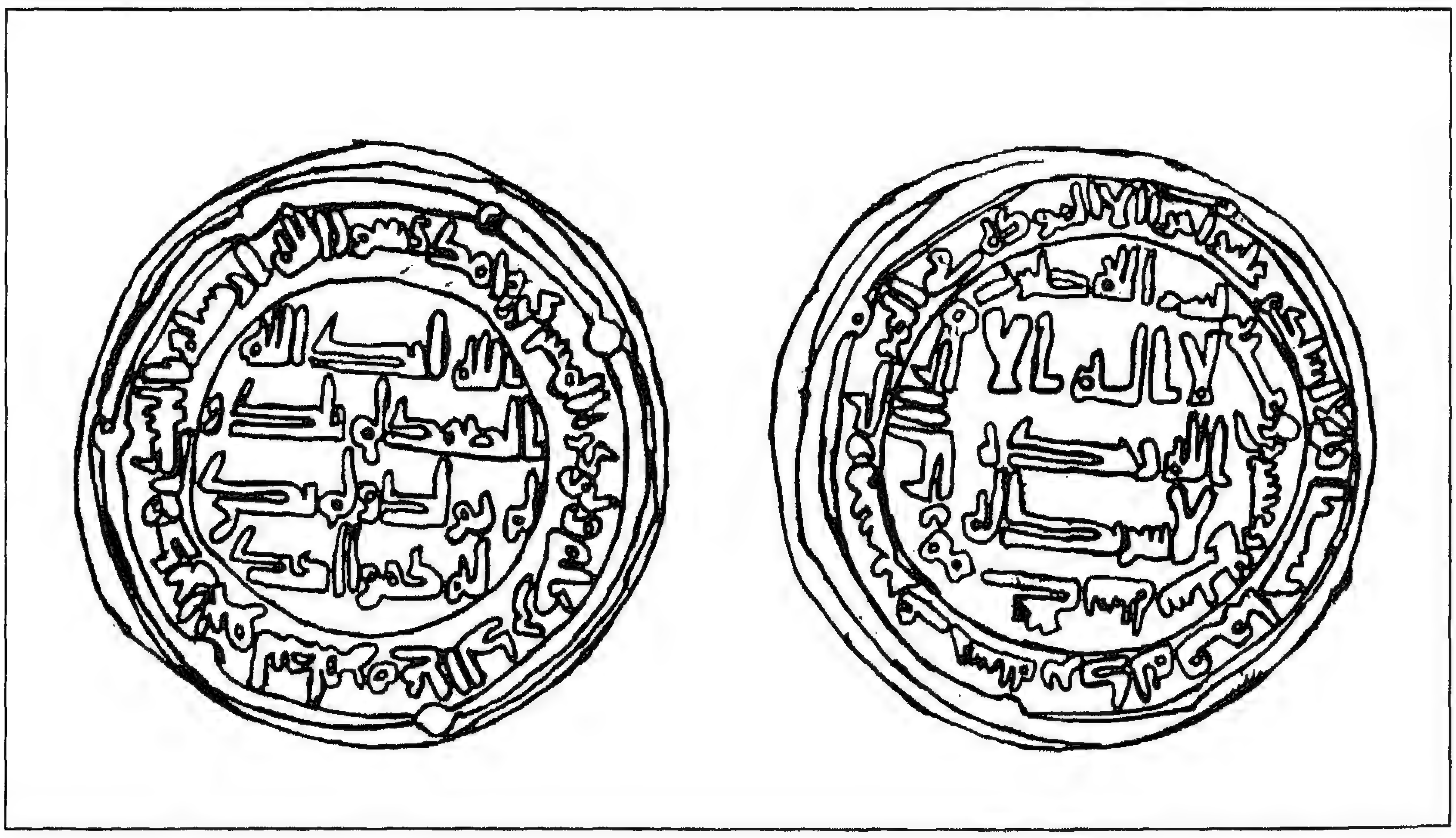
هامش داخلي : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى.

هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدرهم بجي سنة سبع وعشرين ومئة .

الظهر : مركز: الله أحد الله

الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن



شكل ١ : تفريغ لوحة (١).

له كفوا أحد

هامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . (شكل : ٢) (Broome 1985: 21) .

وأجمعت المصادر التاريخية، على أن الدعوة العباسية ظهرت إلى العلن سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧م. فقد ذكر الطبري في أحداث تلك السنة : "وفي هذه السنة (سنة ١٢٩هـ) أمر ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أبا مسلم، وقد شخص من خراسان يريده حتى بلغ قومس ، بالانصراف إلى شيعته بخراسان، وأمره بإظهار الدعوة والتسويد" (الطبري ١٩٧٩ : ٣٥٣/٧)، وكذلك يروي ابن الأثير أن الدعوة العباسية قد أعلنت بخراسان سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧ م. (ابن الأثير ١٩٨٣ : ٢٩٩/٤)، ويذكر د. فاروق عمر في كتابه "طبيعة الدعوة العباسية"، أن الدعوة العباسية قد أعلنت في سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧م : "وجاء أمر إبراهيم الإمام لأبي مسلم يدعوه إلى إخبار سليمان الخزاعي بضرورة إعلان الثورة، ثم وصل قحطبة الطائي ومعه علمين من ابراهيم الإمام: الأول الظل، ويرمز إلى أن الدعوة العباسية ستبقى بقاء الظل في هذه الأرض، والثاني السحاب، ويرمز إلى عالمية الدعوة حيث ستشمل كل العالم المعروف آنذاك، فكان إعلانها في ٢٥ رمضان ١٢٩هـ - حزيران ٧٤٧م، (عمر ١٩٨٧ : ١٧٣-١٧٤).

لكن تاريخ ضرب هذين الدرهمين، الذي يعود إلى سنة ١٢٧ هـ /٧٤٥م ، يدل على أن الدعوة العباسية قد أعلنت في السنة نفسها على أقل تقدير، إذ لايعقل أن تكون الدعوة العباسية مازالت سرية وتقوم بضرب مسكوكات تحمل شعاراتها !

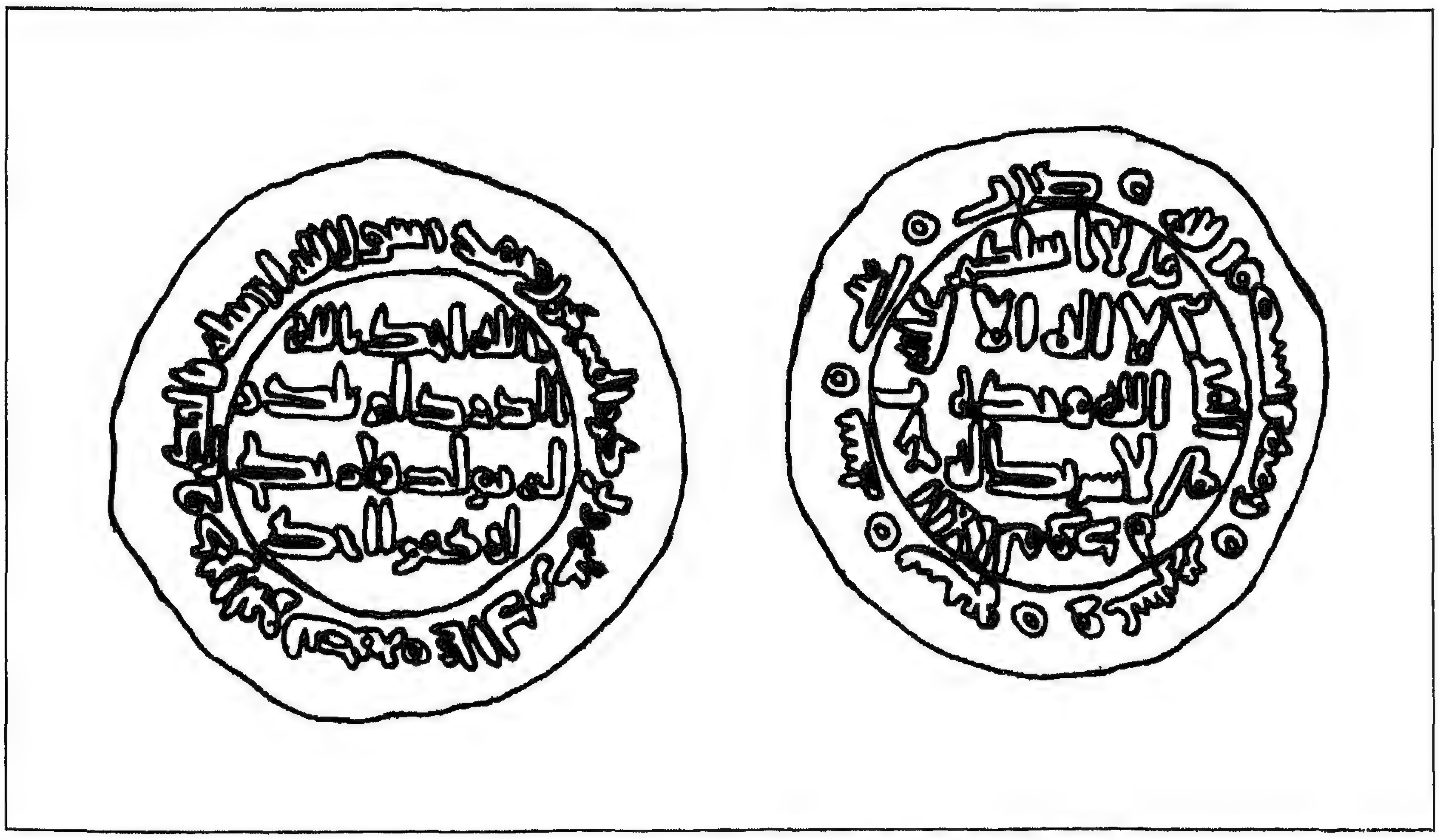
وفي سنة ١٢٨هـ / ٧٤٦م، تولى أبو مسلم الخراساني قيادة الدعوة العباسية التي استمرت في ضرب المسكوكات على نمط الدرهم الثاني ، ومنها درهم ضرب جي سنة ١٢٨هـ ، (لوحة: ٢ ؛ شكل: ٣) ومحفوظ في إحدى المجموعات الخاصة، ولم يسبق نشره ، ونصوص كتاباته كما يلي :

الوجه : مركز: لا إله إلا

الله وحده

لاشريك له

هامش داخلي : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .



شكل ٢ : تفريغ لكتابات درهم ضرب مدينة جي سنة ١٢٧ هـ .(After Broom 1985)

هامش خارجي: بسم الله ضرب هذا الدرهم بجي سنة ثمان وعشرين ومئة.

الظهر: مركز: الله أحد الله

الصمد لم يلد و

لم يولد ولم يكن

له كفوا أحد

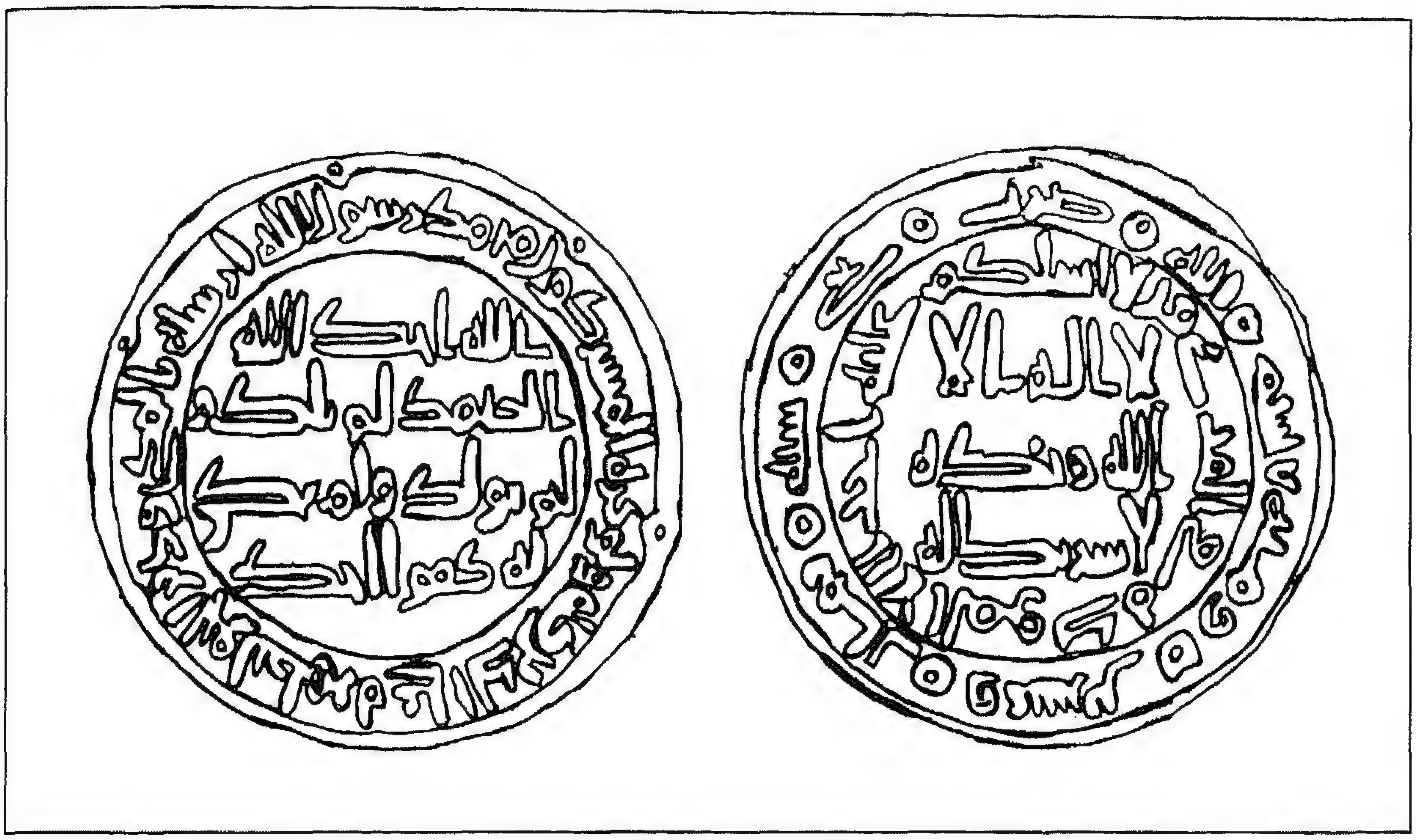
هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الوزن: ٢،٨٠ جرام، القطر: ٢٢ مليمتر.

واستمرت مسكوكات الدعوة العباسية تضرب في العديد من المدن مثل أصطخرن في سنتي ١٢٨، ١٢٩هـ وبلخ في السنوات ١٣٠، ١٣١، ١٣٢ هـ، والتيمرة في سنتي ١٢٨، ١٢٩هـ، وجي في سنتي ١٢٨، ١٢٩هـ، ورامهرمز في سنة ١٢٨هـ، ومرو في سنة ١٣٢ هـ، حتى مبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / أكتوبر ٧٤٩م. (Lane-Poole 1874 : 35, 1875 : 33, Lavoix 1891 : 133-4, Miles 1938: 17, Wurtzal 1968 : 188).

واتخذت الدعوة العباسية من الآية ٢٣ من سورة الشورى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً). شعاراً لها. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: لما نزلت سئل الرسول صلى الله عليه وسلم، من هؤلاء الذين تجب مودتهم فقال: علي وفاطمة وأبناؤهما". وقال في تفسير قوله تعالى: "ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً" أي من يكتسب المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم. (القرطبي ١٩٦٧: ١٦/ ٢٤)، وبذلك يتضح أن العباسيين استغلوا أو وجهوا أو وظفوا هذه الآية، على الرغم من أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، وأبناؤهما، رضي الله عنهم، لأنها تخدم دعوتهم التي كانت -حتى ذلك الوقت- تتخفى وراء شعار الرضا عن آل محمد صلى الله عليه وسلم. وظل العباسيون يرفعون هذه الآية بعد سقوط الخلافة الأموية، فقد كانت من الآيات التي استشهد بها أبو العباس السفاح على أحقية العباسيين بالخلافة، في خطبته التي ألقاها بعد مبايعته بالخلافة بالكوفة، في ربيع الأول ١٣٢هـ / أكتوبر ٧٤٩م فقال:



لوحة ٢: درهم ضرب مدينة جي سنة ١٢٨هـ، محفوظ في إحدى المجموعات الخاصة، لم ينشر من قبل.



شكل ٣ : تفريغ لوحة (٢).

"وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته وأنزل على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال عز من قائل، فيما أنزل في محكم القرآن (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا .." (الطبري ١٩٧٩: ١٢٥/٩). وظلت هذه الآية تكتب على المسكوكات العباسية حتى سنة ١٣٦هـ (Tornberg 1862: 8) .

وقد اسهم العرب بالنصيب الأوفر في نجاح الدعوة العباسية، التي اقتضت طبيعة الصراع أن يكون مركزها خراسان، لبعدها عن مركز الخلافة الأموية في الشام. وأخذت العبرة من الإخفاق المستمر والدائم للثورات العلوية، التي قامت في العراق ضد الأمويين، نتيجة لقرب العراق من مركز الخلافة الأموية في الشام. ومما يؤكد اعتماد الثورة العباسية على العرب، أن ثمانية من الدعاة الاثني عشر، الذين أرسلهم محمد بن علي بن عبدالله بن عباس منذ سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، كانوا عرباً والأربعة الباقين من موالي العرب، والدعاة هم : سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم ، وطلحة بن رزيق من خزاعة، وقحطبة بن شبيب الطائي من طيئ، وموسى بن كعب ،والقاسم بن مجاشع، ولاهز بن قريظ من بني تميم ، وأبو داود بن إبراهيم من بكر بن وائل، ومن موالي العرب : عمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبي معيط، وعمرو بن أعين مولى خزاعة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة، وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى بني حنيفة. (ابن الأثير ١٩٨٣: ١٥٩/٤).

واعتمدت الدعوة العباسية على القبائل العربية المنتمية إلى ربيعة، إضافة إلى القبائل اليمنية. ويروي ابن الأثير في أحداث سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، أن والي خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم (سعيد خذينة)، لما بلغه نشاط الدعاة استدعاهم "وقال لهم : من أنتم ؟ قالوا: أناس من التجار. قال : فما هذا الذي يحكى عنكم ؟ قالوا: لاندري قال : جئتم دعاة؟ قالوا : لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن هذا فقال : من يعرف هؤلاء ؟ فجاء ناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة واليمن فقالوا : نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك منهم شئ تكرهه. فخلى سبيلهم ".

وبعد وفاة محمد بن علي، استمر ابنه إبراهيم في موالاة ربيعة وقبائل اليمن . فقد أوصى ابراهيم أبا

مسلم الخراساني عندما اختاره لقيادة الدعوة العباسية بقوله : "انظر هذا الحي من اليمن. فالزمهم واسكن بين ظهرانيهم. فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم .. وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار". ولم تركن الدعوة العباسية إلى القبائل العربية المضرية . لأنها كانت الداعم الرئيس للخلافة الأموية (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ٣٢٧؛ الطبري ١٩٧٩ : ١٥٣/٨-١٣٦؛ ابن الأثير ١٩٨٣ : ٨٢/٦) ونزل أبو مسلم الخراساني في قرية سيفذنج، التي كانت تسكنها قبيلة خزاعة، بعد وصوله إلى خراسان سنة ١٢٨هـ / ٧٤٦م. (الطبري ١٩٧٩ : ١٢٥/٩).

وقال أبو مسلم الخراساني : "أمرني الإمام (ابراهيم بن محمد بن علي) أن أنزل في أهل اليمن. وأتألف ربيعة ولا أدع نصيبي من صالحي مضر، وأحذر أكثرهم من اتباع بني أمية وأجمع إلى العجم" (عمر ١٩٨٧: ١٥٢)، وكان أغلب جنود الدعوة العباسية من قبائل ربيعة واليمن. ويدل على ذلك ما روي عن حرص نصر بن سيار، على عدم إثارة العداوة معهم، حتى لايدفعهم إلى الانضمام الى الدعوة العباسية. ومن ذلك قوله لجنده : "انكم إن فعلتم ذلك خالفتكم أحياء اليمن ، ورأوا أنكم تريدون هضمهم وإذلالهم. بدخولكم عليهم في منازلهم". وأشار أحد قادة نصر بن سيار إلى ضرورة عزل قبائل ربيعة واليمن عن تأييد الدعوة العباسية ومناصرتها بقوله : "وما أهون شوكة هؤلاء. إن كفت اليمن وربيعة " (عمر ١٩٨٧: ١٧٤).

وإذا كان المؤرخون قد سلطوا الضوء على دور أبي مسلم الخراساني، فإنهم أغفلوا الدور البارز والخطير، الذي قام به الدعاة العرب، أمثال سليمان بن كثير الخزاعي، ومالك بن الهيثم الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، إضافة إلى دور القائد العربي لجيوش الدعوة العباسية، وأحد الذين تولوا عبء الدعوة منذ انطلاقها في سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م وهو الداعية والقائد، قحطبة بن شبيب الطائي، الذي بدأ فتوحاته من نيسابور في شعبان ١٣٠هـ / أبريل ٧٤٨م، ثم استولى على جرجان في ذي الحجة من السنة نفسها، واستطاع ضم قومس والري في صفر ١٣١هـ / سبتمبر ٧٤٨م، وساوة وأبهر ، وهمذان ، وقم ، وأصفهان ، ونهاوند، وشهرزور ، ثم توجه إلى العراق في ذي الحجة ١٣١ هـ / يوليو ٧٤٩م ففتح مدنه واستمر في قيادة جيوش الدعوة العباسية حتى وفاته في المحرم ١٣٢هـ أغسطس ٨٤٩م (مؤلف مجهول ١٩٧١ : ٣٢٧-٣٥٧، الطبري ١٩٧٩ : ١٥٣/٨-١٣٦،٩/ ٨٣ : ابن الأثير ١٩٨٣ : ٣١٠/٤).

وفي الختام يتضح من دراسة نصوص هذين الدرهمين، أن الدعاة العرب قد ضربوا المسكوكات قبل مجئ أبي مسلم إلى خراسان. ومن ثم، فإن الدعوة العباسية قد أعلنت على أيديهم منذ سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م، ولم تعلن في سنة ١٢٩هـ / ٧٤٧م، كما ذكرت المصادر التاريخية. وأن دور الدعاة والقادة العرب في الدعوة والقتال لم يتوقف واستمر حتى قيام الخلافة العباسية. وإذا كان أبو مسلم الخراساني قد قدم خدمات جليلة للدعوة العباسية، فإن دوره لا يجب أن يحجب دور الدعاة العرب، الذين عملوا طوال اثنين وثلاثين عاماً متصلة، حتى أثمرت جهودهم في إسقاط حكم بني أمية، وقيام الخلافة العباسية.

د. فرج الله أحمد يوسف -ص.ب ٤٥٥٦ - الرياض ١١٤١٢- المملكة العربية السعودية

farajyousef@hotmail.com

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، **الكامل في التاريخ**، (الطبعة الرابعة)، بيروت.

الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر بن الحسين بن غازي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، **أخبار الدول المنقطعة - تاريخ الدولة العباسية**، (تحقيق : محمد مسفر الزهراني)، القاهرة.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين د.ت **مقاتل الطالبيين**، (تحقيق أحمد صقر) بيروت.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر.

عمر، فاروق، ١٩٨٧م، **طبيعة الدعوة العباسية ٩٨ هـ/٧١٦ م - ١٣٢هـ/٧٤٩م : دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها**، مكتب دار الفكر العربي - بغداد.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثالثة، القاهرة.

المليلم، عبد العزيز محمد، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م، **العلاقات بين العلويين والعباسيين**، الطبعة الأولى، بيروت.

مؤلف مجهول، ١٩٧١م، **أخبار الدولة العباسية**، تحقيق عبد العزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي، بيروت.

يوسف، فرج الله أحمد، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، دراسة مقارنة للآيات القرآنية على السكة الإسلامية في ضوء بعض المجموعات الخاصة، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

ثانياً : المراجع الأجنبية :

Broome, M. 1985. **A Handbook of Islamic Coins**. London.

Lane-Poole, S. 1874. **Catalogue of Collection of Oriental Coins - Coins of Amawi Khalifhs**, London.

Lane-Poole 1875. **Catalogue of Oriental Coins in the British Museum. (Coins of the Eastern Khaleeffs in the British Museum,** London.

Lavoix, H. 1891. **Catalogue des Monnaies Musulmanes des la Bibliotheque Nationle, Khalifes Orientaux**. Paris.

Miles, G. 1938. **The Numismatic History of Rayy.** The ANS, New York.

Tornberg, c.J. 1862. **Symbole ad rem Numariam Muhammedaorun.** Upsalle.

Wurtzal, C. 1968. **The Coinage of the Revolutionaries in the Late Ummayyad Period,** PP. 161-99, the ANS Museum Notes 23.

مؤتمرات وندوات علمية

المؤتمر الدولي الخامس عشر لجمعية آرام

الجهة المنظمة : جمعية آرام، جامعة أكسفورد
مكان الانعقاد : مدينة أكسفورد - انجلترا
تاريخ الانعقاد : ١٧-١٩ يوليو ٢٠٠٠م

عقدت جمعية آرام لدراسات بلاد الشام ووادي الرافدين ، مؤتمرها الدولي الخامس عشر. وكان موضوع المؤتمر هذا العام : "المياه في الشرق الأدنى، قبل العصر الحاضر". وعلى الرغم من أهمية الموضوع، إذتعد المياه من القضايا المهمة، في تاريخ حضارات الشرق الأدنى في مختلف العصور، إلا أن محدودية المشاركة، وطبيعة الأوراق، التي قدمت خلال جلسات المؤتمر ، لم تعكس تاريخ تقنيات المياه واستخداماتها في حضارات الشرق الأدنى ، وهو أمر سوف نعرض له، عند استعراض جانب من الأوراق المقدمة.

وقبل استعراض جلسات المؤتمر، والأوراق التي قدمت فيها، أود الإشارة الى عدة ملاحظات:

أولاً : محدودية المشاركة العربية في هذا المؤتمر، على الرغم من أهمية موضوعه، فقد تضمن البرنامج الأولي للمؤتمر ثلاث مشاركات عربية، من كل من لبنان والأردن والمملكة العربية السعودية. إلا أن اثنين من الباحثين العرب لم يتمكنوا من الحضور، وأصبحت المشاركة العربية الوحيدة في هذا المؤتمر، هي الورقة التي تقدم بها كاتب هذا التقرير.

ثانياً : وجود مشاركة كبيرة من الباحثين الإسرائيليين، حيث قدم ستة من الباحثين اليهود أوراقاً بحثية في جلسات المؤتمر، تركزت حول المياه في فلسطين على وجه الخصوص، وبلاد الشام بشكل عام.

ثالثاً : تقليص مدة المؤتمر من ثلاثة أيام، كما هو مقرر في برنامجه المعلن مسبقاً، إلى يومين، نظراً لاعتذار عدد من الباحثين، وعدم تمكنهم من الحضور.

إن محدودية الحضور العربي في هذا المؤتمر، في مقابل الحضور الكبير للباحثين الإسرائيليين، يثير عدداً من علامات الاستفهام، ربما يأتي في مقدمتها أسباب احجام الباحثين العرب عن حضور هذه المؤتمرات الدولية، ومن ثم غياب وجهة النظر العربية في القضايا المطروحة، التي تمس عمق تاريخنا الحضاري العربي، وترك الباب مفتوحاً أمام الباحثين الآخرين للخوض في قضايا تمسنا تاريخياً وحضارياً، وتطرح أفكاراً مسيسة وغير محايدة، بل إنها تطرح -في كثير من الأحيان- أفكاراً مغلوطة وبعيدة عن الحقيقة العلمية المجردة.

إن إحجام الأكاديميين والباحثين العرب، عن حضور المؤتمرات الدولية ذات العلاقة بتاريخ البلاد العربية وحضارتها، يجب أن تدرس أسبابه، لأن غياب وجهة النظر العربية، ينعكس سلباً على اتجاه الدراسات الآثارية والحضارية والتاريخية. لذا، فلابد أن تسعى المؤسسات الأكاديمية والبحثية في الوطن العربي، إلى الإسهام في رفع مستوى الحضور العربي في المؤتمرات الدولية المتخصصة .

عقدت خلال أيام المؤتمر ست جلسات عمل ، ألقي فيها عشرون بحثاً، ناقشت عدة جوانب من تاريخ المياه وتقنياتها واستخداماتها في الزراعة إضافة إلى نظم إدارة وتقنيات المياه وعلاقة ذلك بالاستيطان والمستوطنات في الشرق الأدنى القديم.

ومن الأوراق التي ألقيت، على سبيل المثال : أنظمة خزانات المياه في بلاد الشام ، وأنابيب المياه الحجرية، والمستوطنات الزراعية القديمة في بلاد الشام، وإدارة المياه في الحضارة الآشورية خلال الفترة من القرن

التاسع الى القرن السابع قبل الميلاد، وينابيع تدمر من خلال النقوش التدمرية. وقد ركزت هذه الأوراق على تاريخ وتقنيات المياه في بلاد الشام ووادي الرافدين، في العصور القديمة، إلا أن مايلاحظ على معظم الأوراق، التي تناولت بلاد الشام تركيزها على فترات محددة، مثل: الفترة الهلنسية والرومانية، وإغفال فترات حضارية مهمة، مثل الحضارات المحلية، التي سبقت دخول الاسكندر الأكبر الى بلاد الشام والعصور الإسلامية، وهذه انتقائية في طرح الأوراق، تعكسها هوية مقدميها.

وإضافة إلى الأوراق السابقة، ألقيت أربع أوراق عن تاريخ المياه وتقنياتها في الجزيرة العربية. تناولت الورقة الأولى "أصول نظام قنوات الري في مدينة العلا، بالمملكة العربية السعودية، في ضوء نقوش جبل عكمة". أما الورقة الثانية، فكان موضوعها "أحواض المياه ومنشآت الضخ في تقاليد إدارة المياه في الجزيرة العربية "، والموضوع الثالث تحدث عن "نظام الري في العصر البرونزي المبكر في شبه جزيرة عمان: أدلة من موقع هيلي". أما موضوع الورقة الرابعة، التي قدمها معد هذا التقرير فكان "نظام مائي فريد في وادي الشويحطية شمال الجزيرة العربية "، وقد درست الورقة مجموعة من الآبار المخفية (المطمورة)، التي كشف عنها في وادي الشويحطية، شمال مدينة سكاكا بالمملكة العربية السعودية. ويعد هذا النظام المكتشف أحد أنظمة المياه، التي استخدمها العرب في تأمين مصادر ثابتة ومخفية، في بعض مسارات طرق قوافل التجارة القديمة، و تعود أصول هذا النظام المائي، الى العصر النبطي.

ويُعد المؤتمر على الرغم من الملاحظات التي أبديناها، بداية للاهتمام بتاريخ المياه وتقنياتها في العصور القديمة في بلاد المشرق، حيث احتلت المياه حيزاً كبيراً في تاريخ الاستيطان والتحضر في الشرق الأدنى، خلال عصوره المختلفة، بل أن تقنيات استخراج المياه واستخداماتها وتخزينها، تعد من أبرز إنجازات حضارات الشرق الأدنى القديم.

د. خليل بن إبراهيم المعيقل

الندوة العلمية الثانية لجمعية الآثاريين العرب

الجهة المنظمة : جمعية الآثاريين العرب
مكان الانعقاد : جامعة القاهرة ، مصر
تاريخ الانعقاد : ١١ - ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٠م

انعقد بمباني جامعة القاهرة، خلال الفترة من ١٥-١٧ شعبان ١٤٢١هـ ، الموافق ١١-١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٠م، الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب . وتنضوي الجمعية الوليدة تحت مظلة المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، التابع لاتحاد الجامعات العربية، وتضم الجمعية في عضويتها نحواً من ثلاثمائة من الأكاديمين، العاملين في مجال علوم الآثار والمتاحف والترميم في مختلف الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي، وقد سبق أن عقدت الجمعية لقاءين، كان أولهما تمهيدياً ، بينما شكل ثانيهما الندوة العلمية الأولى.

وقد سبق الإعداد لهذا اللقاء، تكوين لجنة علمية وأخرى تنظيمية، ضمت عدداً من الأساتذة للاضطلاع بالإعداد للمؤتمر . وقد خرج المؤتمر في صورة مشرفة للآثاريين العرب ، نالت استحسان المؤتمرين ورضائهم، وقد شارك في المؤتمر اثنان وتسعون باحثاً وأكاديمياً ، من عدد من الأقطار العربية، كان ترتيبهم حسب كثافة حضورهم : مصر، والأردن، والسعودية، والسودان، والجزائر ،وسوريا، واليمن، ولبنان، وتونس، والبحرين، كما سجلت جلسات الملتقى حضوراً مكثفاً، ضم إلى جانب المشاركين وأعضاء الجمعية، عدداً من طلاب

الدراسات العليا، وطلاب البكالوريوس، من مختلف الجامعات المصرية.

وبعد اكتمال إجراءات التسجيل، افتتح المؤتمر بآيات من الذكر الحكيم، ثم كلمات الترحيب والتقديم، من اتحاد الجامعات العربية ، والمجلس العربي للدراسات، ومقرر الجمعية، وأمينها العام.

وقسمت جلسات المؤتمر إلى ثلاثة محاور رئيسة هي : الآثار القديمة، والآثار الإسلامية، والترميم؛ وزعت على قاعتين : ضمت القاعة الأولى الآثار القديمة، وحوت القاعة الثانية الآثار الإسلامية والترميم. أما جلستا الافتتاح والختام، فقد عقدتا في قاعة مشتركة.

محور الآثار القديمة

ضم محور الآثار القديمة نحوستة وأربعين بحثاً، غطت مسيرة الحضارات القديمة، بدءاً من حقب ماقبل التاريخ، ثم حضارات الشرق الأدنى القديم والجزيرة العربية، وانتهاء بالفترة الكلاسيكية. وقد شملت هذه الأبحاث موضوعات في ثقافات ماقبل التاريخ، وفي اللغات القديمة، وفي مفهوم ودلالات الأسماء والرموز والنقوش والأختام. كما حوت أبحاثاً عن الطقوس الجنائزية وعادات الدفن، وأخرى في الأسطورة والسحر. كما تناولت موضوعات عن العبادات القديمة. وقدمت أبحاث عن العمارة، والمنشآت القديمة بشقيها: الديني والمدني ، إلى جانب موضوعات في الفنون القديمة، الثابتة والمنقولة.

محور الآثار الإسلامية

حوى محور الآثار الإسلامية إثنين وثلاثنين بحثاً، في آثار المشرق والمغرب الإسلامي. غطت الحقبة الإسلامية بوجه عام، وإن تركزت على الفترات المتأخرة (المملوكية - العثمانية). وقد تناولت هذه الأبحاث دراسات عن العملات الإسلامية ، والخزف الإسلامي ، إلى جانب الفنون والزخارف. وركزت الأبحاث في موضوعات العمارة الإسلامية، حيث تناولت العمارة الدينية والمدنية والمائية والعسكرية . وإن احتلت المساجد الحيز الأكبر منها.

محور الترميم

أما محور الترميم والصيانة، فقد اشتمل على أربعة عشر بحثاً، تناولت صيانة المباني الشاخصة، من معابد وقلاع وقباب، وصيانة المصنوعات وترميم المشغولات الخشبية والزجاجية والمعدنية. كما ناقشت بعض الأبحاث مناهج الصيانة والترميم ووسائلهما، والخواص الكيميائية الخاصة بالأثر، ومواد الترميم والصيانة .

وقدمت أبحاث في موضوعات أكثر شمولية، مثل تسلسل الأدوار والأطر الحضارية، ونقد مناهج العمل الآثاري، إلى جانب بحث في الآثار الغارقة .

إختتام الملتقى

أجاز المؤتمرون توصية سابقة، صادرة عن مجلس الإدارة، بتكريم الأستاذ الدكتور حسن الباشا ، أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة، على مساهماته في حقل -تخصص دراسة الفنون الإسلامية، وتأهيل الكوادر الأكاديمية في هذا الحقل - التخصص.

وأختتم الملتقى بلقاء عام، طرحت فيه التوصيات التي جرت مناقشتها، وإجازة بعضها، وتكليف مجلس الإدارة بالعمل بما جاء فيها. أعقب ذلك اجتماع مجلس الإدارة. ثم ودع المشاركون بذات الحفاوة والتكريم، اللذين استقبلوا بهما.

ملاحظات حول الملتقى

-كان الملتقى فرصة طيبة، أتاحت لمجموعة كبيرة من الآثاريين العرب، بمختلف تخصصاتهم اللقاء في بوتقة واحدة، ماكان لها أن تتوفر دون هذا المؤتمر. وكانت الفرصة سانحة للتعارف، وتبادل الآراء والخبرات، والإلمام بما يدور في مجال الدراسات

الأثارية، في مختلف أرجاء الوطن العربي.

- مقارنة بلقاء العام المنصرم، شهد هذا الملتقى إقبالا أوسع وسط قاعدة الآثاريين العرب، حيث كانت المشاركة، سواء في تقديم الأبحاث أو حضور الجلسات، أكبر عدداً وأوسع مساحة.
- تركت اللجنة العلمية الباب مفتوحاً للمشاركين، للمساهمة كل بالموضوع الذي يطرحه، ولم تحدد موضوعاً محدداً تتناوله الأبحاث جميعها، كل من زاوية معينة، وهو ما درجت عليه المؤتمرات العلمية، ولعلنا نجد العذر لجمعية الآثاريين العرب، وهي تخطو خطواتها الأولى في هذا المجال. إلا أن جلساتها المقبلة لابد أن تنحى منحى التحديد، سواء في الموضوع، أو في زاوية معالجته.
- يلاحظ أن عدداً غير قليل من الأبحاث المقدمة، ركزت على أمور تقريرية، وابتعدت، في معظمها عن القضايا الجدلية الملحة، التي تطرح نفسها على بساط البحث، كقضايا تبلورت من واقع ما وصل إليه البحث في مختلف مجالات العمل الآثاري في الوطن العربي.
- فيما عدا بعض الأبحاث، التي قدمت في محور الترميم، وعدد قليل من المحاور الأخرى، يلاحظ أن الكثير من الأبحاث لم تستند على مادة أثرية مكتشفة حديثاً، ولم تطرح تقارير مبدئية ميدانية، لمسح آثاري، أو تنقيبات حقلية، وإنما استندت على مادة أثرية، أو فيلولوجية سابقة، تناولها الباحثون بإبداء بعض الملاحظات ووجهات النظر. وذلك أمر لاغبار عليه، غير أن المشارك يحتاج إلى الإلمام بآخر مايدور في مجاله في أرجاء الوطن العربي، وهو أحد الأهداف التي تعمل الجمعية على تحقيقها .
- ليس من شك أن الملتقى الرابع سيشهد خطوات إيجابية، وقفزة إلى الأمام نحو بلوغ غايات هذا الملتقى ، وبلوغ أهدافه.

د. عباس سيد أحمد محمد علي

عـرض الـكـتـب

اسم الكتاب : الفروسية (Furusiyya)

المحـرر : د. ديفيد الإسكندر

الناشر : مكتبة الملك عبد العزيز العامة

سنة النشر : الطبعة الأولى ١٩٩٦م

رقم تسجيل النسخة الإنجليزية :

٧-٢٧-٦٢٤-٩٩٦٠ (المجلدان)

٥-٢٨-٦٢٤-٩٩٦٠ (المجلد الأول)

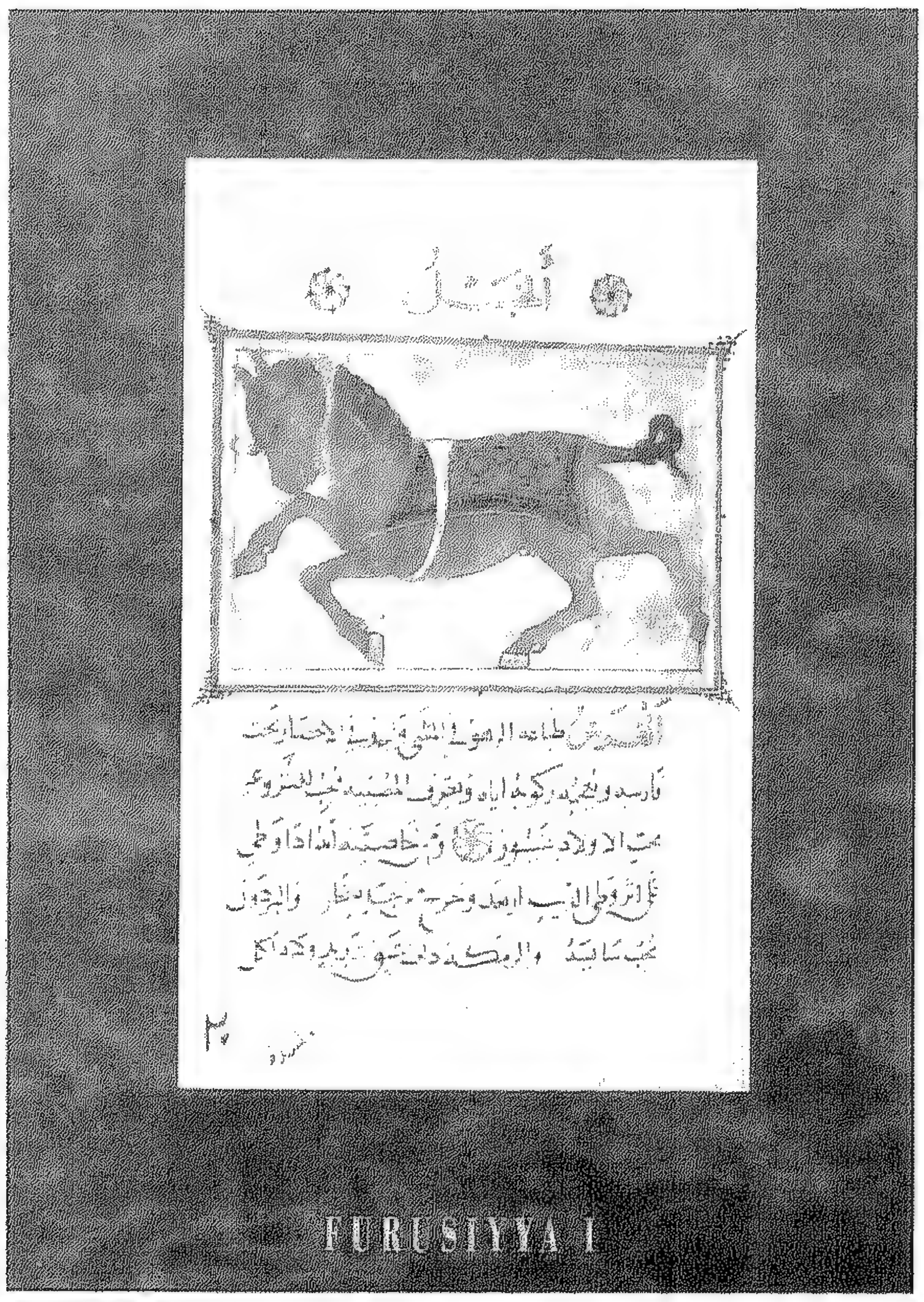
٣-٢٩-٦٢٤-٩٩٦٠ (المجلد الثاني)

عدد الصفحات : المجلد الأول ٢٤٨ صفحة

المجلد الثاني ٢٨٨ صفحة

مقاس الكتاب : ٢٧٥ × ٣٧٠ سم

عرض : د. عبد الله بن محمد الشارخ



تمثل الفروسية واحدة من أشهر الرياضات ، التي عرفها العرب وأعظمها. ويعود تاريخها إلى بضعة آلاف سنة مضت. لأن الحصان هو العنصر الأساسي لهذه الرياضة، فقد بذل العربي جهداً كبيراً في سبيل التعرف على طبيعة حصانه، وكيفية التعامل معه، ومعرفة أحواله وطباعه، من خلال رعايته المستمرة ، واعتباره أحد أفراد الأسرة. وبالمقابل، فإن الحصان العربي، الذي يتصف بصفات لا تتوفر في غيره من بني جنسه، كان كريماً على الدوام مع صاحبه، يفعل ما يريده منه، ويتحمل الكثير من العناء والجهد ، دون تذمر أو خذلان لصاحبه، عند الكر والفر، والسراء والضراء. وقد ساعده كمال قوامه، وسرعة عدوه، على حوز ثقة فارسه. عرّف الفيروز آبادي الخيل في القاموس المحيط بأنها جماعة الأفراس، وجمعها أخيال وخيول. وعرف الحصان بأنه الفرس الذكر، أو الكريم المضنون بمائه (تحقيق مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ : ١٥٣٦، ١٢٨٨)

وقد قال الرسول ، عليه الصلاة والسلام، "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"، وكذلك قوله عليه السلام: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل" . ومن هنا جاءت فكرة تكريم الحصان العربي، الذي يعد رمزاً من الرموز الحضارية، للأمتين العربية والإسلامية عبر العصور ، من خلال هذا الإصدار القيم، الذي يعد رصيداً علمياً لمحبي الفروسية وتاريخها المجيد، في جزيرتنا العربية، وعملاً جاداً تفخر به المكتبة العربية.

يعد كتاب "الفروسية" ، المكون من مجلدين ضخمين، الذي أصدرته مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، أحد أهم الإصدارات العلمية المتخصصة بالفروسية في الساحة العربية. وقد صدر باللغتين العربية والإنجليزية، شارك في تأليفه نخبة من المتخصصين، في مجالات الآثار والتاريخ والفروسية والمتاحف والتراث. كما امتدت المشاركة جغرافياً، لتشمل مناطق متعددة ومختلفة من العالمين العربي والإسلامي، وأمثلة من مناطق أخرى في العالم.

إن رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن

عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، ورئيس مجلس إدارة مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ورئيس الهيئة العليا للفروسية، بالمملكة العربية السعودية، لهذا المشروع الضخم، ومساندته له . بعد الدعامة الأساسية، التي ارتقت بمستوى المشاركة، وكذلك الإشراف المباشر من قبل صاحب السمو الأمير فيصل بن عبد الله بن محمد آل سعود، وكيل الحرس الوطني للقطاع الغربي، رئيس الاتحاد السعودي للفروسية والسهم، ورئيس اللجنة التنفيذية للمشروع، وصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، نائب الرئيس، اللذان كانا يعملان حثيثاً لتحويل الجهود المبذولة على كافة المستويات، إلى نتاج راق، استحق كتاب "الفروسية" بموجبه جائزة أفضل كتاب مطبوع في أوروبا لعام ٢٠٠٠م.

ولعلى قبل الولوج في استعراض هذا العمل الموسوعي ، الذي شارك فيه خيرة الباحثين السعوديين والعرب والأجانب، أذكر أن أعداد المساهمين في خروج هذا العمل إلى النور، هم أكثر من أن يحصيهم هذا العرض الموجز؛ فهناك اللجنة الأكاديمية، واللجنة الاستشارية، والمترجمون ، والمصممون، والعاملون على النسخة العربية، والمصورون ، وباحثو أرشيف الصور، والقانونيون، وكثير من الذين ساهموا في دعم هذا الإصدار بخبراتهم، من مختلف دول العالم. ولعله من الإنصاف الإشارة إلى الدور الوطني الفاعل، الذي قام به منسوبو مكتبة الملك عبد العزيز العامة، وعلى رأسهم الأستاذ فيصل المعمر، المشرف العام على المكتبة، في سبيل تهيئة كافة الظروف لخدمة هذا الإصدار القيم.

وقد رافق حفل تدشين هذا الإصدار القيم، معرض مصاحب أقيم في مكتبة الملك عبد العزيز العامة، بمركز الملك عبد العزيز التاريخي بالرياض، افتتحه صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود. وفيه عرضت أفضل مجموعات القطع الأثرية المرتبطة بالخيل والفروسية؛ وكذلك الأعمال الفنية الحديثة والقديمة على كافة المواد الطبيعية. وقد تميز المعرض بالأصالة والمستوى الرفيع، في عرض المقتنيات المتحفية الأصلية، بأسلوب رفيع ينم عن حس فني، وخبرة كبيرة في إقامة المعارض العالمية. كما عرض أمام بوابة المعرض نموذج برونزي ضخم، يحمل شعار هذا الإصدار، المنشور في الصفحة الرابعة من المجلد الأول، ويمثل رأس حصان على قرص دائري ضخم، في أعلاه حمامة ترمز للسلام. وقد نفذ هذا النموذج الفنان ضياء عزيز ضياء.

وعنوان المجلد الأول من هذا الإصدار: "الحصان في فنون الشرق الأدنى"، وقد رأس تحريره الدكتور ديفيد الإسكندر.

اشتمل هذا المجلد على اثنين وثلاثين بحثاً ، في مختلف الفنون ، والإسلامية منها على وجه الخصوص. ويشتمل المجلد على العديد من المشاركات العلمية القيمة، التي تبحث في جوانب عديدة من رياضة الفروسية، بما في ذلك مستلزمات اللباس والعتاد والدروع، التي تعد أساسية لحماية الحصان، عند المواجهات والهجمات العسكرية، التي تشكل مصدر خطر للفارس والفرس. كما تناول العربات التي تجرها الخيول. وقد تميزت النماذج والأمثلة المعروضة، في عدد من الأبحاث بصناعتها الفاخرة، وهيئتها الملكية، وزخارفها الراقية، سواء تلك التي بقيت أمثلة منها حتى وقتنا الحاضر، مثل العربة الذهبية للملك "توت عنخ آمون" ، وما يعرف بإسم "غنيمة الشويندي" العثمانية الأصل والصناعة، التي قدمها القائد العسكري النمساوي "شويندي"، إلى الأرشيدوق فرديناند، كأحد الغنائم الحربية التي حصل عليها في قتاله ضد العثمانيين. وهي تشتمل على سرج مخملي فاخر، وسيف مطعم بالذهب والجواهر، وكلاهما يظهران عناية العثمانيين بالحصان ، من ناحية، ومستوى الصناعة، الذي وصلوا إليه فيما يخص الجوانب المرتبطة برياضة الفروسية، وتأهيل الخيول لخوض الحروب، وتحمل الجهد الجسمي لفترة طويلة دون أن يخذل الحصان فارسه في المواقف الحرجة والعصيبة ،

من ناحية أخرى.

وهناك أمثلة كثيرة على الرسومات الصخرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية، التي تظهر الحصان كوسيلة لصيد الحيوانات البرية، وخوض الحروب . ففيها يظهر الفارس ممتطياً صهوة جواده، شاهراً سيفه في وجه خصومه، أو موجهاً رمحه نحو فريسته. وقد أظهرت بعض هذه الرسومات الصخرية، الفارس العربي ممتطياً جواده دونما سرج أو غيره، بينما أظهرت أخرى الحصان بكامل لباسه، من سرج وعتاد. وقد وجد العديد من الأمثلة في موقع بئر حما، بالقرب من نجران، وموقع جبة ، بالقرب من حائل. وكذلك منها ما وجد في منطقة تبوك، بالمملكة العربية السعودية، التي تعد غنية بالرسومات المصورة لعلاقة العربي بالحصان، ومدى اعتماده عليه في كافة شؤونه اليومية.

وهناك أيضاً الرسوم الجدارية ، مثل تلك التي وجدت عليها أمثلة عدة من موقع الفاو، وجزيرة صقلية بإيطاليا. ثم الأعمال الفنية المنحوتة، كتلك التي تعود للحضارة الآشورية، ويصور أحدها الملك "آشورنصربال الثاني" ، وهو يهاجم أعداءه على ظهر عربة تجرها مجموعة من الأحصنة، التي تظهر عليها عدة اللباس الخاصة بها، من سرج وأربطة مختلفة الطرز والزخرفة.

كما اشتمل المجلد الأول على العديد من البحوث ، التي تتناول ذكر الخيل في المصادر المخطوطة. وهذه تكمن أهميتها العلمية في أن بعضها يحوي رسومات قيمة، تشرح بعض القضايا المرتبطة بترويض الخيول وتدريبها، مثل كتاب الفروسية والبيطرة لابن أخي حزام، الذي كتب في أوائل العصر العباسي. ويحتوي المخطوط على العديد من الأشكال، التي تبين كيفية تدريب الخيل الأصيلة والمهجنة. كما يشتمل الكتاب على قسم خاص بأمراض الخيول، وكيفية مداواتها من الأمراض التي تصيبها عادة. كما استعرض أحد الأبحاث الأعمال المخطوطة، المرتبطة بالفروسية في الفترة المملوكية ، التي ضمت رسومات بديعة ، تتناول جوانب متعددة من التدرب على القتال بالسيف ، والرمي بالسهم، واستخدام الرمح. كما عرضت مخطوطتان من كتاب منافع الحيوان لابن بختيشو، الذي اختيرت صورة غلاف المجلد الأول منه ، وهي رسم لحصان يمشي في تؤدة واعتزاز، وهو في أبهى حلة. وأخرى من كتاب البيطرة، الذي يتضمن معلومات جمة عن الأعراض التي تصيب الخيول، وموقعها من الجسم. وقد تضمن المخطوط رسومات مفصلة، تبين مواضع الألم لكل جزء من جسم الحيوان. واشتملت مخطوطات فارسية عدة، على معلومات قيمة عن الحصان، كما تضمنت رسومات غاية في الدقة والجمال ، تعبر عن مشاهد من الحياة اليومية ، مثل الصيد. ومن هذه المخطوطات ، مخطوطة فرس - نامة، التي اشتملت على رسومات جميلة وملونة، تبين طباع الحصان وخصائصه الجسمية.

وقد تناول أحد الأبحاث، المخطوط المعروف باسم مخطوط عباس باشا، الذي قدم بحثاً موسعاً حول أصل الحصان العربي، من خلال إيفاد مبعوثين لجمع معلومات من قبائل الجزيرة العربية، التي تملك خيولاً أصيلة، ذات نسب معروف. وقد ساعدت العلاقة الوطيدة بين عباس باشا، والإمام فيصل بن تركي، جد الملك عبد العزيز، يرحمهم الله، في تسهيل مهمة مبعوثي عباس باشا، في الحصول على جياد معروفة النسب والأصل.

وقد اشتمل بحث فريد على معلومات عن تدريب الحصان وتعليمه، كتبت بالخط المسماري على رقم طينية، تعرف باسم "رقم الكوكيلي" . وقد تضمن البحث وصفاً دقيقاً للخطوات، التي ينبغي اتباعها لتهيئة الحصان للمهام المطلوبة منه.

وتناول بحث آخر تطور سلاح الفرسان في العصور الإسلامية، حيث أشار الباحث إلى ندرة الخيل في عصر الرسول ، عليه الصلاة والسلام، ثم شيوع استخدامها بشكل أوسع، مع توسع الفتوحات الإسلامية.

ركز أحد الأبحاث على استخدام الحصان، كعنصر زخرفي في النحت على المعادن الإسلامية، وفيه أظهر النحات براعة في إبراز تفاصيل دقيقة على الأواني

والقطع المعدنية؛ فيما تناول باحث آخر الحصان على العملات الإسلامية، وهو أمر يمثل تأثراً بالحضارات المتداخلة مع الحضارة الإسلامية.

كما استعرض بحثان آخرين، تماثيل الخيل المصنوعة من الخشب أو الطين، التي وجدت في أفريقيا ، وآخر استعرض وجود الحصان في أفريقيا، وتضمن استعراضاً لعدد من الأسرجة الجلدية الأفريقية.

المجلد الثاني

يحمل المجلد الثاني من كتاب الفروسية عنوان "الكاتالوج" ، حرره الدكتور ديفيد الاسكندر، احتوى هذا المجلد على سبعة فصول ، يمثل كل فصل منها مبحثاً مطولاً حول موضوع ذا علاقة بالحصان، في السجلات الآثارية والتاريخية. وراوحت صفحات كل مبحث على ما بين عشرين إلى ستين صفحة تقريباً.

وقد اشتمل كل مبحث على دراسة حول موضوع محدد، يعقبه استعراض وصفي موثق لقطع أثرية، أو رسومات ، أو مخطوطات، لها علاقة مباشرة بالموضوع، الذي جرى استعراضه أولاً.

وأما عناوين المباحث السبعة التي اشتمل عليها هذا المجلد فهي مايلي:

أولاً : استئناس الحصان وعصر العربة:

يستعرض هذا المبحث بداية استئناس الإنسان للخيل ، وتعود إلى حوالي ستة آلاف سنة مضت، ويعتقد أنه تم في منطقة البحر الأسود، من قبل البدو الرحل. بعد ذلك أدركت المجتمعات المستقرة، في منطقة بلاد الرافدين، قيمة الحصان، فاستفادت منه في العديد من أمور الحياة اليومية. ومن الاستخدامات العديدة للحصان، عملية جر العربات، التي تخفف عبئاً كبيراً عن التاجر أو المزارع في ذلك الزمن ، مما يسهل نقل البضائع والمحاصيل، وتفعيل التبادل التجاري في إطار جغرافي واسع، بين القرى والمدن. وقد عرفت المجتمعات البشرية، في منطقة الشرق الأدنى القديم، الحصان واستفادت منه في أمور الحياة اليومية المختلفة. وتدل على ذلك آثارهم المادية، والأعمال الفنية المحفورة والمرسومة، وكتاباتهم.

تناول هذا المبحث، أيضاً، استخدام الخيل وأهميته في بلاد الرافدين ، ومصر، وإيران ، وقبرص، والجزيرة العربية. وقد ألحق بهذا الجزء، وصف علمي مفصل لمجموعة من القطع، والبقايا الآثارية المتنوعة، التي تصور علاقة الإنسان بالخيل، لدى العديد من المجتمعات القديمة.

ثانياً : الحصان في المعركة:

يستعرض هذا المبحث الدور الحيوي للحصان، في الجوانب العسكرية، عبر كافة العصور، حيث ساهم في ترجيح كفة الفرق المتحاربة، لما له من قدرات جسمية، ومرونة عالية في المناورة الميدانية. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ...) ، (الأنفال، الآية ٦٠). ولأهمية دوره في وقت الحرب، حرصت الشعوب على تهيئته بالشكل المناسب، لحمايته من الإصابات ، التي قد تودي بحياة فارسه. لذا، صنعت له ألبسة ودروع واقية، تتلاءم مع طبيعة دوره الميداني، وتتناسب مع مكانة الفارس، الذي يركبه. ومن الشعوب التي عرفت استخدام الحصان في الحروب، على سبيل المثال لا الحصر، الآشوريين، والسكيثيون ، والصينيون، والفرس ، والعرب، قبل الإسلام وبعده، والمغول، والساسانيون، وغيرهم. وعلى الرغم من استخدام العرب للحصان في الحرب ، قبل الإسلام وبعده، لم يصلنا الشئ الكثير من آثارهم. وقد أعقب هذا المبحث، استعراض لمجموعة من القطع والبقايا الآثارية، التي تبين دور الخيل في الحروب، أو قطع تمثل بقايا من الألبسة التي تستخدم للخيل، عند بعض المجتمعات البشرية القديمة. كما تشتمل المجموعة على قطع وحلي وأدوات، فيها تصوير للخيل في ميدان القتال. وقد عرضت في هذا الجزء مخطوطات تعود للعصر السلجوقي ، تظهر فيها مشاهد قتال حربية، تصور مشاهد معركة. وهناك العديد من الأمثلة على مستوى وجودة

الصناعة للباس الذي يرتديه الحصان في المنازلات الحربية، وبعضها يعد فريداً في مستوى صناعته وفخامته ، كالسيوف ، والدروع، والأسرجة، والخوذ، وغيرها.

ثالثاً : الصيد ورياضة البولو والرمي بالنبال (السهام):

الصيد من أقدم النشاطات البشرية، التي عرفها الإنسان ، وتكون ، غالباً، مصدراً أساسياً للحصول على الغذاء الكافي. وقد ساعد استئناس الحصان على الإستفادة منه في نشاطات الصيد ذاتها، لما يمتلكه من قدرات بدنية، تجعله قادراً على اللحاق بالطريدة والتمكن منها. وقد صورت العديد من اللوحات الجدارية، رحلات الصيد التي يقوم بها الملوك ، خاصة صيد الحيوانات المفترسة، مثل الأسود، والنمور، وغيرها . كما ظهرت رياضة الصيد هذه عند الساسانيين، والبيزنطيين، وغيرهم.

كما أن رياضة الصيد بالنبل، تعد من الرياضات القديمة، لما لها من ارتباط مبكر بصيد الحيوانات . وتشير النقوش السامية المبكرة، إلى أن الأدوميين، سموا معبود الحرب باسم "قوس"، وهو الاسم العربي المعروف، لهذه الأداة الحربية. وقد أظهرت المنحوتات الآشورية، مناظر قتال بين الآشوريين وعرب البادية، الذين كانوا يركبون الجمال ، ويستخدمون القوس في الدفاع عن أنفسهم. كما عرف عن القبائل الرحل في أواسط آسيا، استخدامهم للقوس بصورة أساسية في حروبهم، وفي أعمال الصيد. وقد عرف عن التتار والمغول، براعتهم في استخدام القوس والنبل.

وأما رياضة البولو ، فقد نشأت في بلاد فارس، بين القرنين السادس قبل الميلاد ، والأول الميلادي. ويعد الخليفة هارون الرشيد، من أوائل من شجعوا على ازدهار هذه اللعبة في العالم العربي. وقد دلت البقايا الأثرية على انتشار هذه اللعبة في الصين. كما أظهرت ذلك التماثيل القزمية التي تعود لعصر حكم أسرة تاغ.

وقد تضمن هذا الجزء عدداً من الأمثلة، التي تمثل هذه الرياضات، بما فيها رياضة الصيد بالصقور، التي تستحق أن يتوسع في الحديث عنها. لما تمثله من تقليد عربي عريق. كما تظهره بعض أمثلة المشغولات الفاطمية العاجية، ذات المستوى الفني الرفيع.

رابعاً : الاحتفالية والفخامة :

حظيت الخيل بدور كبير ومهم، في المناسبات والاحتفالات الرسمية عبر العصور. ومن أهم تلك المناسبات، مراسيم تنصيب الحاكم، والفوز في المعارك الحربية، وحتى عند نقل رفات زعيم أو قائد للدفن. وقد بلغ من شأن الحصان، أنه كان يمثل هدية ذات قيمة عالية، يتهادى بها الزعماء والأمراء. وقد انعكس ذلك، أيضاً، على اللباس الخاص بالخيل، والجهد الذي بذل في خياطته، وتطريزه، وتطعيمه بالجواهر النفيسة وخيوط الذهب والفضة. وكذلك الأسرجة والأربطة الفاخرة، التي تستخدم فقط في المناسبات السلمية. وقد عرضت العديد من القطع، التي يشملها هذا المبحث، وفيها الكثير من القطع العثمانية والأفريقية، وكذلك المخطوطات التي تحمل رسوماً متعددة.

خامساً : العناية البيطرية والعلم :

يعنى هذا المبحث بإبراز معرفة الشعوب القديمة، بكيفية التعامل مع المتطلبات الضرورية، التي يحتاجها الحصان، عند إصابته، أو تعرضه لمرض. وقد وجد في الكتابات اليونانية القديمة عند الإغريق، ما يدل على معرفتهم وممارستهم لعلاج الخيل. كما أن العرب كان لهم دور كبير ومشاركة علمية متميزة، في مجال الطب البيطري. ومن الأمثلة على ذلك، كتاب البيطرة لابن الأحنف، الذي أورد فيه العديد من القضايا الطبية المرتبطة بعلاج الحيوان، واشتمل على عرض مصور لكيفية إجراء بعض العمليات البسيطة، أو كيفية تدريب الحصان على أداء مهام معينة. وقد اشتمل هذا الجزء على معلومات عن السرج ، وأصله، واستخدامه، وهو أمر يبدو لي أنه في المكان غير المناسب لعدم وجود علاقة واضحة بينه وبين العناية

البيطرية. وربما لو أنه ضمن مع المبحث الأول، لكان أكثر ملائمة. وقد تضمن هذا المبحث عرض للعديد من اللوحات والمخطوطات المصورة، التي تبين مشاهد لعلاج الحصان وتدريبه.

سادساً : الأحصنة المجنحة، والأحصنة البطولية، والحصان في الأدب والاسطورة:

يعرض هذا المبحث للعلاقة الوثيقة بين الحصان والأسطورة من نواح عدة؛ فالحصان ملازم للفارس في بطولاته، ويمثل جزءاً من الخيال الأسطوري، في آداب الشعوب العربية و غيرها. وقد ورد في الكثير من الأساطير الإغريقية الصراع الذي يدور مع حيوانات خرافية، ومنها الحصان جزء من هذا الصراع. كما أن الحصان نفسه قد أصبح أسطورة، بتصويره على هيئة كائن مجنح يستطيع الطيران في الفضاء الرحب. وقد وجدت أمثلة عديدة للأحصنة المجنحة والأسطورية والبطولية في العديد من التصاوير الجدارية، والعملات والأواني الخزفية ، والزجاجية.

سابعاً : الحصان في القرآن والحديث النبوي :

يشمل هذا المبحث عرضاً لنشأة الحصان العربي، والموقع الجغرافي ، الذي ترعرع فيه، وما إذا كانت الجزيرة العربية تمثل فعلاً الموطن الأصلي له . وقد بلغ من اهتمام العرب بالخيل، أنهم سجلوا لها نسباً متصلاً، واعتنوا بحفظه، وعدم تداخل أنسابه مع بعضها. وقد ورد ذكر الخيل في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، التي تظهر أهمية الحصان في العديد من شؤون الحياة اليومية للمسلم. فهناك مايتعلق بالجهاد ، والدفاع عن حقوق المسلمين المغتصبة، وكذلك استخدام الخيل في الركوب، والانتقال من مكان لآخر، بهدف السفر والترحال؛ أو اتخاذها مصدراً غذائياً.

وقد تضمن هذا المبحث عرضاً لبعض المخطوطات القرآنية، التي كتبت بخطوط عربية مختلفة، وزينت بزخارف جميلة، بينما لم تضمن أمثلة مصورة من الحديث النبوي الشريف، تحمل إشارة لذكر الخيل.

وقد تضمن المجلدان الأول والثاني رصداً شاملاً لكافة المراجع، التي تم الرجوع إليها في هذا الكتاب القيم، وكذلك قائمة بالنقوش العربية والفارسية، التي وردت داخل النص.

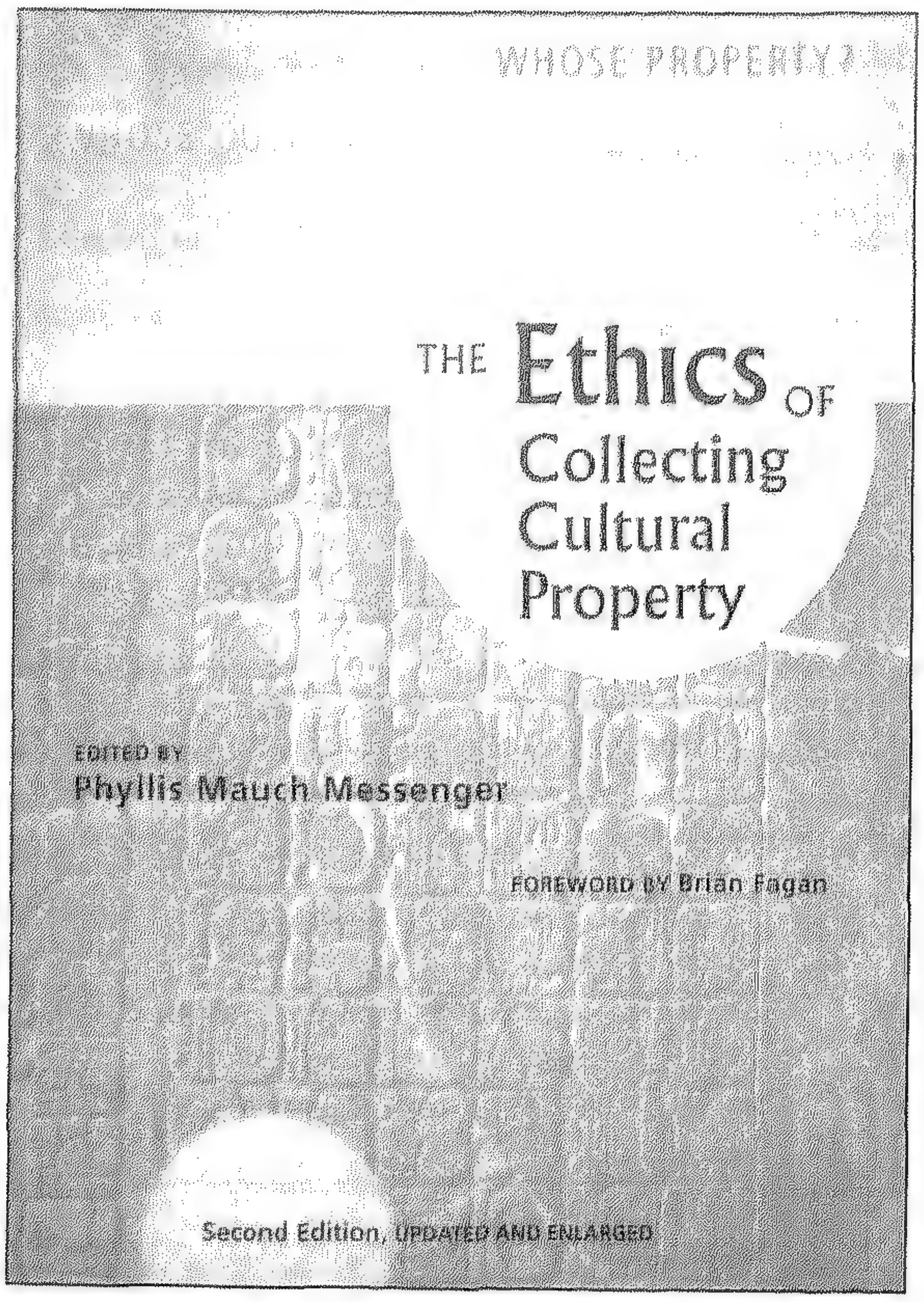
إن هذا العرض السريع، لهذا الإصدار القيم، الذي يفخر به كل باحث ومهتم بالفروسية، يهدف - في واقع الأمر - إلى التعريف بالإصدار، الذي لا غنى من الرجوع إليه للتعمق فيما احتواه من معلومات، ودراسات علمية قيمة، قلّ أن تتوفر في إصدار واحد.

وقد أظهر هذا المجلد وجهاً مشرقاً، وقيمة عالية، للمسوحات والدراسات الاثارية، التي تمت من قبل وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، وقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، على مدى ما يزيد عن ربع قرن، من العمل الدؤوب، والجهود المخلصة، للكشف عن تراثنا الحضاري الغزير. ولعل مكتبة الملك عبد العزيز العامة، تأخذ بالاقتراح ، الذي طرحه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، في حفل تدشين كتاب الفروسية، الذي حضره جمع من المهتمين بالفروسية على كافة الأصعدة والمستويات، المتمثل في إعداد إصدار مماثل عن الجمل ، يظهر فضله ودوره في حياة المجتمعات العربية والإسلامية. وقد لقي هذا الاقتراح الدعم والقبول من صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود، الذي وعد بتفعيله، والعمل على الخروج به إلى النور.

ولعلي أقترح في ختام هذا العرض، أن يتسنى للقائمين على هذا الإصدار القيم والمفيد، إصدار نسخة أخرى من الكتاب، تكون ذات حجم أصغر ، مما يسهل حملها، ويجعلها تتوفر في المكتبات بشكل أكبر، لخدمة أكبر عدد من المهتمين بالفروسية، على كافة المستويات.

د. عبد الله بن محمد الشارخ - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية asharekh@ksu.edu.sa

اسم الكتاب : أخلاقيات جمع الممتلكات الثقافية
المحررة : فيلس موش ميسنجر
الناشر : مطابع جامعة نيو مكسيكو
سنة النشر : ١٩٩٩ (الطبعة الثانية)
رقم التصنيف الدولي : 9-2125-8263-5
مقاس الكتاب : ٢٣،٤ سم × ١٥،٤ سم
عدد الصفحات : xxviii + ٣٠١ صفحة
(وتشمل ٣٠ لوحة).



عرض : د. يوسف مختار الأمين

تصدر موضوع الممتلكات الثقافية وحمايتها في العقدين الأخيرين، قائمة اهتمامات الحكومات والمنظمات الإقليمية والدولية، والجمعيات الأهلية، والأكاديميين العاملين في قطاع الآثار والمتاحف، والمثقفين المهتمين بقضايا الثقافة والتراث، ويقصد عادة، بالممتلكات الثقافية كل المصنوعات الآثارية والتاريخية والتراثية، التي تمثل العناصر المادية، المعبرة عن ثقافات الشعوب في الماضي والحاضر. ولاتتوقف الإشارة إلى هذه المصنوعات الفنية فقط ؛ وإنما تشمل المواقع الأثرية، والمستوطنات التاريخية، والمحيط البيئي، الذي وجدت فيه.

وقد تعرض التراث المادي للأمم، للتخريب والسرقة والاستحواذ منذ أمد بعيد؛ وبذلك لأسباب كثيرة منها : نقل القطع الفنية والأثرية المهمة ، إلى متاحف أو معاهد تعليمية، خارج دولها الأصلية ، عندما كانت الدول الغربية تفرض سيطرتها على معظم دول العالم. وازدهر نشاط سرقة المواد التراثية والأثرية بمرور الوقت، نتيجة للأوضاع الأمنية والاقتصادية في بعض الدول. فالحروب الأهلية والإقليمية، على سبيل المثال، لاينتج عنها تدمير المباني والمنشآت العسكرية والمدنية فقط؛ وإنما يمتد الخراب إلى المتاحف، مستودعات التراث الإنساني، وإلى المواقع الأثرية. وفي مثل هذه الظروف ينفرط عقد الأمن حيث تغيب النظم والقوانين، ويلجأ بعض ضعاف النفوس إلى نهب الكنوز الأثرية، وتهريبها خارج البلاد، لتجد طريقها للأسواق العالمية.

وقد فقدت بعض الدول نتيجة لمثل هذه الظروف، معظم ماتحويه متاحفها الوطنية (دبيري ١٩٩٦). وفي حالات أخرى، كان العائد المادي هو السبب الرئيس، الذي يجعل المواطنين ينهبون القطع الأثرية، ويبيعونها لتجار العاديات، ويساعدهم في ذلك ضعف الأجهزة الأمنية، والإدارية، وغياب الوعي العام بأهمية الممتلكات الثقافية، ووجوب المحافظة عليها ورعايتها.

ومن المعلوم أن نشاط الجهات، التي تعمل على الاتجار في المواد التراثية بطرق غير مشروعة، قد بلغ في الآونة الأخيرة درجة عالية من التنظيم، وامتدت شبكاته السرية على نطاق واسع، ويقال أن حجم التجارة العالمية غير المشروعة في الأثريات، والقطع الفنية، والمخطوطات التاريخية، يبلغ الملايين من الدولارات سنوياً ليأتي الثاني بعد تجارة المخدرات.

وفي مقابل هذه الأوضاع، ازداد الاهتمام بالموروثات الثقافية، والمحافظة عليها من كل ضروب الاعتداء والضياع، وذلك من قبل المسؤولين في الدول الأكثر تضرراً، وهي مايطلق عليه، عادة، دول الجنوب. وقد عانت هذه الدول من نقل وتهريب الآثار منذ زمن الإدارات الأجنبية، حين كانت الإرادة الوطنية بعيدة عن تقرير مصير أوضاعها. وفي هذه الفترة جمعت الآثار والوثائق، باعتبار أنها حق مشروع للمستعمرين، لدراستها وحفظها في المتاحف. وتتمثل ردة الفعل الحديثة في المطالبة برد الحقوق، واستعادة ذلك التراث الذي نقل من مواطنه بطرق غير مشروعة، وفي ظروف غير طبيعية. وصدرت نداءات المطالبة من الحكومات، ومن المنظمات الإقليمية والعالمية، برد الحقوق، ومكافحة نقل الممتلكات الثقافية. وتلخصت هذه المطالبة المتكررة في العديد من المواثيق الدولية، التي ترعاها الأمم المتحدة، فقد أصدرت منظمة اليونسكو أول معاهدة لها في هذا الخصوص عام ١٩٥٤م، ثم طورت لاتفاقية تحظر الاستيراد والتصدير غير المشروع، للمتلكات الثقافية في عام ١٩٧٠م.

وتوالت الاتفاقيات الدولية والثنائية بعد ذلك بدرجة، تعكس تنامي الاهتمام بالمحافظة على التراث الثقافي، لدى كل الأطراف. وقد وقع على وثائق اليونسكو بحلول عام ١٩٩٧م، ثمانية وثمانون دولة . وعلى المستوى الشعبي، ينعكس الاهتمام بالموروث الثقافي في ما تبثه وسائط الإعلام المختلفة، وأوعية النشر الأكاديمية، من أخبار تتعلق بسرقات المتاحف، والتعدي على مواقع الآثار، ثم القضايا الكبرى، التي تفصل فيها المحاكم لمصلحة أصحاب التراث، أو بلد المنشأ. وقد أسهم ذلك في المطالبة بالمزيد من الإجراءات الرادعة، وإصدار القوانين والأنظمة، التي تزيد من مستويات الرقابة، وتقييد نشاط المتاجرين بالتراث.

ومن الناحية المهنية، لعب الاثاريون دوراً متعاظماً في العمل على حماية التراث الإنساني وصيانته، بصفة عامة. وفي السنوات الماضية، عقد العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية المخصصة لهذا الموضوع. واتجه كثير من الآثاريين والانثروبولوجيين للكتابة، عن أهمية المعثورات الأثرية ومخلفات الماضي، من مبان، ومخطوطات، وفنون، ودورها في إجلاء مكونات الهويات الثقافية الحالية. وصار لعلم الآثار، نتيجة لمثل هذه البحوث الجديدة، القدح المعلى في إثبات حقوق السكان المحليين، في بلدان مثل أمريكا، واستراليا، في مجالات الثقافة، ومن ثم التمتع بالحقوق المدنية، والسياسية، والأمر نفسه ينطبق على تلك الدول ، التي تعيش فيها أقليات إثنية، لها ثقافاتها المتميزة.

كذلك، طرح الآثاريون، في أكثر من مكان، قضية حماية التراث الإنساني، وأوضحوا دورهم المهني في ذلك. وهكذا صار الحوار المستمر، حول تأسيس قيم أخلاقية للعمل الآثاري، بصفة عامة بدءاً من الطرق المشروعة، والعلمية، في التنقيب الآثاري وحفظ المعثورات وصيانتها، ثم نشر معلومات عنها للرأى العام، بالقدر نفسه الذي يفعلونه في قنوات النشر الأكاديمية. وقد بدا أن لعلماء الآثار آراء، وأفكاراً، تبدو متباينة أحياناً، في الأسس التي تقوم عليها مبادئ توزيع الآثار والمحافظة عليها، ومطالبات الدول باستعادة ممتلكاتها الثقافية، التي أخذت منها بطرق مختلفة. ومما زاد في أهمية المناقشة للموضوع، بين الآثاريين، عندما صارت مواقفهم يعول عليها كثيراً، في ترجيح بعض القرارات الرسمية المتعلقة بمختلف شؤون استرداد الموروثات الثقافية (Green 1984) .

ويأتي الكتاب، الذي نحن بصدد مراجعته، في سياق هذه المحاولات الرسمية والأكاديمية، لحماية الممتلكات الثقافية. وهو عمل مهم يمثل احدى المحاولات الجادة، في جمع عدد كبير من المهتمين من تخصصات مختلفة، ليبحثوا في القضية من جوانبها المختلفة. والكتاب أيضاً، محاولة متخصصة،

في اتجاه تأطير مسألة الحقوق والواجبات، في المحافظة على التراث الثقافي، من ناحية نظرية وعملية، وتعود فكرة الكتاب إلى مقترحات نوقشت، في مؤتمر جمعية المايا في مينسوتا الأمريكية عام ١٩٨٣م، تتعلق بالسرقة والتخريب، الذي تتعرض المواقع الأثرية في المكسيك وأمريكا الوسطى، أكثر بلدان العالم تضرراً من هذه الأعمال.

وقد عقد مؤتمر خاص لمعالجة الموضوع في ١٩٨٦م في مينوبولس، تحت عنوان : "المبادئ الأخلاقية لجمع الممتلكات الثقافية"، وذلك من خلال مناقشة جريئة، اشترك فيها متخصصون في الآثار والمتاحف، والفلسفة، والقانون، وتجارة التحف الفنية، وتاريخ الفن، والإدارة، والجمارك. ونشرت مداولات ذلك المؤتمر بعد إضافة بحوث متخصصة إليه، عام ١٩٨٩م لأول مرة . وعندما شعر القائمون على أمر المؤتمر بأهمية الكتاب، وتأثيره المباشر في الدوائر الرسمية، والأهلية، أعيد نشره ثانية في ١٩٩٩م، حيث صدرت منه نسخة مزيدة، ومنقحة، وشارك في كتابته ثلاثة وعشرون باحثاً. وكتب له تصديراً قصيراً الأثاري الشهير براين فيغان ، وقدم له محررة الكتاب فيلس ميسنجر، بشرح لتاريخ فكرة المؤتمر ونتائجه.

وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، يشتمل كل قسم منها على عدد من الفصول، التي تمثل واحداً من المحاور الرئيسة في الموضوع. وأضيفت لفصول الكتاب، السبعة عشر، ثلاثة ملاحق، تكتسب أهميتها عند قراءتها في ضوء الاطروحات التي ناقشها الباحثون في ضوء مواقفهم الفكرية المختلفة. فالملحق الأول فيه القوانين والأنظمة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعني بالممتلكات الثقافية المحلية منها، والعالمية، التي وجدت طريقها إلى أمريكا عبر قنوات مختلفة، غير شرعية، وأخرى يعتقد أنها شرعية، ولكن أصحابها يطالبون بها. كذلك فيه لوائح وأنظمة الهيئات والقطاعات، ذات الصلة بالموروث الثقافي، مثل الغابات، والحياة الفطرية، والأسماك. أما الملحق الثاني، فهو عبارة عن لائحة جمعية الآثار الأمريكية، التي تحدد المبادئ الأخلاقية لحماية الممتلكات الثقافية وصيانتها. والملحق الثالث يشتمل على أسماء المنظمات والهيئات، العاملة في مجال الآثار والتراث في أمريكا وعناوين الإتصال بها .

كتبت كارن وارن فصلاً مطولاً كمقدمة في القسم الأول، قصد به معالجة الجوانب الأخلاقية، ومنطلقاتها الفلسفية، في قضايا الممتلكات الثقافية، وعرضت فيه لكل المواقف الفلسفية، التي طرحت في مساهمات الباحثين المشاركين في الندوة. ولهذا السبب، فيبدو من المناسب عرض النقاط التي وردت في هذا الفصل بشئ من التفصيل.

بدأت الباحثة بطرح الأسئلة المعهودة : من يملك الماضي (التاريخ) إن كان هناك من أحد ؟ ومن له الحق، أو تقع عليه المسؤولية في الحفاظ على الموروثات الثقافية ؟ متى تعلو الاعتبارات التعليمية، وقيم المحافظة على التراث الإنساني، فوق رغبات الإرادة الوطنية، عند تحديد مصير الممتلكات الثقافية ؟ ما الذي يمكن وصفه بالتجارة القانونية أو غير القانونية في المواد الثقافية ؟ وما القيم التي توضع في المحك، في حالات النزاع حول هذه المواد الثقافية ؟ وما السبيل لإيجاد الحلول المناسبة لها ؟

تبرز هذه الأسئلة وغيرها في كل مرة تطرح فيها قضية الممتلكات الثقافية، وحقوق الأطراف المختلفة في امتلاكها وحمايتها، وهي أسئلة مهمة؛ لأنها تثير قضايا ذات طبيعة فلسفية، في نظرتنا لماضي الإنسانية ، ورموزه المادية . فمن له الحق في تشكيل صورة ذلك الماضي (التاريخ)، أو أن يدعيه أحد، إن كان ذلك ممكناً ؟ كذلك، تثار مجموعة من القيم الأكاديمية والتربوية والاقتصادية المتصلة بالممتلكات الثقافية وحيازتها ، تعكس تضارب المصالح والاختصاصات، بين

الأطراف المختلفة، من حكومات ومؤسسات تعليمية ومتاحف وتجار عاديات، وتعبر هذه التساؤلات عن مواقف متضاربة، في النظر للموروثات الثقافية، من جهة امتلاكها والمحافظة عليها. كما تعبر عن موضوع شائك، لم يتفق الناس حوله حتى الآن . إن الشئ المهم في هذه الحالة هو أن يتفق الجميع، أولاً، على الوسيلة المناسبة للمعالجة، ثم الدخول في تفاصيل القضية المتنازع عليها.

وبالرجوع إلى الأدبيات المنشورة حول قضايا الممتلكات الثقافية، يتضح مباشرة هيمنة الرؤية الغربية، في هيكلة الإشكاليات المتعلقة بالتراث على ما عداها وترى الكاتبة أن هذه الرؤية الغربية تمثل إشكالية في حد ذاتها، كما أنها ليست مؤهلة للإحاطة الكاملة بالموضوع وتشير إلى أن المطلوب، الآن، إيجاد رؤية أو أطروحة شاملة، تعيد النظر في قضايا الممتلكات الثقافية، ومحاور النقاش فيها وتمزج مابين الروية الغربية، ورؤى الشعوب الأخرى، التي فقدت جزءاً من تراثها.

وتتلخص منطلقات النزاع حول الممتلكات الثقافية، في ثلاثة أمور رئيسة تتعلق باستردادها، ثم الحقوق المستحقة لكل طرف، من أطراف النزاع. وتتحدد المواقف في مثل هذه الحالة، بطبيعة الحال، من قيم أخلاقية متباينة، مثل تلك التي تطرحها الأسئلة آنفة الذكر. وهناك ثلاثة أجوبة يمكن أن تقدم كبدائل متنافسة : الأولى أن الماضي (التاريخ) ملك لكل الناس، والثاني أنه ملك لمجموعة محدودة، والثالث أنه غير قابل لأن يمتلكه إنسان ، أو مجموعة من الناس . وبمتابعة المناقشة المستمرة حول هذه الآراء، تبلورت عدة مواقف، تساند أو تعارض، دعاوى أصحاب الرأي القائل بأحقية الدول في ملكية المواد الثقافية، التي تكتشف فيها؛ فالذين يعارضون إعادة الممتلكات الثقافية، ومبدأ تقييد حركتها بالتصدير والاستيراد، يقدمون ست حجج لدعم موقفهم المعارض:

الحجة الأولى تقوم على مبدأ إنقاذ التراث ، إذ يرون أن معظم المواد الثقافية، التي يدور حولها الحديث تم إنقاذها فعلاً بواسطة الدول الغربية، التي تحفظها الآن بطرق علمية حديثة. وقد كانت معرضة للتلف والضياع، إما بفعل الطبيعة، أو الحروب، أو الإهمال في أوطانها. ومن ثم فإن الإمكانيات المادية والعلمية للدول الغربية، تمكنها من العناية بهذه المواد الثقافية، ولذا يصبح الاحتفاظ بها أمراً مشروعاً، ولايحق لأي أحد المطالبة بها، بعد كل الجهد الذي بذل في رعايتها ودراستها. فالملكية تؤول للجهات التي أنقذت الممتلكات الثقافية وحفظتها.

الحجة الثانية تقوم على مبدأ الاتفاق القديم، بين هذه الدول والدول الغربية، الذي يسمح بنقل الممتلكات الثقافية، خاصة في فترات الإدارات الأجنبية لبعض البلدان. أما الآن فلا يحق لهذه الدول المطالبة بما نقل في تلك الظروف ، والنزاع في مثل هذه الحالات، أساسه أخلاقي بحت؛ لأن الأمر ليس قانونياً صرفاً، وإنما تلفه أمور عاطفية.

وتقوم الحجة الثالثة على مبدأ الاستحواذ ، من منطلقات إنسانية، إذ يظن البعض أن كثيراً من الممتلكات الثقافية التي تم نقلها لها قيمة فنية، وأكاديمية، وتربوية تفيد المجتمع الإنساني بصفة عامة، وهي لذلك حق للإنسانية جمعاء، ولايحق لبلد واحد إدعاء ملكيتها. وبناء على ذلك فليس هناك من جهة قانونية، يمكن لها أن تقضي في هذا الموضوع. ومثل هذا الرأي لايمر دون اعتراض، فهناك من لا يعتقد على الأقل، من ناحية فلسفية بوجود "طبيعة إنسانية مشتركة".

تقوم الحجة الرابعة على مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". فنقل الممتلكات الثقافية من أماكنها، إلى مختلف القارات وتداولها بالبيع والشراء، يسهم في تطوير بعض القيم الإنسانية المهمة، مثل إثراء القيم الجمالية، والتذوق الفني، ومستويات البحوث

الأكـاديمـيـة. كـذلك يؤدي إلى المحـافظة عـلى القطع الفنيـة النادرة، التي لا تقـدر بثمن ونتـيجـة لكل هذه العمـليـات، تعلو قيم المـشاركة الإنسـانيـة، والانفـتـاح الثقـافي، والتآلف بين الأمم ، خـصـوصاً على قيم الفـرقة والانكفاء.

ويدعو أصـحاب الحـجة الخـامسـة، إلى الاحتـفـاظ بالممتلكات الثقـافية في أماكنهـا الحالية، لكي تكون في متناول الأكاديميين والباحـثيين في التراث الانساني ، لدراستها ونشـر المعلومات عنها. لأن اعادة هذه المواد لأوطانهـا، سـوف يحـرم هـؤلاء البـاحـثين من إنجاز مهمـاتهم . وهذه حجة من نوع الغاية تبـرر الوسيلة. ويبقى التـساؤل مشـروعـاً عن مصدر هذه المسـؤولية التي يتمـتع بها هؤلاء لتجـعلهم قيـمين على التراث. ويبدو ضعف هذه الحجة أكثر وضوحاً، إذا توفرت ظروف مواتية للعلماء لدراسة هذه المواد في أوطانها.

وتنادي الحـجة السـادسـة بحرية نقل المـمتلكات الثقـافية، لأن تقـييد عـمليات البيع والشـراء يشجع على النشـاط غير المشروع. فتـتوسع بذلـك ممارسات نهب المواقع الأثرية، وسـرقـة التـحف، وتنتـعش تجـارة السوق السوداء فـيها. ويعتقـد البعض أن حرية تدفق المواد الثقـافيـة، أفضل بكثـير من منعـها. وهذا الرأي يثير هو الآخـر الجانب الأخلاقي، المتعلق بحق الشعوب في التحكم في ماتعتقد أنه من حقوقها المشروعة.

وفي مقـابل هذه الحجج، يقدم الذين يقـفون على الجانب الآخـر ، مـؤيدين لحـقـوق الدول المنـهـوبة في استرداد ممتلكاتها الثقـافيـة، ثلاث حجج يدعمـون بها موقفهم :

تقول الحـجة الأولى بمبـدأ الحق المشروع، في الموروث الثقافي لكل أمة، لأنه يمثل الهوية الثقافية والتاريخ، لذلك فإن نقل الممتلكات الثقـافية من أوطانها، يحرم سكان تلك البلاد من موروثهم، وهو أمر لامبرر له، وهو تعد صريح يجب إيقافه. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرأي يعتمد على أن جزءاً من هذا التراث يمثل أهمية خاصة للشعـوب، من نواحي دينيـة، أو اثنية، أو تاريخـية. وفي هذه الحـالة يصبح من المهم تحديد هذه الممـتلكات الثقافية، وتقديم دراسات مفصلة عنها. فمن دون ذلك تفقد هذه الحجة شيئاً من قوتها وبريقها.

وتبدو الحجة الثانية بسيطة في فحواها ، إذ تقول : إن الممـتلكات الثـقـافيـة حق لأصحـاب المكان. الذي وجدت فيه، ولابد أن تعود وتبقى فيه. والافتراض هو أن وجود الشعوب المختلفة في أماكنها الحالية، موثق منذ حـقب التـاريخ الأولى، أو أن الأمر يتـوقف على الحـدود السياسية الحالية.

أمـا الحـجـة الثـالثـة فـتـقـوم على فكرة وحـدة المـمتلكات الثقـافـيـة وتكاملـها. فـإذا ما أريد لهـا أن تحتفظ بفـائدتها الجمالية والأكاديميـة، فلابد أن تبقى كاملة في مكان واحـد. فالتجـزئة تفقدها كثـيراً من خواصها الثقافية.

هذه هي الحجج والمـواقف التقليدية، التي تـتبناها الأطراف المخـتلفـة، في الدفـاع عن حـقـوقـهـا في الممتلكات الثـقافيـة، من ناحية حـيازتها، أو بيعـها، أو عرضها في مـؤسسات علمية. وبمتابعـة مايحدث في أروقـة الأجـهـزة، التي تـعنى بفض الـنزاعـات بين الحكومـات، والمؤسـسـات، والأفـراد، حـول المـمتلكات الثقافية، يتضح أن الدفاع يقوم على قوة الحجة، الأمر الذي ينقل القضـية إلى حالة أربح، أو أخـسر . وهكذا يصبح النقـاش محـصـوراً في حدود ضيقـة لا تفضي إلى حلول مناسـبة، كمـا توضح معظم البحوث في هذا الكتاب. فالخطوة الأولى نحو إيجاد حلول مناسبة، فيـما يبـدو تكمن في تحديد القـواسم المشتـركة في الأهداف والمفـاهيم، ومن ثم الاتـفـاق علـى القنوات، التي تفصل في قضايا فض النزاعـات. وتقترح الكاتبة أن أفـضل الحلول هي ، التي تؤسس على التـراضي أو دخـول طرف ثالث للتوسط، والابتـعاد -قـدر الإمكان- عن منطلقات الربح والخسارة. ولابد لأي حلول مقترحة أن تراعي الجوانب النفسيـة والتاريخية، لكل الأطراف.

على أن يتم تحديد معنى "الملكية" بدقة. خاصة أن بعض الناس لاينظر للمواد الثقافية من هذه الزاوية، بقدر نظره إليها على أنه هو أمر رعاية أو حماية لها.

ويضم بقية القسم الأول من الكتاب خمسة فصول، تمثل في مجموعها منظورات "الضحايا". في شكل دراسات حالات لبلدان، أو مجموعات اثنية، فقدت كثيراً من تراثها المادي، وانتقل لجهات مختلفة في الولايات المتحدة ، وفيما عدا حالة واحدة، وهي نيبال فإن كل ما نوقش في هذا الكتاب يعود للأمريكيين. وفي هذه المساهمات يبرز التناقض بين السكان المحليين، من قبائل الهنود مثل : النفاجو ، والزوني، وأنباكي ، الذي ينظرون لتراثهم المادي من منطلقات يجهلها الأوروبيون. وتطور التناقض إلى حركات منظمة، سخرت لها إمكانيات مالية وعلمية لتأمين حقوق هذه القبائل في حفظ تراثها، مثل إعادة الهياكل البشرية، التي تحفظها المتاحف، أو إعادة بعض المواد التراثية، التي يعدونها رموزاً دينية واجتماعية مهمة. وجدير بالإشارة أن بعض أبناء هذه القبائل من الآثاريين، قد شاركوا في كتابة فصول الكتاب المشار إليها.

وفي ما يتعق بالنهب والاتجار في الآثار، من بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية، وتسريبها إلى الولايات المتحدة تتكرر الشكوى من ضعف الإجراءات والأنظمة ، التي تتبعها تلك الدول. ويلاحظ أن الاتهام لابد أن يوجه للذين يفتحون أسواقاً لبيع المقتنيات الثقافية، وتسهيل حركتها، وذلك في مواجهة بعض من يدعون أن السكان المحليين يساعدون، بدورهم في نهب المواقع الأثرية ونقل محتوياتها. لذلك برز اتجاه عام يعترف بفشل القوانين وأنظمة المراقبة ، في الحد من تهريب الآثار، مما يحتم إعادة النظر في القضية بطريقة عملية، وفتح قنوات التسوية والتراضي بين الأطراف المتنازعة.

ويتكون القسم الثاني من الكتاب من أربعة فصول قصيرة نسبياً. خصصت لمحور رعاية الممتلكات الثقافية، والسبل الكفيلة بتقييد تداولها، والبحث عن بدائل مجدية في هذا الخصوص. وأهم هذه الفصول يتناول دور المتاحف العالمية الكبرى في جمع الممتلكات الثقافية، والتشريعات التي تتبعها في المحافظة عليها، ومساعدة الآخرين في الاستفادة منها. وهناك مناقشة لأخلاقيات المهنة في الأجهزة الرسمية، مثل المتاحف، والتطور الذي طرأ عليها مؤخراً. فالمتاحف الأمريكية والاوروبية مؤسسات عريقة، توفرت فيها الإمكانيات المادية والفنية، وساعدتها الظروف التاريخية ، لتصبح مستودعاً لأهم نماذج التراث الإنساني، التي تجمعت من كل بقاع العالم بطرق شتى. بسبب المنافسة بين المتاحف، في اقتناء التحف الفنية والأثرية ، فقد شجع ذلك بطريقة مباشرة التداول غير المشروع في الممتلكات الثقافية، وتخريب الآثار في مواقعها.

وكمثال لما يمكن أن تكون عليه المعايير الأخلاقية المعيبة، في جمع المواد الثقافية ، محاولة مجلس النواب الأمريكي إجازة مايسمى "مشروع قانون الودائع التراثية" في الثمانينات، الذي وضع كما قيل، لحماية المتاحف الأمريكية، من مطالبات الحكومات الأجنبية المتزايدة، باسترداد جزء من ممتلكاتها الثقافية، التي تحصلت عليها تلك المتاحف في ظروف غير مواتية بالنسبة لأصحابها. وتقول إحدى فقرات ذلك القانون إن أي قطعة أثرية، أو تحفة فنية تبقى في المتحف لمدة سنتين فقط، تؤول ملكيتها نهائياً له بعد ذلك، ولا يحق لأي جهة المطالبة بها بغض النظر عن الكيفية التي وصلت بها إلى المتحف المعني. وقد وجد مشروع القانون معارضة شديدة من جهات عدة، منها اتحاد متاحف الفنون الأمريكي (١٥٠ متحفاً)، لأنه تشريع يحمي لصوص الآثار والتراث بصورة مكشوفة.

ويتضح مما ورد في بقية فصول هذا المحور، إشكالية

تنفيذ القوانين والأنظمة الموضوعة لحماية المواد الثقافية، وتقييد تداولها، بالبيع والشراء في المؤسسات التعليمية والمتاحف، وأصحاب المجموعات الخاصة. فعدم توفر الإمكانيات في كثير من بلدان المنشأ، وقلة الوعي بأهمية هذه المواد، وحاجة بعض القطاعات لما يتحصلون عليه من عائد مادي، شجع الاستمرار في عمليات النهب والتهريب، التي تتسع دوائرها يوماً بعد يوم. وفي كثير من الحالات تقف الجهات المسؤولة عاجزة، عن ملاحقة خطط شبكات سرقة المواد الثقافية وتسريبها. يحدث هذا في الوقت الذي مايزال بعض الناس يدافع عن أحقية المتاحف الكبرى في الحصول على القطع الأثرية والفنية، بكل الطرق الممكنة. ويبدو جلياً مدى صعوبة محاربة مثل هذا النشاط، والحد من تأثيره السلبي.

وفي القسم الثالث أربعة فصول، عالج كُتّابها أنظمة إدارة الممتلكات الثقافية من منطلقات رؤى الجهات المعنية، بدءاً من جامعي التحف العالمية والمتاجرين فيها، إلى الحكومات التي ترى أن المساس بممتلكاتها الثقافية، بمثابة طعن في الإرادة الوطنية، وعليه يصبح الدفاع عنها أمراً محتماً . ومن النقاط المهمة، التي أثيرت، تتعلق بتلك القطع الفنية والأثرية، التي أنتزعت من أماكنها بعد تخريب المواقع الأثرية، بواسطة أفراد لايعلمون أهمية وجودها في إطارها الأصلي. وفي سبيل الحصول على مواد ثقافية على هذا النحو، تفقد المواقع الأثرية العناصر الأساسية التي تتطلبها الدراسة العلمية المبدئية. وتكون الخسارة مضاعفة، لأنها فقدان للأثر، وحرمان الآثاريين من وجوده في محيطه الطبيعي، يأملون أن يتعرفوا إلى تفاصيل حياة الناس، الذين تركوا تلك المخلفات الأثرية.

وعلى هذه الخلفية يجدر النظر في رأي الذين يقولون إن المتاحف التي تشتري المعثورات الفنية، بغض النظر عن مصدرها، تقدم خدمة علمية للباحثين بجمعها، وحفظها لهم في مكان واحد. ولكن الجزء الأعظم من مثل هذه المواد، يعرض أو يحفظ في المتاحف، دون تحديد المكان، الذي وجدت فيه، ولا تصحبه معلومات عن الأشياء الأخرى المصاحبة له في ذلك المكان، مما يخل بأبسط قواعد الدراسة الآثارية المعروفة.

أما القسم الرابع من الكتاب، فقد خصص لمراجعة كاملة لما طرح في المؤتمر من خلال حوار عميق حول نقاط الاختلاف والاتفاق. جرى هذا الحوار عندما جلس كل الاختصاصيين معاً وطرحوا أفكارهم مرة أخرى، حول حماية الممتلكات الثقافية والقوانين والأنظمة المقيدة لتداولها، ودور الأفراد والمؤسسات في ذلك. وكان التيار العام يتجه نحو الاتفاق على حلول وسط، يمكن تطبيقها بنجاح. ونوه المشاركون بالتطورات الحديثة في معالجة قضايا التراث الثقافي، من ناحية الاهتمام الرسمي والأكاديمي، المتمثل في عقد الندوات ونشر البحوث، وكذلك محاصرة نشاط المتاجرين في التحف الأثرية، بطرق غير مشروعة.

وعلى صعيد إنفاذ القوانين أو تطويرها داخل الولايات المتحدة الأمريكية، يذكر التشريعات الجديدة ، التي روعي فيها حقوق الآخرين من الأقليات الهندية داخل أمريكا ، أو الدول الأجنبية. ومن الملاحظ أيضاً، التوجه في تطبيق العقوبات بصورة حاسمة كما جرى تطبيق معاهدة اليونسكو لحماية التراث الصادرة عام ١٩٧٠م، باهتمام مقدر. وقد وقعت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقيات ثنائية، لحماية التراث مع السلفادور عام ١٩٩٥م، ومع المكسيك في عام ١٩٩٧م . ومن الإجراءات المهمة ماحدث في قمة الدول الأمريكية عام ١٩٩٤م ، حيث تمت الموافقة على التشديد على القيم الثقافية العليا، والعمل على حماية الممتلكات الثقافية وتقنين جمعها في الأقطار الأمريكية، ومن جهة أخرى جرى، تسوية الكثير من القضايا المعلقة، بين الحكومة وممثلين لقبائل الهنود

المختلفة، حيث أعيدت لهم بعض الممتلكات الثقافية، التي تمس معتقداتهم وحياتهم الجماعية. وقد سمح لبعضهم بإعادة دفن عدد من الهياكل العظمية، التي جمعت في أوقات سابقة من أجل الدراسة الانتروبولوجية. ويشار إلى أن هذه التطورات المهمة، التي حدثت في أمريكا، لها تأثيرها الإيجابي في ما يتعلق بحماية الممتلكات الثقافية العالمية، خاصة أن أمريكا تعد من أكبر الأسواق لترويج الآثار والفنون المسروقة. وخلص المؤتمرون إلى أن النجاح في قضية الممتلكات الثقافية، رهين بإتباع سياسات طويلة المدى، وبتكثيف الجهود، في محاربة التجارة غير المشروعة إقليمياً وعالمياً . ويتوقف النجاح على الالتزام بأخلاقيات المهنة، وضمان تنفيذ مجموعة القوانين والمعاهدات الدولية، ثم التوعية الشعبية بأهمية التراث الثقافي، ورموزه المادية.

والكتاب، من بعد، يعد مساهمة مهمة، لها وقعها في حقل قضايا الممتلكات الثقافية، الذي أصبح اليوم موضوعاً ملحاً، وحاضراً في الأروقة الرسمية والأكاديمية، على الرغم من أن محتويات الكتاب تكاد تكون محصورة بالكامل، في منظومة الدول الأمريكية. ومما لاشك فيه أن قضية حماية الممتلكات الثقافية، وما حدث فيها في أفريقيا والشرق الأوسط مثلاً لها أبعادها المتميزة، وخصوصيتها الثقافية والتاريخية، التي لايتسع المجال للخوض فيها. إذ أن تناولها لابد أن يقوم على أسس مغايرة في بعض جوانبها، لما جاء في هذا الكتاب. ويلاحظ القارئ أيضاً أن بعض فصول الكتاب، التي تعالج حالات دراسة محددة، لم تذكر فيها إحصائيات دقيقة لحجم التجارة غير المشروعة في المواد الأثرية أو الفنية. كذلك ، اتسمت بعض فصوله بالإسهاب، في شرح نقاط عامة وواضحة، وبدا أن التكرار غير المرغوب سمة بارزة في تلك المساهمات. وهذا الأمر ربما كان مرده طبيعة البحوث نفسها ، إذ أن معظمها قدمت في مؤتمر تتداخل فيه المحاور، مما يجعل التكرار أمراً متوقعاً.

أنهى هذه المراجعة بالعودة لتساؤل طرحته محررة الكتاب، في مقدمة الطبعة الثانية منه قائلة : هل يحق لنا أن نكون أكثر تفاؤلاً بمستقبل أفضل لماضينا (تراثنا) ؟ وتجيب : نعم . فالمشاركون في هذا المؤلف قدموا مساهمة مقدرة ، وأثروا -مع غيرهم- الحوار حول التراث الإنساني، وحمايته، وأبقوا جذوته متقدة. فبمثل هذا العمل تتسع دائرة الاهتمام بحماية ممتلكات الشعوب الثقافية، وتعلو القيم الأخلاقية الرفيعة، التي تنظم التعامل مع ذلك التراث لمصلحة البشرية جمعاء.

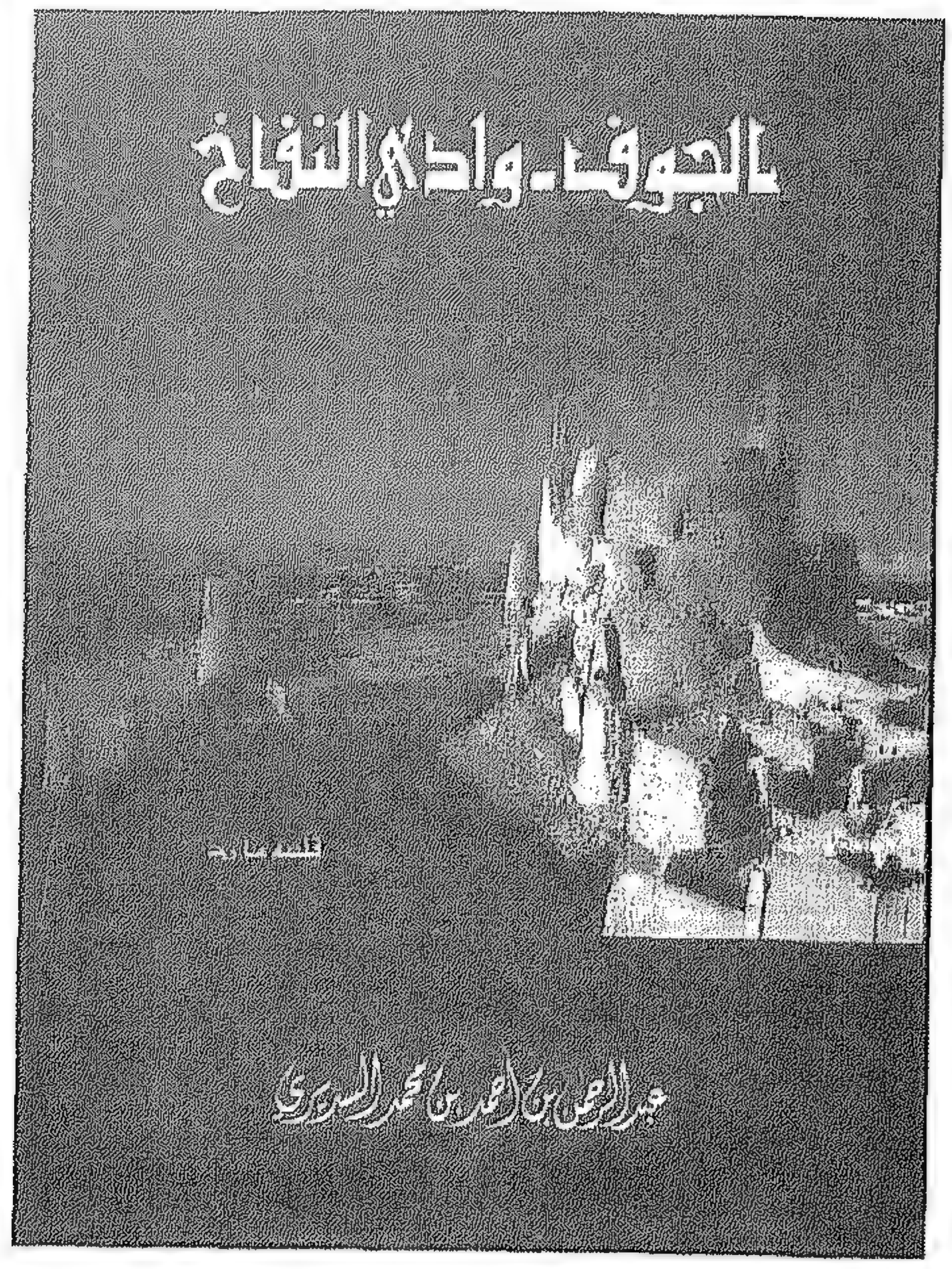
المراجع :

ديبري ، نانسي هاتش ١٩٩٦م. "متحف تحت الحصار: القصة الكاملة لتدمير متحف أفغانستان الوطني ونهبه". "**صحيفة الحياة**" . العددان ١٢١٩٥ و ١٢١٩٦ ، ١٦ و١٧ يوليو . ترجمة د. يوسف مختار الأمين.

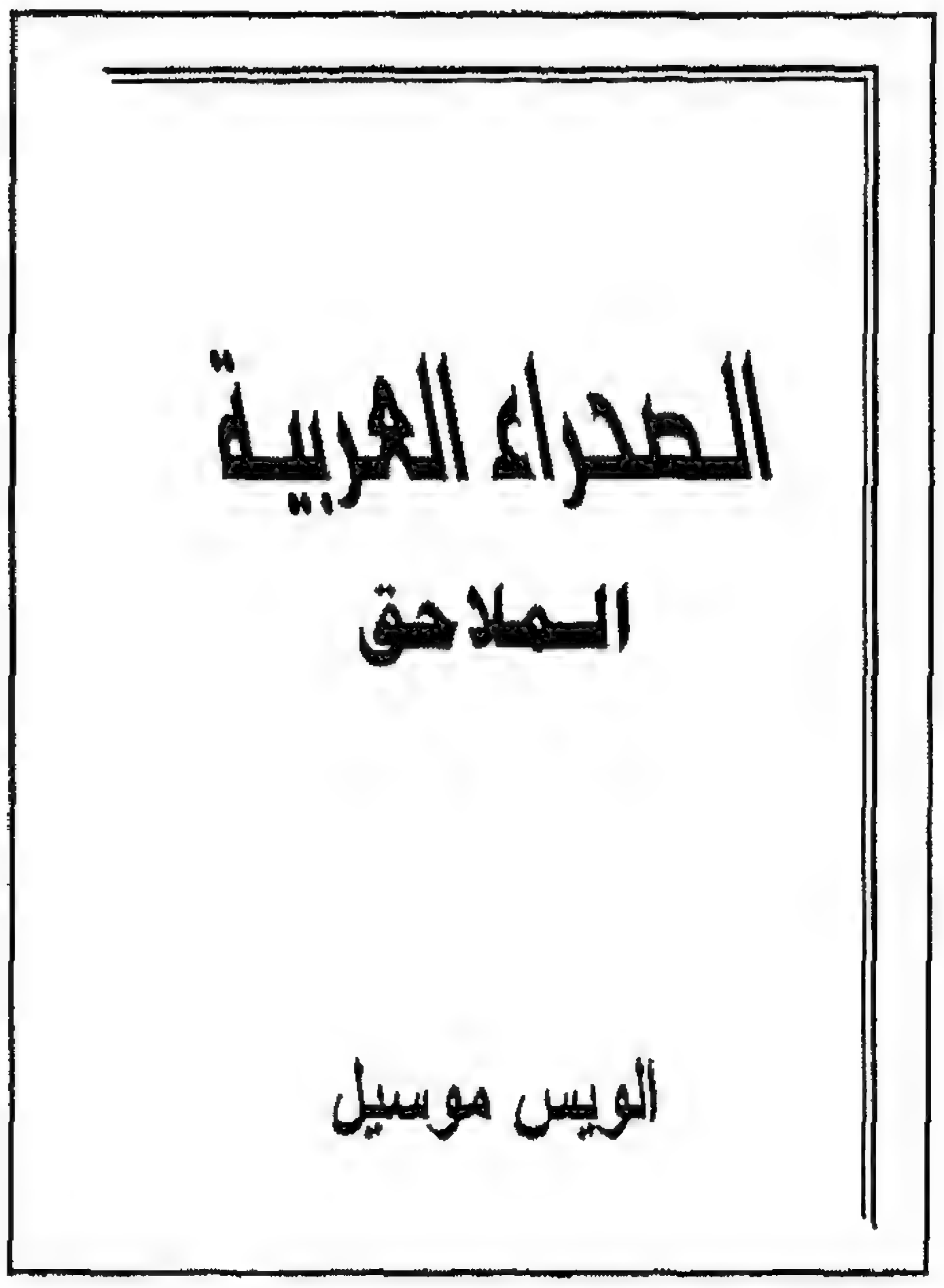
Green, E. L. (ed.) 1984. **Ethics and Values in Archaeology** . The Free Press, New York.

د. يوسف مختار الأمين - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - ص.ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية

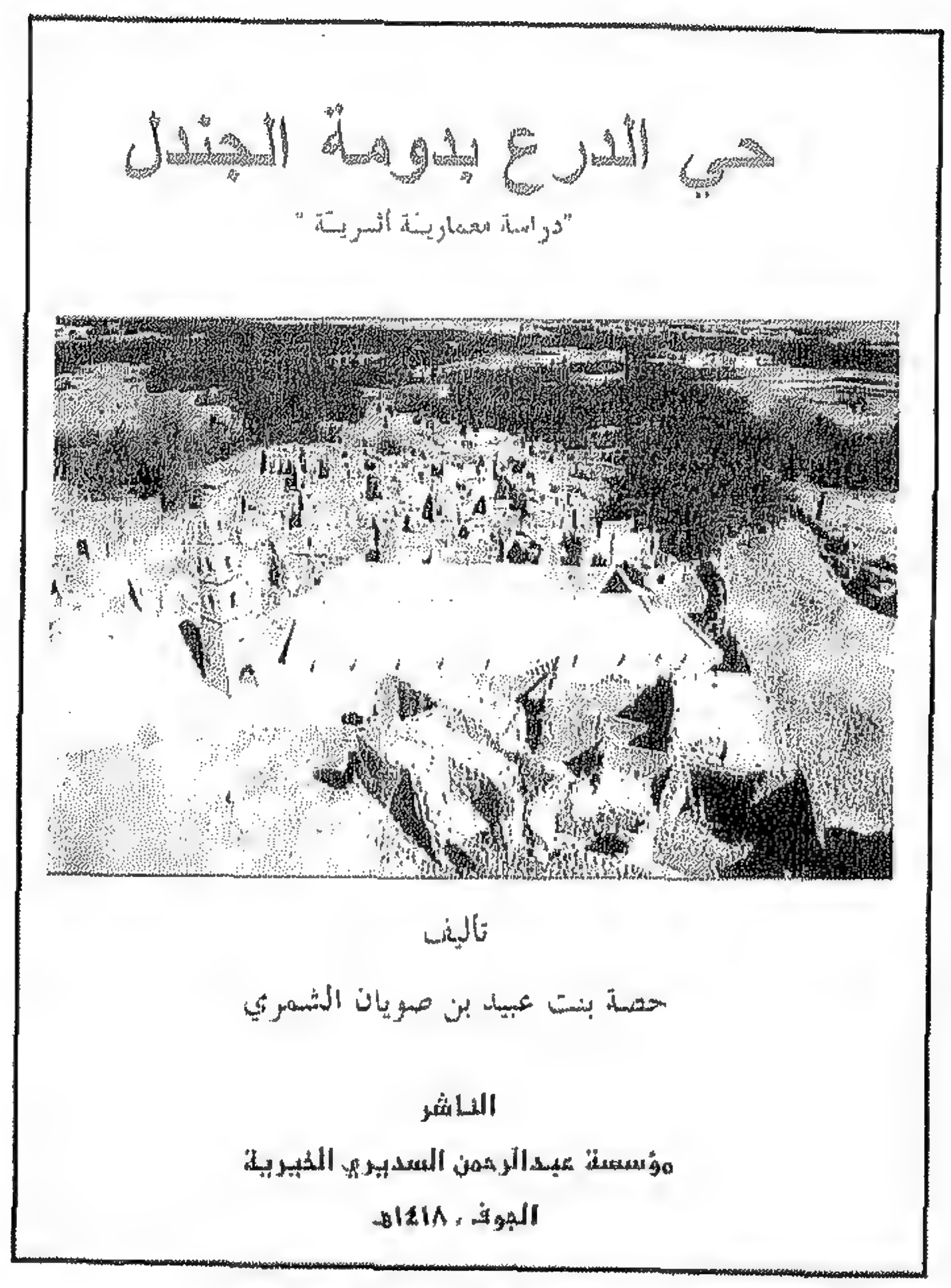
من مطبوعات مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية



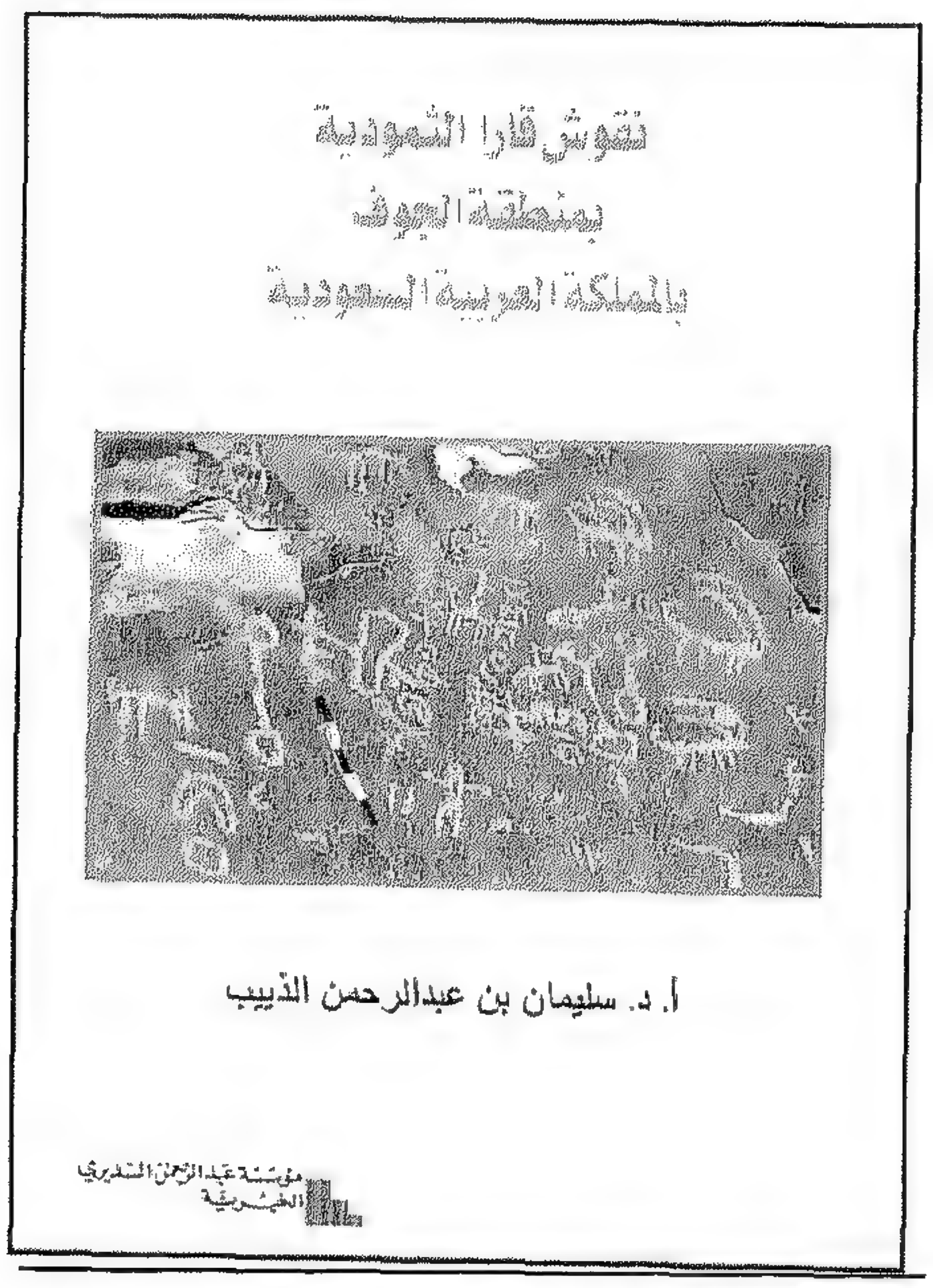
الجوف – وادي النفاخ
المؤلف : عبد الرحمن بن أحمد السديري
السعر : ٧٥ ريالاً.



الصحراء العربية – الملاحق
المؤلف : ألويس موسيل
ترجمة : مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية
السعر : ٣٥ ريالاً.

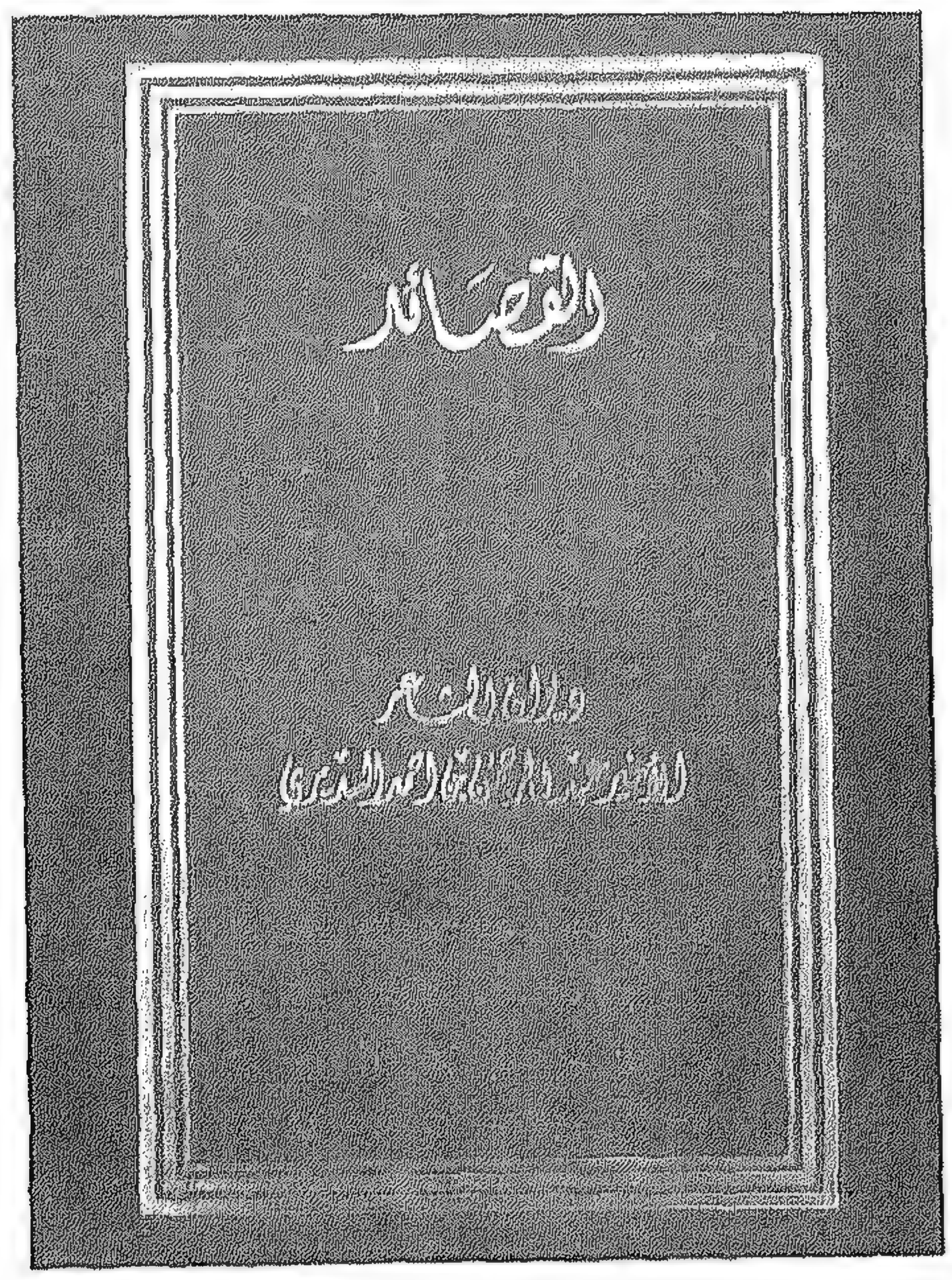


حي الدرع بدومة الجندل – دراسة معمارية أثرية
المؤلف : حصه بنت عبيد صويان الشمري
السعر : ٥٥ ريالاً.

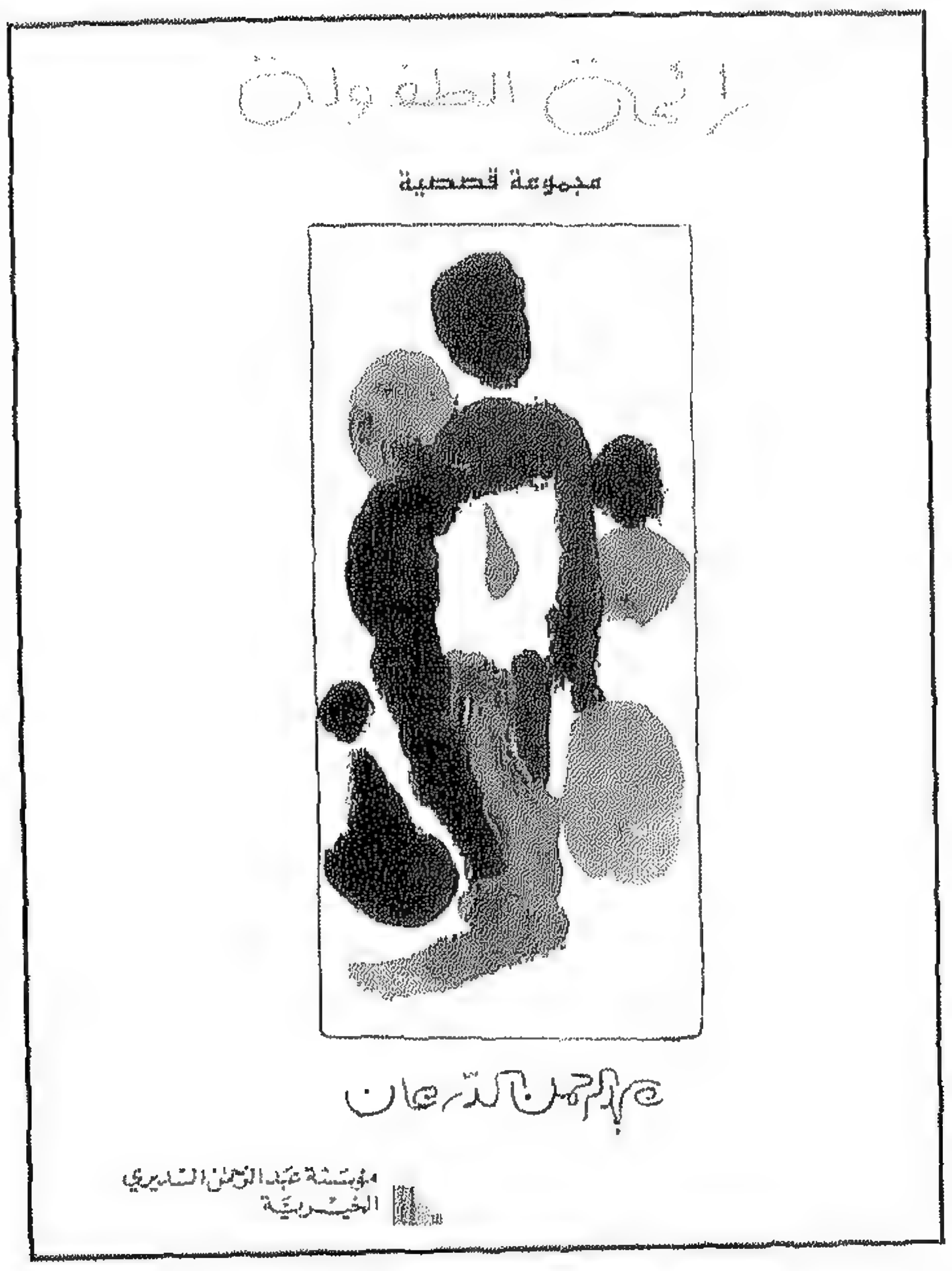


نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف
بالمملكة العربية السعودية
المؤلف : أ. د. سليمان الذييب
السعر : ٢٠ ريالاً.

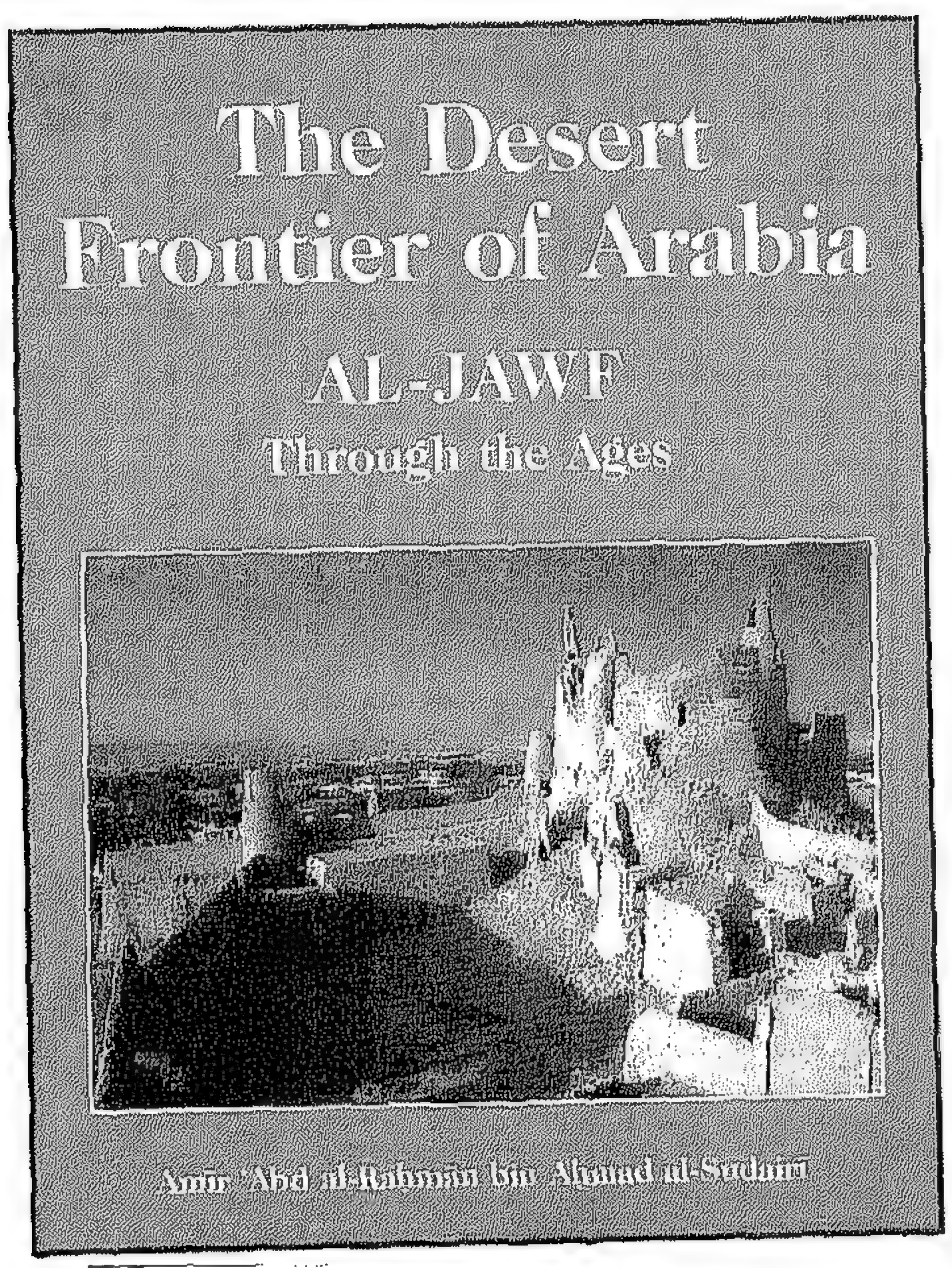
من مطبوعات مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية



القصائد
ديوان الشاعر الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري
السعر : ٥٠ ريالاً للديوان المطبوع
٩٠ ريالاً للتسجيلات



رائحة الطفولة
مجموعة قصصية للقاص : عبد الرحمن الدرعان
السعر : ١٥ ريالاً.



The Desert Frontier of Arabia
AL-JAWF Through the Ages.
Author : Amir Abd Al-Rahman bin Ahmad Al-Sudairi
Price : SR 80 ($ 22) (paperpack)
SR 150 ($ 40) (hard copy)

تطلب هذه الكتب من :
مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية
الجوف – ص.ب : ٤٥٨ المملكة العربية السعودية
هاتف : ٦٢٤٥٩٩٢ ٠٤ – فاكس : ٦٢٤٧٧٨٠ ٠٤
بريد الكتروني : info@alsudairy.org.sa

These books could be ordered from
Abdul Rahman AL-Sudairy Foundation
Al-Jouf P.O. Box 458 Kingdom of Saudi Arabia
Tel. : +966 4 6245992 - Fax : +966 4 6247780
Email : info@alsudairy.org.sa

استمارة طلب اشتراك

الاسم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتف : .... رقم الفاكس : .... البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

◯ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي، لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو.

مقابل اشتراك لمدة : ◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات

◯ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية،

حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥)، البنك السعودي الأمريكي، الفرع الرئيسي ، الرياض.

◯ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب.

◯ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية.

◯ ماستر كارد ◯ أمريكان إكسبريس ◯ فيزا

رقم | | | | | | | | | | | | | | | | |

تاريخ الإنتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :

مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

استمارة طلب اشتراك

الاسم : ....

العنوان : ....

رقم الهاتف : .... رقم الفاكس : .... البريد الإلكتروني : ....

طريقة الدفع :

◯ أرفق لكم شيكا بمبلغ .... ريال سعودي، لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية – مجلة أدوماتو.

مقابل اشتراك لمدة : ◯ سنة واحدة ◯ سنتين ◯ ثلاث سنوات

◯ أرفق لكم صورة عن حوالة بنكية بمبلغ .... ريال سعودي لأمر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية،

حساب رقم : (٠٠٠١٨١٦٣٦٥)، البنك السعودي الأمريكي، الفرع الرئيسي ، الرياض.

◯ أرجو أن ترسلوا لنا فاتورة بالمبلغ المطلوب.

◯ أفوضكم بخصم قيمة الإشتراك من خلال بطاقتي الإئتمانية.

◯ ماستر كارد ◯ أمريكان إكسبريس ◯ فيزا

رقم | | | | | | | | | | | | | | | | |

تاريخ الإنتهاء : التوقيع : التاريخ :

الرجاء إرسال هذه الإستمارة بالبريد أو بالفاكس إلى :

مجلة أدوماتو ص.ب ١٠٠٧١ الرياض ١١٤٣٣ المملكة العربية السعودية فاكس : ٤٠٢٢٥٤٥ (١) (٩٦٦+)

SUBSCRIPTION ORDER FORM

Name:

Address:

Tel.: Fax: E-Mail:

PAYMENT DETAILS

◯ I enclose a Cheque for US$........................ made payable to :
(Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal).

Aa a subscription for: ◯ 1 year ◯ 2 years ◯ 3 years

◯ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.

◯ Please invoice me.

◯ Charge my credit card: ◯ Master Card ◯ VISA ◯ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature Date:

Please send this form by mail or fax to:
Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

SUBSCRIPTION ORDER FORM

Name:

Address:

Tel.: Fax: E-Mail:

PAYMENT DETAILS

◯ I enclose a Cheque for US$........................ made payable to :
(Abdul Rahman al-Sudairy Foundation - Adumatu Journal).

Aa a subscription for: ◯ 1 year ◯ 2 years ◯ 3 years

◯ I enclose a Xerox copy of a Bank Transfer made to Abdul Rahman al-Sudairy Foundation, Account No. (0002809303) Saudi American Bank, Main Branch, Riyadh.

◯ Please invoice me.

◯ Charge my credit card: ◯ Master Card ◯ VISA ◯ American Express

Card No. | | | | | | | | | | | | | | | | |

Expiry Date: Signature Date:

Please send this form by mail or fax to:
Adumatu Journal P.O. Box 10071, Riyadh 11433, Kingdom of Saudi Arabia, Fax: (+966) (1) 4022545

Ibn Battutah, Muhammad b. Abd Allah. 1987. **Rihlat Ibn Battutah (tuhfat al-nuzzar fi ghraib al-amsar wa ajaib al-asfar)**, Ihya al-Oloum Press, Beirut.

Ibn Hisham, Abu Muhammad Adulmalik. 1375 H/ 1955. **Alsirah Alnabawiyah**, verified by Mustafah Alsaqah, Ibrahim Al-Ibyari and Abdul Hafeez Shalabi, 2nd edn, Cairo.

Jomier, J. 1953. Le Mahmal et la caravane egyptienne des pelerinages de la Mecque. **I. F. A. O.** Le Caire.

Rifat Pasha, Ibrahim. n. d. **Miraat al-Haramayn.**

Sadig, Muhammad Pasha. 1896/ 1313 H. **Daleel al-Hajj liwarid ila makkah wa al-Madinah min koli Faj**, 1st edn. Bolaq, pp. 36-38.

ملخّص : كان طريق الحج المصري هو الطريق الرئيس، الذي تستخدمه قوافل مسلمي أفريقيا من مصر، إلى الديار المقدسة في الحجاز. ويبدأ هذا الطريق من القاهرة باتجاه شرقي عبر صحراء سيناء ليتجه نحو شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ثم يتجه جنوباً إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد تغذى طريق الحج المصري – عبر عصور التاريخ الإسلامي المختلفة – من طرق كثيرة، نبعت من أجزاء مختلفة من القارة الأفريقية. فالحجاج الأفريقيون، القادمون من مناطق شرق أفريقيا ومن غربها ووسطها وجنوبها، اعتادوا التجمع في القاهرة، حيث يلتحقون بقافلة الحج المصرية الرسمية، المعروفة باسم (المحمل). وتحاول هذه الورقة أن ترسم صورة واضحة لطريق الحج المصري، ومراحله التاريخية، وآثاره، كما تعالج على نحو موسع، الطرق الرئيسة، التي سلكها حجاج أفريقيا، في طريقهم لتأدية مناسك الحج.

References

Abu Shoiba, Mustafa. 1405 H/ 1984. **Al-Barnu Fi Ahd Al-Osrah Al-Kanemiyah, 1814-1969**. Dar Al-Oloum, Riyadh.

Al-Harbi, Abu Ishaq. 1389 H. **Al-Manasik Wa Amakin Turug Al-Hajj Wa Maalim Al-Gazirah,** edited by Al-Jasir, Hamad, Dar Al-Yamamah, Riyadh.

Al-Iraqi, Seid Ahmed. "Tigarat Al Gawafil biyn shimal wa gharb afriqiya wa athruha al-Hadhari". In: **Tigarat Al Gawafil wa Dawraha Alhadhary Hata Nihayat Algarn Altasi Ashr,** (Convoys' Trade & Its Civilizing Role UpTo The End Of The Nineteenth Cintury), Institute of The Arab Research and Studies, p. 150.

Al-Jasir, Hamad. 1977/1397 H. **Al-Mujam al-Jugrafi lilbilad alarabiyah al-Saudia, Shamal al-mamlakah,** 1st edn. Dar al-Yamamah, Riyadh.

Al-Jasir, 1402 H/ 1982. **Mulakhas Rihlatai Bn Abul Salam Al-Diri,** Dar Al-Rifai, 1st edn. Riyadh.

Al-Maqdisi, Shams Al-Din Abu Abdallah Muhammad ibn Ahmad, **Ahsan Al-Taqaseem Fi Marifat Al-Agaleem,** Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1408 H/ 1987.

Al-Meqrizi, Tegi Aldin Ahmed Bin Ali 1955. **Al-Dhahab Al-Masbuk Fi Thikr Mun Hagah Min Alkhulafa Wa Almulouk**, Ciaro.

Al-Maqdisi, n. d. **Al-Mawaiz Wa Al-Itibar Bi-thikr Al-Khitat Wa Al-Athar**. Beirut.

Al-Shikhaly, Sabah Ibrahim. 1984. "The commercial activities across the Western Saharan route till the end of the 5 th century H". In: **Tigarat Al Gawafil wa Dawraha Alhadhary Hata Nihayat Algarn Altasi Ashr.** Bagdad, pp. 32-38.

Anati, E. 1968/ 1972. **Rock Arts in Central Arabia.**

Awadallah, Sheikh Al-Amin. 1404 H/ 1984. "Tigarat Al Gawafil biyn Al-Maghreb wa Al-Sudan Al-Gharbi wa Athariha Al- Hadhariya fi Algarn Al-sadis Ashr Al-Miladi" In: **Tigarat Al Gawafil wa Dawraha Alhadhary Hata Nihayat Algarn Altasi Ashr**, Institute of The Arab Research and Studies, P. 73.

Ghabban, Ali. I. 1988. **Introduction a letude archeologique des deux Routes syrienne et egyptienne de pelerimage au Nord-Quest de I arabie Saoudite**. These de doctorat d Etat, pp. 61-68.

Hassan, Hassan Ibrahim. 1984. **Intishar Al-Islam Fi Al-Garah Al-Afriqiyah,** 3 rd edn. Maktabat Al-Nahdha.

Hassan, Yousif Fadl, 1985. **Afro-Arab Cultural Relations.** Tunis.

period of the Ashraf rule, and the period of the Kingdom of Saudi Arabia. Throughout this phase pilgrims again abandoned using the land route. Travelling by train to Suez, they then sailed to Jiddah.

Next, we shall survey the remaining archaeological monuments in Arabia on the Egyptian Pilgrim Route.

This route, both internal and coastal, received the greatest attention of the rulers of the early Islamic periods, particularly the Egyptians. They dug wells; constructed cisterns, removed or levelled obstacles, and built mosques at certain stations. Historical sources recorded a few of such achievements. There is the record of 'Aqabat Aylah by Fatin, a partisan of Khamarawayh b. Ahmad B. Tulun (Al Meqrizi: 184), and another of the seven wells at Wadi Duba (al-Jasir). Khan al-Ashirah at Yanbu was described by al-Maqdisi as being second to none (al-Maqdisi: 83). There are also the mosques which Egyptian rulers built at Badr, in addition to the canal and cistern of Khulays (*op. cit:* 81-83). Some monuments of the Egyptian Route, dating to the early Islamic period, are still remaining today, especially along the internal track. Such monuments are The cistern at 'Ayn al-Nabi near Shaghab, the cistern of Buda and the wells of Balatah between Buda and Khushaybah. Hundreds of early Arabic inscriptions spread upon the internal track. Most important of these are those on the rocks of northern Shuhaybat Bida (Ghabban 1988: 515-530).

Early Islamic archaeological monuments still remaining on the coastal route are very few, being some early Arabic inscriptions and some reservoirs built at city stations. Examples of these reservoirs are at al-Jar and Midian. The present scarcity of monuments on the coastal route during the early period, in my opinion, is probably the result of the maintenance works and additions to the route which had been carried out during the Mamluk and Ottoman periods.

On the other hand, the dearth of inscriptions on the coastal track of this route is acounted for by the absence of adequate rocks for engraving in the area of Tihamah coastal plain. Extant ones are found at places where water is abundant in the valleys surrounded by mountais. Such places are Naq' Bani Murr, Hafa'ir al-'Arja' to the south of al-Wajh, Wadi Fatimah.

The late Islamic Archaeological remains on the Egyptian pilgrim route date to the Mamluk and Ottoman periods. Built along the Egyptian route and its stations by Mamluk and Ottoman Sultans of Egypt and their viceroys, these are mainly architectural structures consisting of cisterns, wells , birkas (water reservoirs), caravanserai, and bridges. Archaeological remains also include those related to road construction and provision of comfort and safety for road users. As examples of such remains of the Mamluk period, one cites the cisterns of Nahl in Sinai, al-'Aqaba in Jordan, al-Aznam cistern, the well of al-Muwaylih and birkat Hafay'ir Shu'ayb in the Kingdom of Saudi Arabia. On the other hand, Ottoman archaeological remains on the Egyptian Pilgrim route are numerous. Of these, one can cite the cisterns of al-Muwaylih and al-Zuraib, and birkas of Traym, Antar and Khulays in Saudi Arabia.

Conclusion :

The African pilgrimage journey was extremely harsh, exhausting and difficult. It was also time-consuming, sometimes exceeding a whole year. The pilgrim had to cross jungles,deserts, rivers, and mountainous areas before reaching Makkah. For this reason, within the Muslim society in Africa, whoever held the title of Hajj would enjoy a remarkable social prestige, especially in relation to those who were not fortunate enough to make the trip.

Dr. Ali Ghabban Department of Archaeology and Museology, College of Arts, King Saud University, Riyadh, K.S.A.

were unable to pay for maintaining and running the road. Moreover, the Crusaders occupied Aylah, the main station of the road and the only gateway to Arabia (Ghabban 1988: 61-68). The coastal route was totally abandoned for about two centuries. The impact of this situation on the road was negative, affecting constructional development and settling activities in onrthern Hejaz. Pilgrim caravans returned to travelling on the coastal route only in 667 A.H, when the Mamluk Sultan al-Zahir Baybars instructed pilgrims not to travel through 'Aidhab. He sent Kiswat al-Ka'bah and the official pilgrim Caravan along the land route (al-Meqrizi : 202). Since then, and throughout the Mamluk and Ottoman periods, pilgrim caravans, coming from Egypt, gathered at Birkat al-Hajj near Cairo. From there, they moved along the Suez road, passing through al-Buwayb, 'Ajrud and then across Sinai at the point between the gulf of Suez and the gulf of 'Aqabah. Then, caravans crossed a number of stations like al-Munsarif, Nakhl, Bir al-Qrays, 'Arqub al-Baghalah and Sath al-'Aqabah. Afterwards they went down to Naqab al-'Aqabah until they arrived at 'Aqabat Aylah on the 9th day of their departure from Cairo.

After leaving 'Aqabat Aylah, pilgrim caravans passed through Haql, 'Aqabat Zhr al-Himar, al-Sharaf and Magha'ir Shu'ayb. From there, they proceeded southwest up to 'Aynuna. From 'Aynuna, they travelled parallel to the sea coast, crossing some such important stations as al-Musala (Sharmah), Traym, al-Nabak (al-Muwaylih), Wadi al-Ghal (Wadi al-Qastl), Duba', al-Azlam, Birkat 'Antar, Qal'at al-Wajh, Bayn al-Nahdayn, Wadi al- 'Arja', Birkat Akra, Bir al-Qarawi, al-Hawra', Nabat, Wadi al-Nar, al-Wa'rat al-Sab', al-Dahna, Wasit and Badr. After Badr, they went to Rabigh, Khulays, 'Usfan and Makkah. On reaching Makkah, they would have spent one full month since their departure from Cairo (Fig. 6).

The coastal road continued to be used by pilgrims coming from Egypt until 1301 A.H. This was the date for the last official caravan to have used the coastal road. Thereafter, the Egyptians used the sea from Suez to Jeddah in sailing and steam-ships (Sadig 1896: 36-38; Rifat Pasha: 184). During its course of history the Egyptian route passed through four phases. These are the following:

The First phase:

This one extended from the Muslim conquest of Egypt to the middle of the fifth century A.H. During this period, the route followed two tracks through Arabia, one internal and the other coastal.

The Second Phase:

This was the phase of 'Aidhab way. Its use spanned the period from about 440 to 666 A.H. During this time the land route, crossing northern Hejaz, was no longer in use, because Egyptian pilgrims used ships over the Nile to Qus. From there they took caravans to 'Aidhab, and then crossed the sea to Jeddah.

The Third Phase:

This phase is the longest of the four because it lasted from 667 to 1301 A.H., covering the Mamluk and the Ottoman periods, in addition to the period when Hejaz was under the rule of the First Saudi Sate. The First Saudi State was able to have full control over both the Syrian and the Egyptian Pilgrim Routes of northern Hejaz.Its authority was even extended up to Ma'an. During this phase pilgrims once again returned to using the coastal road across northern Hejaz.

The Fourth Phase:

This one covered the beginning of the fourteenth century A.H. (20th A.D.), which included the end of the Ottoman period, the

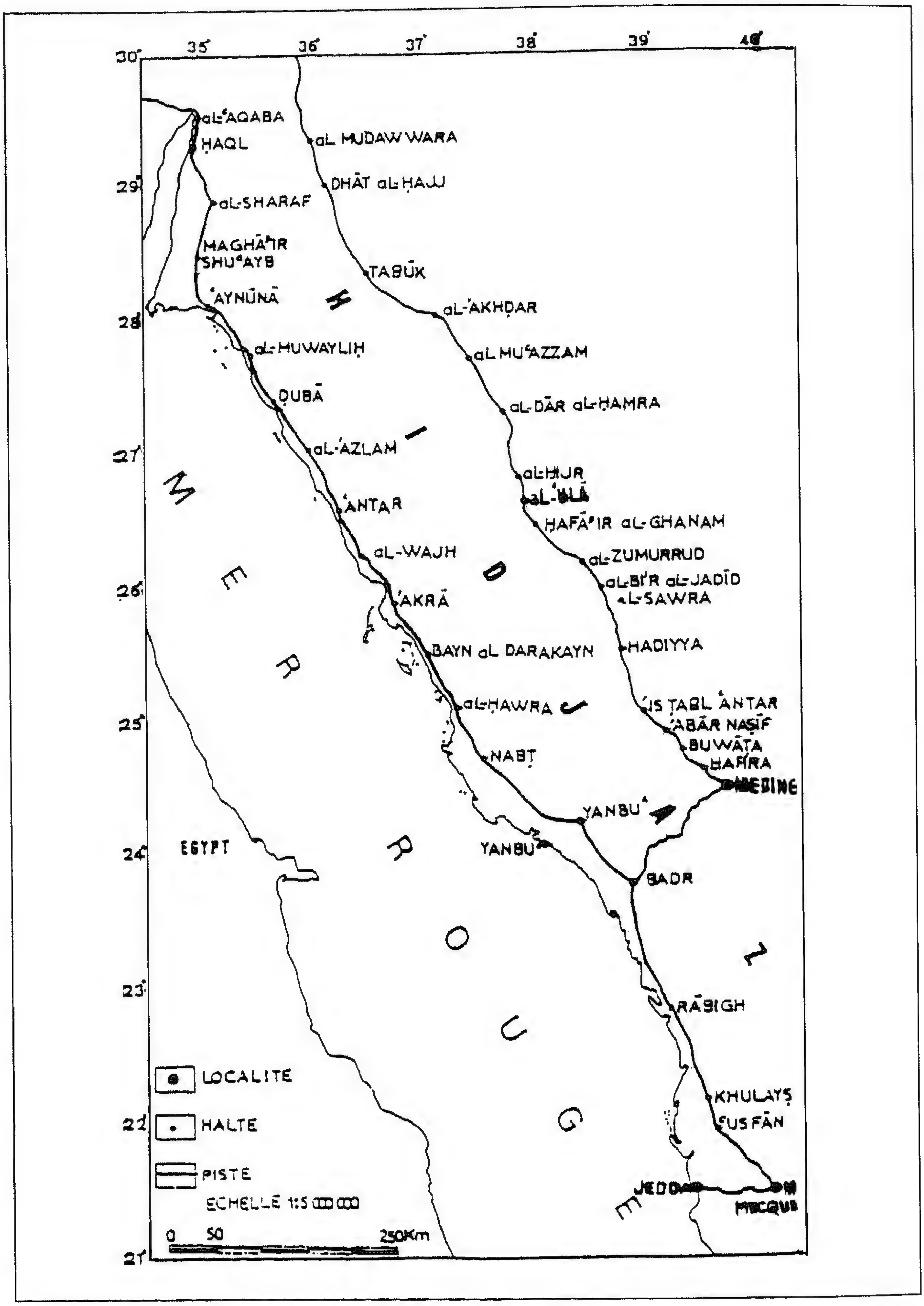


Fig. 6: The Egyptian pilgrim routes during the Mamluke and Ottoman periods.

Mosques in Hejaz, there were also direct sea-routes from the seaports of the Horn of Africa and coast of Zanzibar to the seaports of Yemen and Hejaz. Those routes were used by the pilgrims of those areas in their trip to preform Hajj. However, such routes were not considered ramifications of the Egyptian Hajj road to which we now turn our attention and address its history throughout the different Islamic periods.

For pilgrims of Egypt, North Africa, Andalus (Spain) and the rest of Africa, it was necessary to cross the Sinai Peninsula in order to reach the town of Aylah ('Aqabah), which was the first station on the Egyptian Pilgrim Route in Arabia. After this station, pilgrim caravans used to pass through Haql, al-Sharaf and then Midian (Maghair Shu'ayb-al-Buda'). During the early Islamic ages, pilgrims coming from Egypt, after leaving Midian, followed internal and coastal routes (Fig.3). The internal route stretched southward passing through Shaghab, Bada and a number of stations afterwards, to reachWadi al-Qura where it joined the Syrian Pilgrim Route at al-Suqya (al-Khushaybah); and then the two would form one single route thereafter. Therefrom, the route led to al-Madinah, as explained earlier. After leaving Midian, the coastal route followed the Red Sea Coast, passing 'Aynuna, al-Nabak (al-Muwaylih), Duba', al-'Uwaynid, al-Wajh, al-Hawra', al-Ahsa (Mughirah-Nabat), Yanbu', and al-Jar. From there it took the direction of Makkah through al-Juhfah, Khulays, 'Usfan and then to al-Madinah across Badr (Fig.4). The internal route was extensively used during the first and second centuries A.H. (7^{th} and 8^{th} A.D.). During the third century the use of the coastal route intensified and the internal route was finally abandoned at a later date (al-Harbi 1389 H: 694; al-Maqdisi 1408).

Pilgrim caravans continued to travel along the coastal route up to the middle of the fifth century A.H. (11^{th} A.D.) . Afterwards, they travelled by sea through 'Aidhab (Fig. 5). At the beginning this was due to the recession through which Egypt was passing towards the end of the Fatimids rule, who at that time,

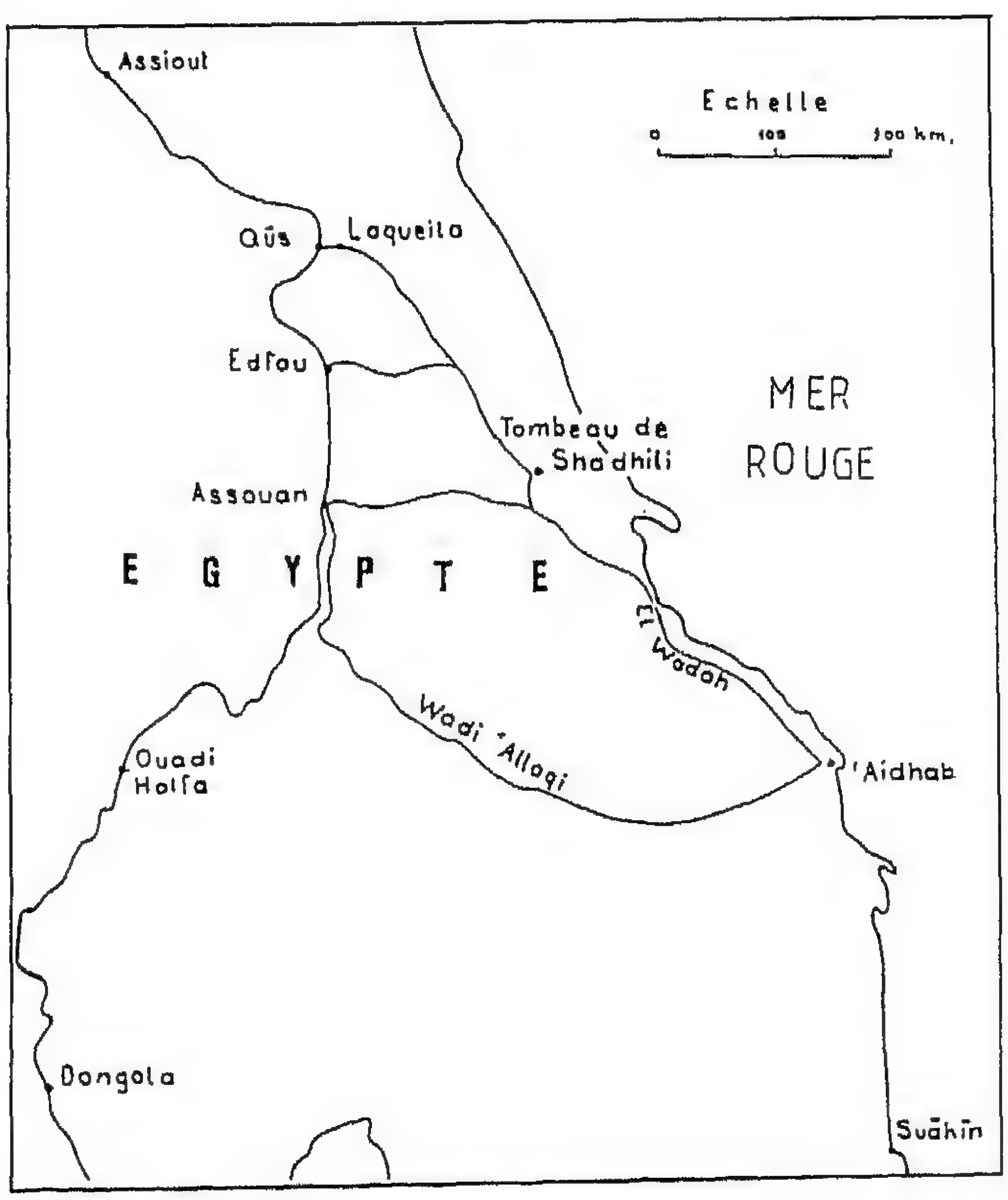


Fig. 5: Aydhab route.

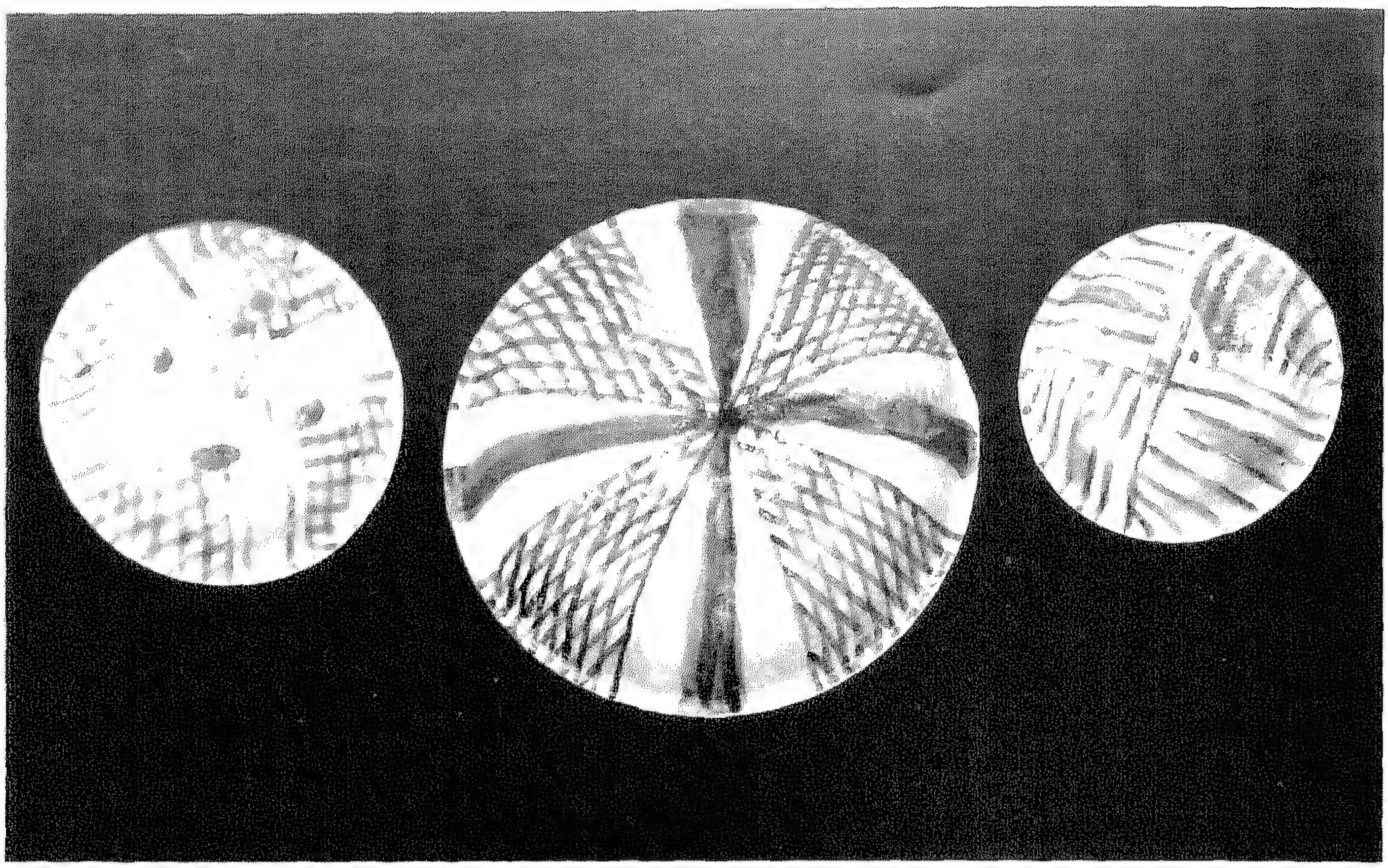


Fig. 4 : A Blate with painted decoration from Hejaz.

Fourth: Eastern Sudanic Routes :

The importance of these routes had emerged during the 17th century A.D. after the rise of the Islamic Sultanate of Darfur. The most significant roads were three, the primary route for Darfur pilgrims and Western Sudan pilgrims had been described above. It started from the westernmost regions of the Sudan, passing through Borno, Wdai, Darfur and the Funj Kingdom until it reached the seaports on the west coast of the Red Sea, where pilgrims would take boats to the Hejazi land (al-Nagar 1972 : 106; Diyab 1984: 114).

The second route was mainly a trade route proceeding from Darfur to Tripoli on the Libyan coast, or to Tunisia through Fezzan, or Kufra passing through Jallo Oasis. Darfur pilgrims might have used this route also, through which (as sources indicate) gifts were sent in to the Two Holy Mosques *(op.cit. 106)*.

The third route, known as el-Arbaeen route, was a major road for trade and Hajj. It linked the Islamic Sultanate of Darfur with Ottoman Egypt. It extended from el-Fasher to Asyut, a distance of 1117 miles. It used to take camel caravans forty days to cover that distance, which was the actual travelling time (Diyab 1984 : 115). The starting point was the town of Kobi, the trading centre of Darfur. From there, it proceeded through a desert area to Bier al-Natroun, Ligya, Siwa Oasis, Beir-Tarfawi, Shibb, Beir Kasbah, Beir Abu Hussien, Beir al-Murr, then to al-Kharja Oasis located 90 miles away from Asyut, where the road joined the Nile Valley *(op.cit: 116)*.

By this route, the sultan of Darfur used to send his Darfur mahmal (camel-borne litter) that comprised a shuttle caravan accompanying the pilgrims to be sold in Egypt; the proceeds would be sent with the Egyptian mahmal to Makkah as a contribution to the expenses of the Two Holy Mosques (al-Nagar 972: 106).

In addition to the land routes used by the African pilgrims via Egypt to the Holy

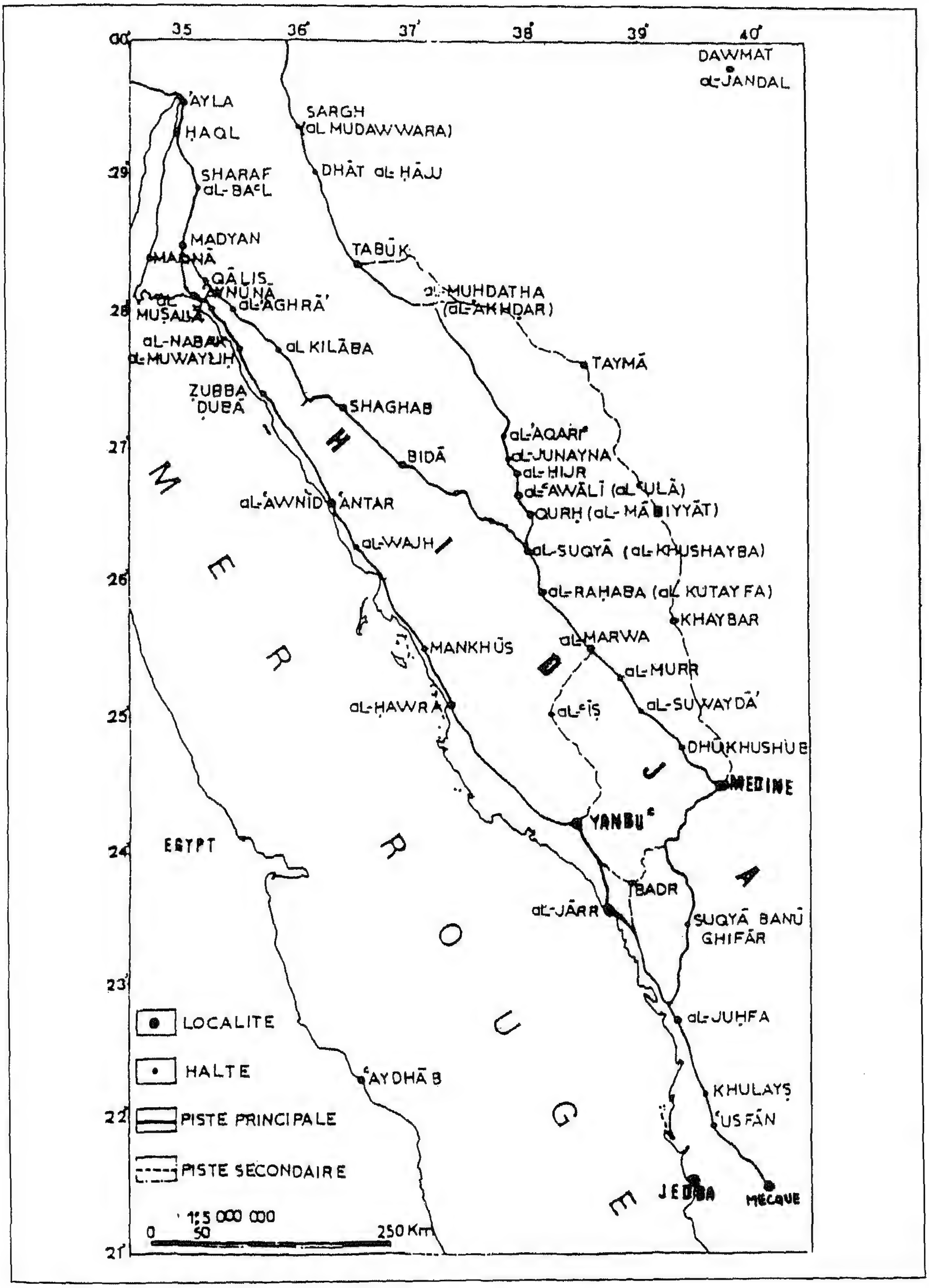


Fig. 3: The Egyptian pilgrim routes during the Ummayad and Abassid periods.

lar attention: the Muravids had managed to extend their influence over most parts of its tracks, Ghana kings had embraced Islam, and the spread of the Islamic call across the territories of Senegal and Niger rivers.

2- Gao, Dejenne, Timbuktu, Walata, and Sijilmassa, Route.

3- Timbuktu, Tawat and Tlemcen Route.

4- Gao, Wargla, Tekrut and Algiers Route.

5- Gao, Fazan, Ghadames and Tripoli Route.

After Muravids had established the city of Timbuktu, and Islam had spread to Dejenne, those two cities became the most important centres for spreading the religion of Islam in west Africa, particularly after the collapse of the Kingdom of Ghana in the seventh century A.H/13th century A.D. (Awadallah 1984: 73) and the appearance of the Kingdoms of Mali and Songhay. Remarkably, during the period extending from the seventh to the tenth centuries A.H (13-16 A.D.) Timbuktu, Dejenne and Gao became gathering centres of pilgrim caravans arriving from central and western Africa on their way to Marrakesh, Tlemcen, Algiers or Tripoli, where they would accompany the Moroccan pilgrim caravans heading towards Egypt and Hejaz. (Fig. 2).

6- Timbuktu-Siwa Oasis Route

In addition to the above routes, there was a direct road from Timbuktu running north-east to Siwa Oasis in Egypt and ending in Cairo. This route acquired special attention during the period of the Kingdom of Mali. It seems that this route was followed by the sultans of Mali Kingdom such as Mansa Wali bin Mari Jata during the reign of al-Dhahir Baybars, Sakaboora and Mansa Musa who visited Egypt in the year 724 A.H. during the reign of the Mamluk Sultan Muhammad bin Qalawoun, and was accompanied by a group of his people and dependants (al-Meqrizi 1955: 110).

Third : Central Sudanic (Bilad Al Sudan) Roads (Sub-Saharan Africa) :

During the middle of the 12th century A.D. pilgrim and trans-trade routes in Central and Eastern Africa acquired remarkable significance owing to the rise of the Sultanate of Kanem in the north eastern region of Lake Chad. Also, the Sultanate of Borno founded by Sultan Ali Ghazi (1472 - 1504 A.D.) west of Lake Chad had successfully extended his influence east of Lake Chad and unified Kanem and Borno into one empire (Abu Shoaiba 1984: 16). Moreover, the fall of the Songhay Sultanate in the hands of a Saadi (the Saad Dynasty) in the 16th century A.D. had contributed to the efficiency of these routes. Thus they became more active than the western roads (Awadallah 1984: 77). On the other hand, the wide spread of Islam among Hausa tribes after the 13th century A.D. had contributed to increasing the number of people performing Hajj from Hausa states situated in northern Nigeria. (Kano, Rano, Zaria, Doura, Katsima, Zamphra and Ghowair). During the period running from the 16th to the 19th centuries A.D. Kano had become the most important centre from which Hajj caravans initiated their trip from Central Africa (Hassan 1984: 116).

The most important Hajj routes that started from Central Africa were two. The first one used to start from Kano, passing through the territories of Kanem-Borno, Bilma, Marzuk, Augila, Siwah Oasis, and then to Cairo. That route had ramifications that led from Marzuk to Tripoli (al-Iraqi 1984: 150).

The second route started from Kano passing through Borno land, Wadai, Darfur to the Nile Basin via Darb el-Arbaeen. The travellers could then proceed to Cairo or cross the Red Sea via the ports of ‘Aidhab or Sawakin to Jedda in Hejaz *(op. cit: 106).*

1987: 34-41). This route was pursued by a great number of Moroccan and Andalusian travellers and geographers who described its stations and defined its stages and distances. Of those travellers one may mention the names of al-'Uzari al-Andalusi who travelled along this route in the beginning of the fifth century A.H. (11th cent. A.D), Abu 'Ubaid Allah al-Bakri who pursued it at the end of the same century, and al-Idrisi who described the towns along the same route at the end of the sixth century A.H. (12th century A.D). Among other travellers were Ibn Rushid who reached Madinah in the year 648 A. H., 'Abdari who performed Hajj in the year 689 A.H. and travelled through Egypt (al-Jasir, 1982 : 19) and Ibn Battuta, the most famous Moroccan traveller who started his journey from his home town (Tangier) in the month of Rajab, 725 A.H/ 1546 A.D (Ibn Battuta 1987 : 33), in addition to others of medieval and late Islamic periods (al-Jasir, 1982: 22-31) (Fig. 1).

Second : The Western Sudanic Routes

1- Ghana - Sijilmassa Route

This route connected the Far Maghreb with the western Sudanic regions (Ghana and al-Tekror). In the early Islamic periods this route had two main branches : the first started from Ghana in the south and ended in Sijilmassa in the north, after passing through the town of Awdaghost. As determined by al-Bakri in the fifth century A.H (al-Shikhaly 1984: 32-38), it took twenty days for covering the route which passed through the Saharan Sanhajan Berbers. The second branch started from Ghana, passed through nearly ten stages until it reached the territories of Lamtuna-Sanhajan tribes, then it crossed the Great Sahara Desert in eight days until it reached Wadi Dira'h in Maghreb. It is noteworthy that after the appearance of the Muravid State in the Far Maghreb much attention was paid to this route. Various reasons can be cited for this particu-

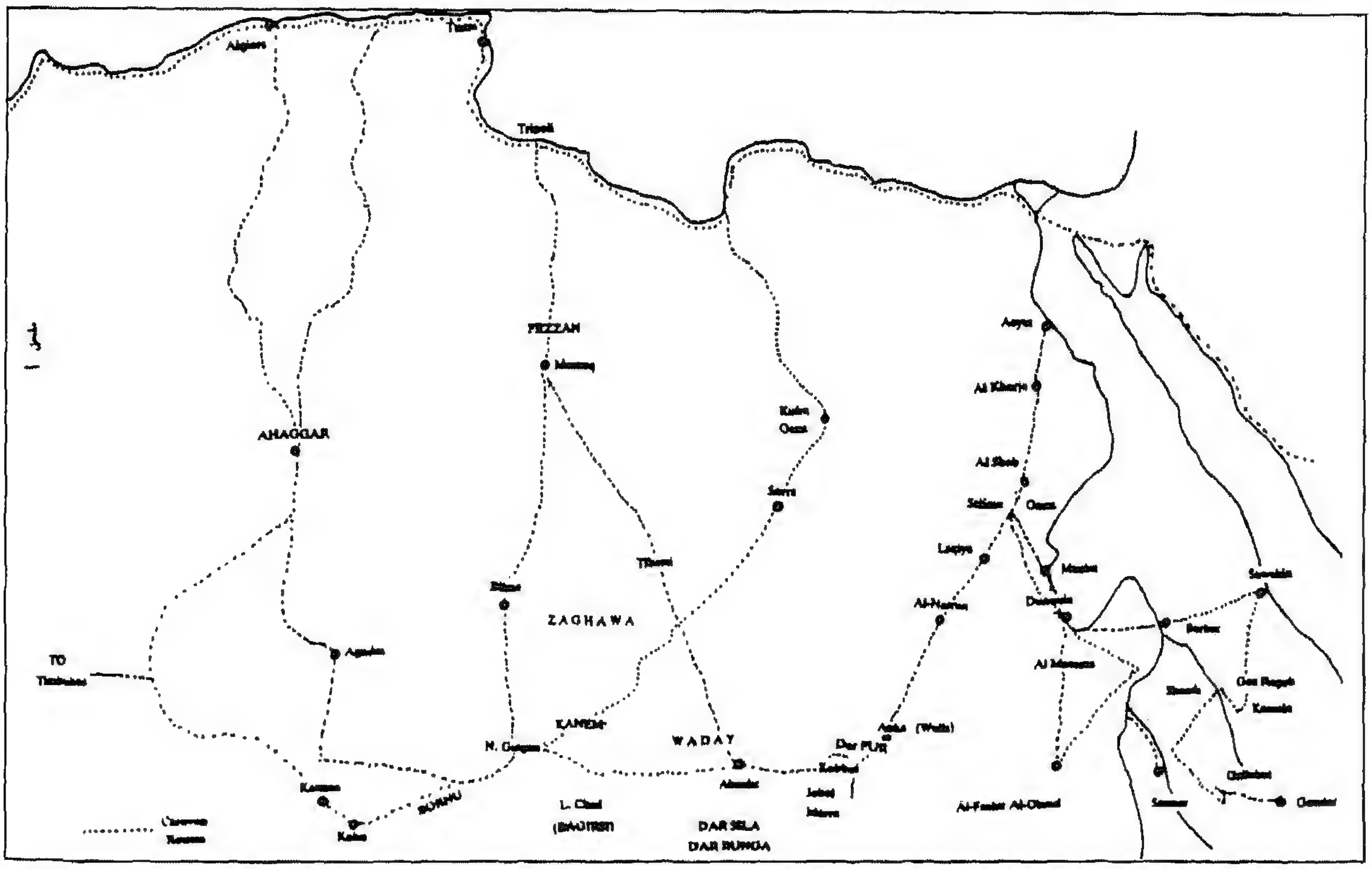


Fig. 2 : Subsidiaries of the Egyptain pilgrim route in Africa.

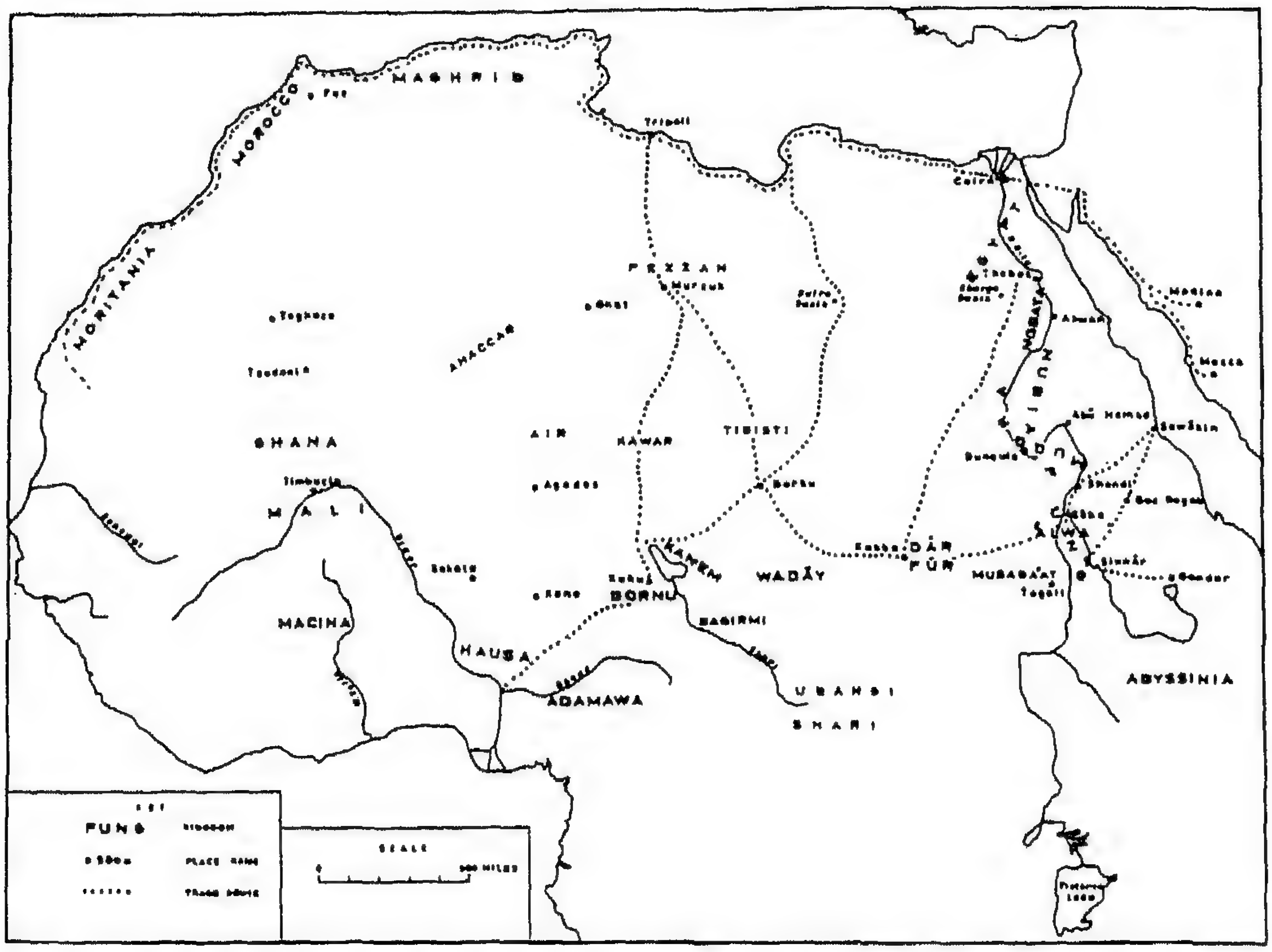


Fig. 1: Subsidiaries of the Egyptian pilgrim route in Africa, after Convoys' Trade & It's civilized Role.

one was financially and physically able to do so. Therefore, African pilgrim caravans started going to Makkah and al-Madinah every year coming from eastern, western, northern and southern parts of Africa. The number of the pilgrims increased steadily every year owing to the dissemination of Islam to the south of the great Sahara (Sahara Desert).

It is worth mentioning that, in the beginning, pilgrims travelled along the old trade routes as individuals and irregular groups. Later on main routes appeared to have been pursued by huge and organized pilgrim caravans. However, that was not the general phenomenon in the whole African continent. In spite of their conditions and starting-points, all those land-routes led to Egypt, at which point African pilgrims gathered before their departing to Makkah and Madinah. At that time the African pilgrims had to reach Egypt before the end of Shawal in order to accompany the formal Egyptian pilgrim caravan. The Egyptian pilgrim caravan used to be prepared by governors, caliphs and sultans of Egypt who rendered to it the means of protection, security and other necessities including sponsership and organization (Jomier, J. 1953). The most important routes pursued by pilgrim caravans from Africa towards Egypt, being branches to the Egyptian pilgrim route, are as follows :

First : The Northern Coastal Route

This is a main route used by Moroccans and North African pilgrims outside the Egyptian frontier. The route started from Marrakesh and Tangier in the far Maghreb, then it ran eastward toward Tlemcen which was an important station along the route and a gathering point for the pilgrims. After Tlemcen its track continued in a long journey parallel to the Mediterranean coast, passing through a great number of stations and towns, the most important of which were Malyana, Algiers, Bejaya, Pastantina, Bona, Tunis, Susa, Safaqis, Pabis, Tripoli, Masalata, Masrata, Sert and Alexandria in addition to a number of Egyptian towns until the route ended in Cairo (Ibn Battuta

The Sudanic feeding-routes of the Egyptain Pilgrim Road

Ali Ghabban

Abstract. *The Egyptian pilgrim route was the main road used by the African Muslim caravans from Egypt to the sacred places in Hijaz. The route begins at Cairo and eastward across Sinai Peninsula to the North West of Saudi Arabia and thence southward to Makkah and Madinah. During its different periods of Islamic history the Egyptian pilgrim route had many subsidiary inland routes coming from different parts of the African continent. The African pilgrims used to gather from northern, western, eastern, central and southern regions of Africa and congregate in Cairo where they join the official caravan of pilgrimage (mahmal). The research attempts to give a clear portrait of the Egyptian pilgrim route, its historical stages and archaeological remains. It will deal elaborately with the major routes used across Africa by pilgrims in their way to perform the Hajj or pilgrimage.*

Introduction

In the beginning of the 7^{th} century A.D. God Almighty dispatched in the Arabian Peninsula the Seal of the prophets, Muhammad, for Arabs and for other nations, inviting all to accept Islam. At the time of his death in the year 11 A.H (632 A.D.), the Islamic call spread all over the Arabian Peninsula, and it started to prevail outside Arabia. During the reign of the Four Guided Caliphs the call reached the neighbouring regions of the Arabian Peninsula (Syria, Iraq and Persia) and across the Red Sea towards Africa where it extended to many parts of the continent (Egypt, Libya and Tunisia). Even prior to that date and during the lifetime of Prophet Muhammad himself (as a result of the emigration of the Prophet's Companions who fled from the hostilities of the Makkan atheists), Islam reached Abyssinia on the eastern African coast of the Red Sea. It is noteworthy that, according to some sources (Ibn Hisham 1955 : 341), the presence of the Prophet's companions in Abyssinia was the reason for the conversion of the Abyssinian King into Islam. Thus Africa was the first place where Islam spread outside the territory of the Arabian Peninsula.

The Arabian and African cultural relations started since time immemorial, and the archaeological findings provided concrete evidence showing that their roots dated back to ancient periods in prehistoric times (Anati 1968/1972). Those relations were manifest in various forms of human migrations and cultural interactions. During the course of history the desert climate of Arabia might have been one of the reasons for this area's inhospitability and motivated its inhabitants to migrate to the northern and eastern coasts of Africa. However, the abundance of trade goods in Africa such as ivory, gold and perfumes as well as the practice of trade by the Arabs and the fame they acquired in this occupation, were major reasons behind the expansion of commercial activities between Arabia and Africa during the period of the ancient southern Arabian Kingdoms extending from the eighth century B.C. to the seventh century A.D (Hassan, 1985 :33).

With the advent of Islam, a new stage in the history of cultural relations between Arabia and Africa started. It is worth noting that Islam paved the way for the spread of many aspects of Arabian culture in Africa, particularly Islamic culture itself and the Arabic language, which is the language of the Holy Quran (op. cit: 44). As a result, every African Muslim was required to visit Arabia to perform Hajj at least once in a lifetime, if

ISSN: 1319-8947 (pp 51 - 62)

Ciuk, C. and Keall, E. 1996. **Zabid Project Pottery Manual 1995. Pre-Islamic and Islamic Ceramics from the Zabid Area, North Yemen.** BRA S655. British Archaeological Reports, Oxford

Cressey, G. B. 1958. "Qanats, Karez, and Foggaras," **The Geographical Review,** 48: 27-44.

Crowfoot, J.W. 1911. "Some Red Sea Ports in the Anglo-Egyptian Sudan", **Geographical Journal** 37: 523-50.
Goblot, H. 1979. **Les Qanats: Une Technique d'Acquisition de l'Eau.** Mouton. Paris.

Insoll, T. In Press. "An Analysis of the Chinese pottery from the Settlements of Mtambwe Mkuu and Ras Mkumbuu on Pemba Island, and Tumbatu and Mkokotoni on Zanzibar Island," In: M. Horton, (ed.), **The Zanzibar and Pemba Excavations.** British Institute in Eastern Africa, Nairobi

Insoll, T. 1996. "The Archaeology of Islam in sub-Saharan Africa: A Review", **Journal of World Prehistory** 10: 439-504.

Insoll, T. 1998. "Islamic Glass from Gao, Mali" **Journal of Glass Studies** 40: 77-88.

Insoll, T. 1999. **The Archaeology of Islam.** Blackwells, Oxford

Lane, A. 1947. **Early Islamic Pottery, Mesopotamia, Egypt and Persia.** Faber and Faber. London.
Lewis, I. M. 1994. (repr.). **Peoples of the Horn of Africa.** Red Sea Press. Asmara.

Munro-Hay, S. 1982. "The Foreign Trade of the Aksumite Port of Adulis" **Azania,** 17: 107- 25.

Munro-Hay, S. 1989. "The British Museum Excavations at Adulis" 1868. **Antiquaries Journal,** 69: 43-52.

Oman, G. 1974. "The Islamic Necropolis of Dahlak Kebir in the Red Sea. Report on a Preliminary Survey Carried out in April 1972", **East and West** 24: 249-95.

Paice, E. 1996. **Guide to Eritrea**, Chalfont St Peter: Bradt.

Paribeni, R. 1907. "Richerche nel Luogo dell'Antica Adulis" **Monumenti Antichi, Reale Accademia del Lincei,** 18: 438-572.

Paul, A. 1955. "Aidhab: A Medieval Red Sea Port" **Sudan Notes and Records,** 36: 64-70.

Phillipson, D. 1998. **Ancient Ethiopia**. British Museum. London.

Puglisi, G. 1969. " Alcuni Vestigi Dell'Isola di Dahlac Chebir e la Leggenda dei Furs", **Proceedings of the Third International Conference of Ethiopian Studies.** Institute of Ethiopian Studies, pp. 35-47. Addis Ababa.

Schneider, M. 1969. "Steles Funeraires de la Region de Harar et Dahlak (Ethiopie)" **REI,** 37: 339-43.

Tedeschi, S. 1969. "Note Storiche Sulle Isole Dahlak", **Proceedings of the Third International Conference of Ethiopian Studies**. Institute of Ethiopian Studies, pp. 49-74. Addis Ababa

Whitcomb, D. 1983. "Islamic Glass from Al-Qadim Egypt," **Journal of Glass Studies** 25: 101-108.

Wiet, G. 1951. " Roitelets de Dahlak," **Bulletin d'Institut de l'Egypte** 34: 89-95.

from the very beginnings of the religion itself. Significantly enough, Dahlak Kebir was defined very early as being in the *Dar al-Islam,* attesting to the degree of its evident Islamisation. In conclusion, although only a very preliminary reconnaissance has been completed, the potential and importance of the site of Dahlak Kebir merit more efforts. It is hoped that others will take up the challenge of further investigating Dahlak Kebir and the Dahlak Islands.

Acknowledgements: I am grateful to many people for their assistance and co-operation in Eritrea. First and foremost gratitude is owed to Dr Yoseph Libsekal, the Director of the National Museum in Asmara for permission to facilitate the reconnaissance visit, and to all our kind hosts at Dahlak Kebir. Many thanks are extended to Dr Charles Spence of Oxford University, Dr Chris Hillman of the Ministry of Marine Resources in Eritrea, and Yassin Adem of the same Ministry, who so expertly guided us to, on, and from, the Islands. Funding for the research has been kindly provided by the Haycock Fund, administered by the British Institute in Easern Africa, and St John's College, Cambridge. I would also like to thank the anonymous reviewers of this paper for their helpful comments.

Dr Timothy Insoll **School of Art History and Archaeology, University of Manchester, Oxford Road, Manchester, M13 9PL, U.K.**

Email: Tim. Insoll@man.ac.uk

ملخّص: ان بقايا الآثار التي سجلت أثناء زيارة الاستطلاع الأولى لموقع دهلك كبير في جزر دهلك بأرتيريا تؤكد أهمية جزر دهلك التي ظهرت في السجلات التاريخية حوالي ١٠٠ قبل الميلاد، والتي كانت مدخلاً رئيساً لتجارة البحر الأحمر كما كانت محطة وصل بين أفريقيا والجزيرة العربية خلال الحقبة الأكسومية والحقبة الإسلامية. وفي هذه الزيارة تمت ملاحظة وتدوين مظاهر مختلفة منها : قبور ومقابر (سبق أن درسها باحثون آخرون)، مناطق سكنية مكونه من بقايا طينية وآثار مدينة حجرية، كذلك هنالك مايبدو أنه منطقة ميناء، إضافة إلى صهاريج وخزانات مياه. وغالبية سطح الموقع تزخر بالمواد الآثارية مثل الخرز الزجاجي والصخري، والأوعية الزجاجية، وشذرات الأساور، والفخار غير المزجج المصنوع محلياً على مايبدو، إضافة إلى الفخار المزجج ذي الأصول الصينية والإسلامية الذي يعود (حسب النظرة الأولية) إلى حقبة القرون الوسطى (من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر). وقد أفضت زيارة جزر دهلك إلى عدة ملاحظات أولية حول الموقع ودوره في تجارة البحر الأحمر. ومن أهمها الرابطة الأكيدة بين نمو دهلك كبير وتطور التجارة التي كانت تجارة محلية ودولية، وهذه الحقيقة تؤكد أهلية هذا الموقع المهم لبحث آثاري معمق. فالموقع مفتاح أساس في اعادة هيكلة آليات تجارة البحر الأحمر عبر العصور.

References

Allen, J. De V. 1993. **Swahili Origins**. James Currey. London.

Bassat, R. 1893. "Les Inscriptions de L'Ile de Dahlak," **Journal Asiatique** 9: 77-111.

Bassat, R. 1913. "Dahlak" **Encyclopedia of Islam,** 1: 893.

Chami, F. 1998. "A Review of Swahili Archaeology" **African Archaeological Review,** 15: 199-218.

sherds of celadon are also found (Figure 7), and six sherds of whiteware are noted, two with a definite bluish tinge to the glaze (Qingbai or Ying-Ching?), very similar to pieces examined previously by this author from Pemba and Zanzibar Islands on the coast of Eastern Africa (Insoll in press). Similar wares have also been reported from Aidhab on the coast of the Sudan (Lane 1947: 31). These are perhaps of twelfth-thirteenth century date, but this is not certain. One large sherd of brown and olive glazed ware, perhaps Dusun ware, and a single black glazed sherd (outer surface only) are also recorded.

The Islamic wares include two pieces of Sgraffiato ware, with characteristic orange-brown fabric with green glaze; a similar fragment of tile is also noted. No sherds of Sasanian or Sasanian-Islamic wares are recorded, a surprising fact considering the probable Persian connection and Sassanid control of South Arabia from A.D. 575 until the Muslim conquest (Tedeschi 1969: 51-2). Similarly, the presence of Arabian wares, and more specifically those from the "Persian Gulf," at Aksum (Phillipson 1998:67) makes their lack in Dahlak Kebir the more surprising. However, this author does not claim to be specialist in this material, and thus it is possible that such wares are present.

Metals and Miscellany: Various pieces of iron slag are seen, along with three copper coins --one with an Arabic inscription (not read) -- a piece of a small copper dish and a fragment of impressed/hammered copper are also noted. Many fragments of coral are seen scattered throughout the surface of the site, perhaps the residue of jewellery manufacture.

Summary and Conclusions

The importance of Dahlak Kebir, described in the historical sources, is supported by the archaeological evidence. However, few conclusions can at this stage be drawn, though a number of preliminary observations can be made. Firstly, the correlation between the growth of Dahlak Kebir since the Aksumite period and trade is indisputable. Trade is evident on inter-regional scales (i.e., with Ethiopia and across the Red Sea with Arabia), and also on a much greater scale, with Dahlak Kebir tied to the Indian Ocean and Persian Gulf networks, as well as northward up the Red Sea, perhaps to the Mediterranean World. Slaves probably make up a major commodity of this trade, sourced from the interior, shipped to Dahlak Kebir, and then traded onward. Puglisi (1969) suggests that 3000-4000 slaves pass through Dahlak Kebir each year. A sizable transient slave population en-route from the African mainland would certainly justify the excess cistern capacity which has been noted previously. Other commodities which could have been involved in this trade include ivory, skins and fragrant woods, in addition to foodstuff coming from the African mainland and luxury and manufactured goods from long-distance trade. Futhermore, Dahlak Kebir appears to have been a manufacturing centre, possibly producing various items for trade with the interior; a fact attested to by, for instance, the bead manufacturing debris.

A further important and evident point pertains to the Red Sea; rather than being a physical barrier, it seems to have been a means of communication. In fact, connections with the Arabian shore of the Red Sea have often been as strong as those with the African mainland. However, the historical legacy intimately ties the Dahlak Islands to Eritrea. Thus, perhaps much as the Swahili of the Eastern African coast can be described as Indian Ocean in origin, the Dahlak can be seen as a similar product of trade and other contacts conducted over many centuries in the Red Sea region. The long-standing connection between Islam and the population of Dahlak Kebir can also be seen to be significant, with contacts dating almost

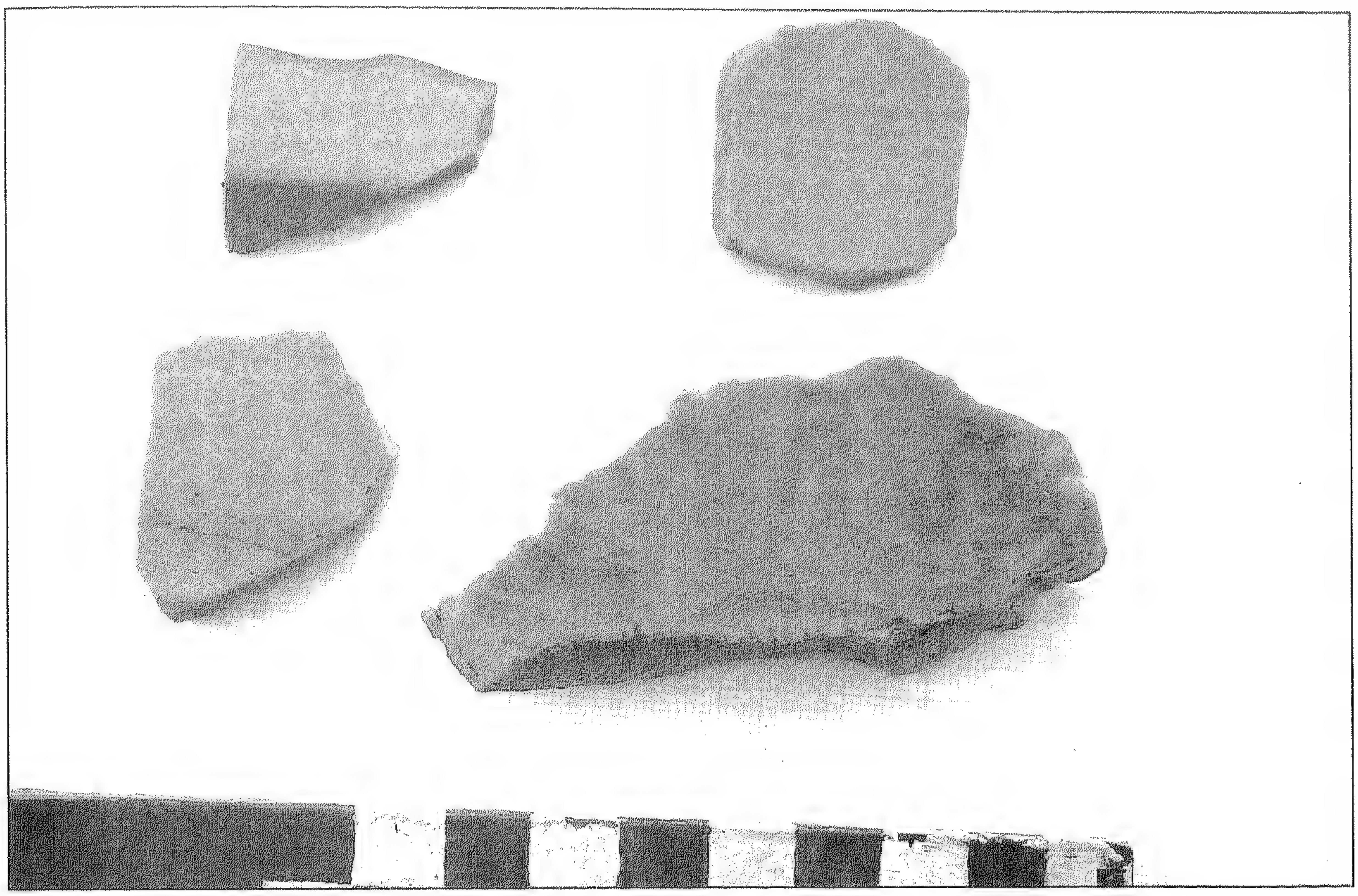


Fig. 7: Chinese celadons (Photo T. Insoll).

drilled, clearly showing that the drilled holes did not meet. Various misshapen glass beads and the contents of two crucibles used for melting glass (one blue, one black) are also found. These are too small to have been used for making glass vessels, and seem to have been similarly used for glass bead manufacture.

Glass: Many fragments of glass bracelet are found, and ten different types are recorded. Some are monochrome, others are multi-coloured, and of types recorded elsewhere on the Red Sea. Comparable assemblages include those from Aden, a major centre of production, and Quseir al-Qadim in Egypt, where they are dated predominantly to the thirteenth-fourteenth centuries (Whitcomb 1983). One large, cut glass pink bottle fragment is found, of very good quality and of unknown date (for similar material, see Insoll 1998).

Pottery: No attention has been paid to unglazed wares because of the brevity of the visit and of the inability to remove any material for further analysis. Moreover, the large-scale absence of comparable material (but see Cuik and Keall 1996), at least from the African side of the Red Sea, has further complicated the analysis of the unglazed pottery. It is recognised that this is a major omission which needs rectifying by future research projects. However, glazed-wares are briefly looked at as possible sources of information on long-distance trade contacts and as a potential dating aid, being somewhat more easily identifiable in the short time space available. Various categories of imported ceramics are found. However, it should be noted that these have yet to be examined in any great detail, and any identifications remain at present provisional and extremely tentative in nature.

Both Chinese (Far Eastern) and Islamic wares are represented; the former include large quantities of blue and white, thus later in date (post sixteenth century?). Four

land, a building is recorded and described as a "Persian church," a thesis which is dismissed by Puglisi (1969). Ascribed a second-third century A.D. date, the function of this latter structure is unknown; perhaps it was a temple. The existence of the enigmatic building in Dahlak Kebir village raises many interesting questions. If it is indeed a Christian church, who would have used it? The only reasonable answer to this is that part of the community was formerly Christian. This is perhaps not too inconceivable considering the island's proximity to Ethiopia with its predominantly highland Orthodox Christian tradition. Alternatively the church could have been reused in another form. However, at the present, this remains mere speculation. The important point to stress is that this building merits further investigation, and it is quite possible that, unless protected, the columns would disappear as portable souvenirs, once the islands become more accessible.

The Archaeological Material

As already stated, large quantities of archaeological material (beads, glass, locally produced and imported pottery, coral debris, copper coins and slag) were liberally strewn across the settlement and the possibly port areas of the site. The opportunity is taken to briefly examine some of this material, all are surface finds without context, and none are removed.

Beads. Large quantities of beads and, more importantly, bead manufacturing debris are found. These include small yellow and blue glass barrels, a small shell bicone, fragments of faceted bicones in what appears to be carnelian, an amber? sphere, and a pierced disc of mother of pearl (Figure 6). The latter is the only possible evidence found for the earlier importance of pearling. It is evident that bead manufacturing was taking place. This is indicated by for example, one of the carnelian bicones which seems to have been discarded when shattered whilst being



Fig. 6: Bead debris and glass fragments (Photo T. Insoll).



Fig. 5: Spiral column in the Aksumite? building (Photo T. Insoll).

prising considering the paucity of water on the Dahlak Islands and the obvious suitability of the cisterns for water storage.

Miscellany: A further monument which is less easy to place within a specific category is also recorded. This cosists of the remains of a well-built structure situated on top of a small mound, surrounded by a cemetery to the west of the site complex. In its location, it is therefore similar in certain respets to the tomb mentioned previously. Of especial interest is the use within this structure of a spiral carved marble column. The use of such columns is not recorded elsewhere at Dahlak Kebir though another solitary example is found lying on the surface nearby. This obviously has once formed part of the same building (Figure 5). Puglisi (1969: 38) also records the existence of this building as "a Christian church with Syrian influence", and relegates its date to the fourth-fifth centuries A.D. It is described as being composed of a podium, with several arches and an access staircase. Puglisi also describes the fragment of the marble column, and from his proposed date it appears that this is an Aksumite structure. The use of marble components within Aksumite churches is described by Munro-Hay (1989: 46-8) at Adulis on the Eritrean mainland (see also Paribeni 1907). However, the columns described, which are "almost square" (Munro-Hay 1989: 49), or alternatively octagonal, appear different from the examples from Dahlak Kebir. Interestingly, it also seems that some of the church fragments from Adulis "including screen posts and columns ... were manufactured from local marbles in Asia Minor, and were sent out from there prefabricated to be assembled at their destination" (Munro-Hay 1989: 50). This raises the interesting question of whether the Dhalak Kebir fragments also be of Eastern Mediterranean origin.

Aksumite ruins have been reported from elsewhere in Dahlak Kebir Island. At Gim'hile in the northeast corner of the Is-



Fig. 4: View of cisterns from the air (Photo courtesy Dr. Chris Hillman.

that the coral-built town forms a separate physical entity within a ring of mounds. The total settlement area could be even larger if one considers the probable existence of more ephemeral "suburbs" of impermanently built huts as well as possible areas for confining large numbers of slaves, features which are by their nature less archaeologically visible.

The standing houses themselves are well-built out of coral, the pieces of which are elaborately carved (Figure 3). Some buildings are better preserved than others, and it is possible, but as yet unproven, that many are associated with the Turkish period of control of the Island. In 1673 A. D, when the village of Dahlak Kebir was visited by the Turk Evliya Celibi, it had 600 houses, some of stone, others of mud and thatch, and each with a cistern (Tedeschi 1969: 71-2). The settlement mounds, four large and several small, do not merit further description other than to note that they can reach up to 4 meters in height and are again rife with archaeological material.

Cisterns and Water Collection Systems.

The remains of the water collection systems, along with the cemeteries have been reasonably well-reported, partly as a result of their number, but mainly as a result of their superb construction. One tradition relates that there has been one cistern for every day of the year; even more if the Turkish visitor, Celibi, is to be believed. Numerous cisterns have been found; it seemed pointless at present to record these individually. Their ubiquity is well indicated by aerial photographs (Figure 4).

The cisterns vary in their state of preservation, ranging from a couple of examples recently renovated to others only their mouths are visible, but otherwise are filled with sand, it will be seen that they are lined with plaster, obviously watertight, and that columns are used to support the roof. No one structural techniqus is uniformly employed, many styles are evident, which in itself deserves further investigation. Local tradition also associates the cistern construction with the Farsi or Persians (Puglisi 1969). This seems a reasonable attribution considering the history of Persian contacts with the area and the well-known Persian *Qanat*, a similar form of waterstorage technology (see for example Cressey 1958, Goblot 1979). In summary, this water storage and collection technology provide further possible indications of trading links with, or connections of some sort directed to, the Persian Gulf.

The existence of so many cisterns, often with rock cut channels to allow maximum catchment of water, implies a sizeable population. This, however, need not have been wholly permanent, but could have been supplemental, owing perhaps to a transient slave population (Puglisi 1969: 43-5). Similar cisterns, though in much smaller numbers, have been reported from elsewhere on the Red Sea, at Er-rih and Aidhab in the Sudan and at Massawa in Eritrea (Puglisi 1969; Crowfoot 1911; Paul 1955; Insoll 1996). Today water is collected from wells by the population of the village at Dahlak Kebir; the cisterns, except for one instance, appear to be no longer in use. This is sur-

also attest to the large population which formerly inhabited the site as well as to the racial variety and admixture in the Islands, referred to previously.

Several of these tombs also continue today to be of religious significance to the local population; these tombs seem to belong to prominent religious figures or saints (*Wali*, pl. *Auliya*)where various rituals are carried out. This is indicated, for example, by a structure, which is recorded, situated to the southeast of the site complex, on a small mound within a cemetery. At this structure-- a small tomb-- numerous pieces of rags have been tied to the remains of the tomb and to a black basalt column. The latter feature appears to have been deliberately moved, and incorporated at a later date within the building, for otherwise it does not fit structurally. Scattered around this tomb/shrine are many fragments of incense burners in coarse reddish-brown clay, indicating that other offerings are made here. These are also practices mirrored on the close Eritrean mainland, or rather immediately offshore on Sheikh Sa'id (Green Island) near Massawa. Here, the remains of another saint's tomb are recorded in which are found the remains of incense burners and offerings, including a sacrificed desiccated sheep, all concentrated within the mihrab (Insoll 1999). The function of these offerings is not certain, but obtaining blessings for safety in trading and fishing expeditions is a major factor underlying these ritual practices (C. Hillman pers. comm.). The importance of both shrines and the Cult of Saints seems a significant feature throughout this rigion (Lewis 1994).

The Port Area. For a major trading centre, the existence of a port is expected, and the bay certainly offers sheltered anchorage, and is utilised today by the local fishermen for this reason, as many timber huts on the waterline testify. A former port area appears to be represented by a zone of reasonably flat ground running down to the sea from the settlement area. This zone is partially submerged at high tide (Figure 2). The whole of the surface of the possible port area is liberally riddled with archacological material: beads, imported and locally produced pottery, glass and various types of more modern debris (see below). It is suggested that, depending upon the tide, vessels are brought up to this area to unload, and that the collected surface-material is the remains of rubbish and, more importantly, of breakages of goods whilst off-loading. This hypothesis appears to be supported by the existence of a channel, cutting through the area of the flat ground just described. This, it can be further suggested, might also be relating to a former harbour facility as an artificial creek or channel used for mooring and unloading vessels. Alternatively, it might be wholly natural in origin.

The Settlement. The settlement area is composed of the occupation debris over several centuries, comprising both an extensive area of coral houses and also various settlement mounds (Figure 2). Without excavation, it will not be known whether the different areas of the settlement represent different phases of occupation (with, for example, the mud houses, which have melted to form the mounds, being abandoned whilst the coral houses occupied). It is apparent

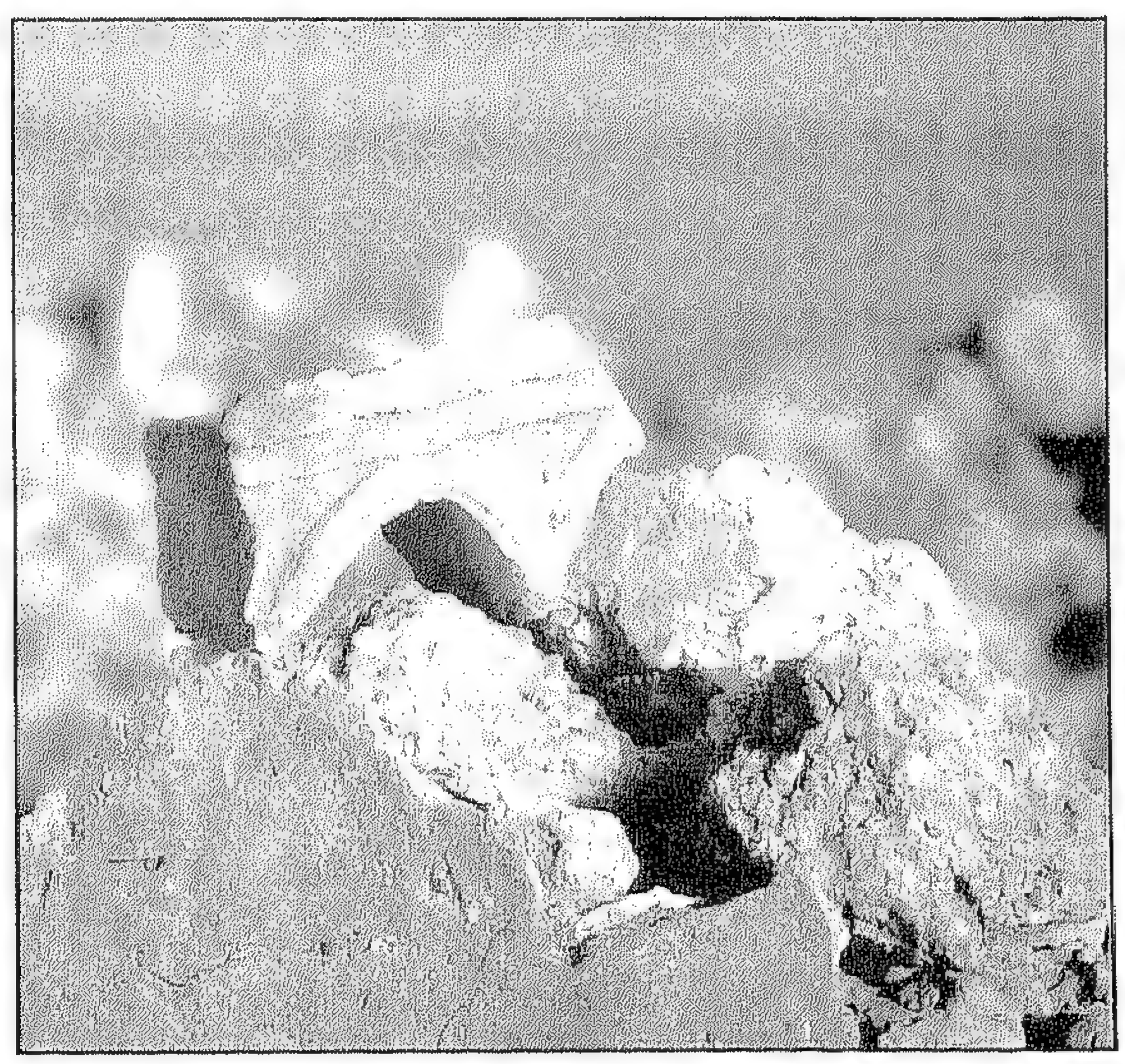


Fig. 3: Block of carved coral from the stone-town (Photo T. Insoll).

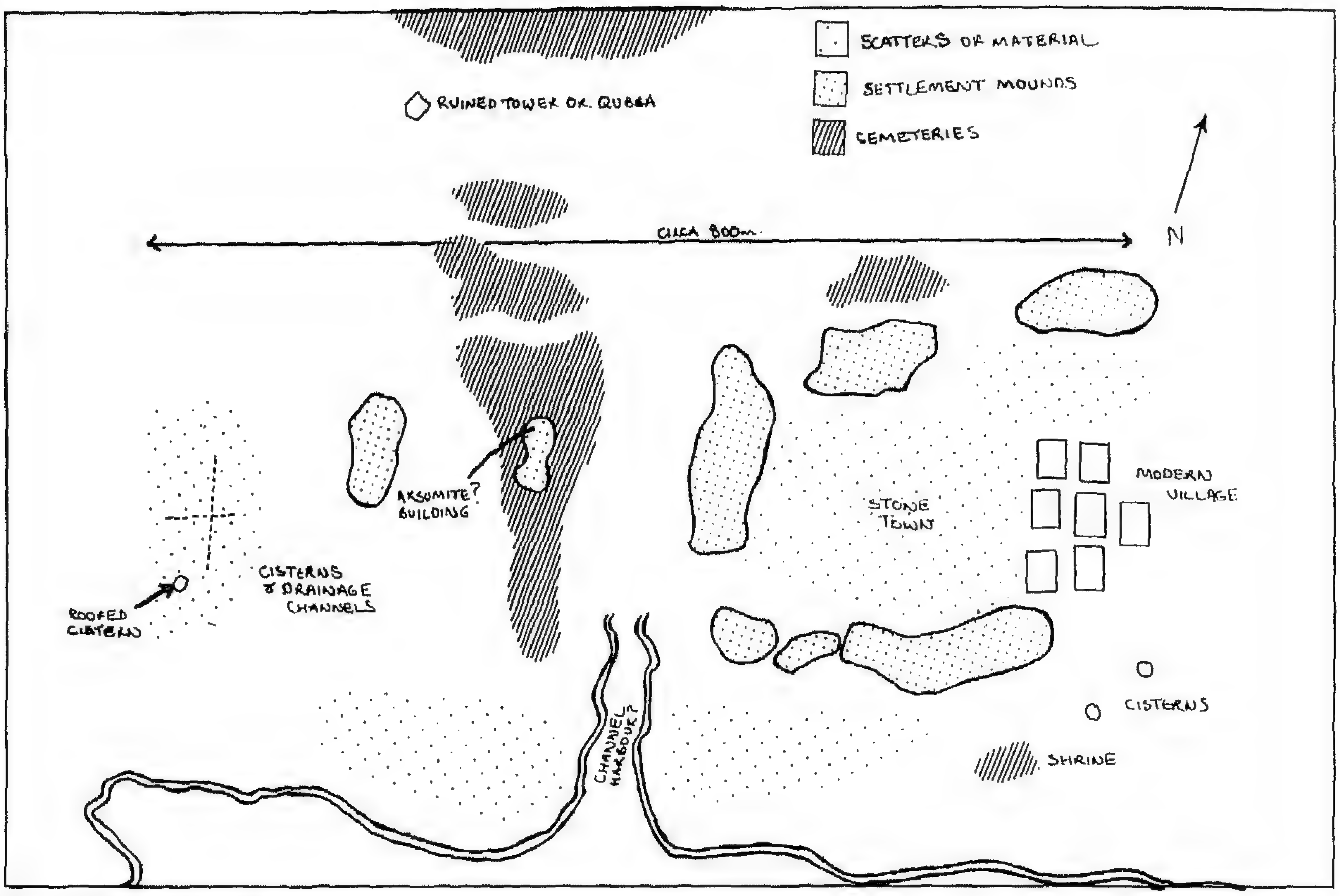


Fig. 2: Sketch-plan of the site.

resent a complete town site made up of a number of different elements, including cemeteries, a multi-period settlement, extensive cisterns and water collection systems, and what appears to be a port area (Figure 2).

Cemeteries and Tombs. The cemeteries have been examined in some detail by various scholars (Bassat 1893, Wiet 1951, Schneider 1969, Oman 1974, Insoll 1996). Of primary attraction are the over 200 Arabic funerary inscriptions on basalt, incised or carved in relief in both Naskhi and Kufic script. These date from between 911-1539 (Oman 1974). The inscriptions have provided information on the Sultanate of Dahlak, as, for example, by a reference on a stele (dated to 1093) to a Sultan al- Mubarak, apparently the name of a sovereign of the Dahlaks in the late eleventh century (Tedeschi 1969: 63). One individual has even been commemorated by four stelae, "a case unique in the epigraphy of Dahlak Kebir and also in Islamic epigraphy" (Oman 1974: 259). As this material has already been well-studied (*Ibid*), no attempt is made to further record the funerary inscriptions.

Besides the inscribed Muslim gravestones, which have been somewhat dispersed over the years, numerous other Muslim tombs have been noted. These are to be found in the cemeteries situated to the north of the settlement area. Standing *Qubba* tombs have been photographed in the recent past (see, for example, Puglisi 1969; Fig. 8), but these have partially collapsed over the course of the last three decades, and will probably continue to deteriorate. Thorough mapping of the cemetery area needs to be undertaken, and an inventory needs to be made of what still exists, to supplement the partial corpus provided by Oman (1974). The importance of the cemeteries need not be overemphasised; they represent the evolution of Muslim funerary monuments over the course of several centuries, possibly from the first century A.H. Moreover, they

viously has led to a great intermingling of peoples within the Islands analogous in a way to the processes which have created the Swahili culture of the Eastern African coast (see for example Allen 1993, Chami 1998). The Dahlakin likewise live on fishing and limited pastoralism. Formerly, pearl diving was of importance, but recent artificial cultivation of pearls, predominantly in Japan, has made the old activity unviable economically (Idris Usman pers. comm.).

The Eritrean government is keen on developing the economy and amenities on the Islands. The development of the archaeological site at Dahlak Kebir, as a tourist attraction, is one possibility under consideration. This will certainly be appreciated by the local population as a possible source of income and as a mechanism for ensuring the future survival of the monuments.

Historical Sources. The history of Dahlak Kebir testifies to its importance as a trade centre, and we are fortunate that many of the historical sources are analysed by Tedeschi (1969), whose work is drawn upon here. In this respect it is also important to record that in so far as this paper is a working note, only a summary introduction to the historical sources can be provided. Readers interested in the original sources are here referred to Tedeschi (*Ibid*) and Bassat (1913).

Beginning in 100 B.C. the Dahlak Islands appear in historical sources, when Artemidorus refers to Elaia (apparently to be identified with Dahlak Kebir) as perhaps the "Alalaios" of the *Periplus of the Erythraean Sea*, an anonymous Greek source probably written in the first century A.D. The Alalaios of the Periplus is recorded as a source of tortoiseshell (Tedeschi 1969: 50). Various other classical allusions exist, and it is known that between the third-sixth centuries A.D. the islands are controlled by the Aksumite kingdom (see Munro-Hay 1982). Following the decline of Aksum in late sixth - seventh centuries the islands become a centre of piracy, a fact which has direct implications for their Islamisation. The Dahlaks role as a pirate base hampered the trade of the early Muslim state; in 702-3, for example, "Abyssinian" pirates were recorded as having attacked Jeddah (Tedeschi 1969: 25). For this aggressive action, the Dahlaks were occupied in the early eighth century by Muslim naval forces led by Sulayman b. 'Abd al-Malik (Munro-Hay 1982: 121). Subsequently, Dahlak Kebir became a place of exile known as "the Island of Thorns" (Tedeschi 1969: 52).

Thus Islam and Dahlak Kebir were linked since that date, and for the next three centuries the importance of Dahlak Kebir as the Muslim bridgehead into Ethiopia had increased and also remained, for a while, tributary to the King of Zabid in Yemen. By the end of the eleventh century, it was a fully independent Sultanate of great prosperity, and was referred to as a frontier zone of Islam (according to the testimony of the funerary epigraphy). This polity lasted some time; Maqrizi, writing in the fifteenth century for example, recorded that in 1393 "the Egyptian Sultan received from the sovereign of the Dahlaks several elephants" (*Ibid: 60*). By the late fifteenth century,the power of Ethiopia was resurrected, and the sultanate of Dahlak again took on a tributary status, this time to Ethiopia. The last known mention of a Sultan of Dahlak occured in 1541 A.D. in connection with a Potuguese raid on the Island. In A. D. 1557 the Dahlaks and the mainland port of Massawa were occupied by the Turks. The region very much assumed the character of a province of secondary status to the Ottomans, and Dahlak Kebir gradually declined in importance. By the late eighteenth century, when visited by James Bruce, the island was described as home to twelve villages of miserable huts. The more recent situation has already been described.

The Archaeological Site

The remains at Dahlak Kebir village rep-

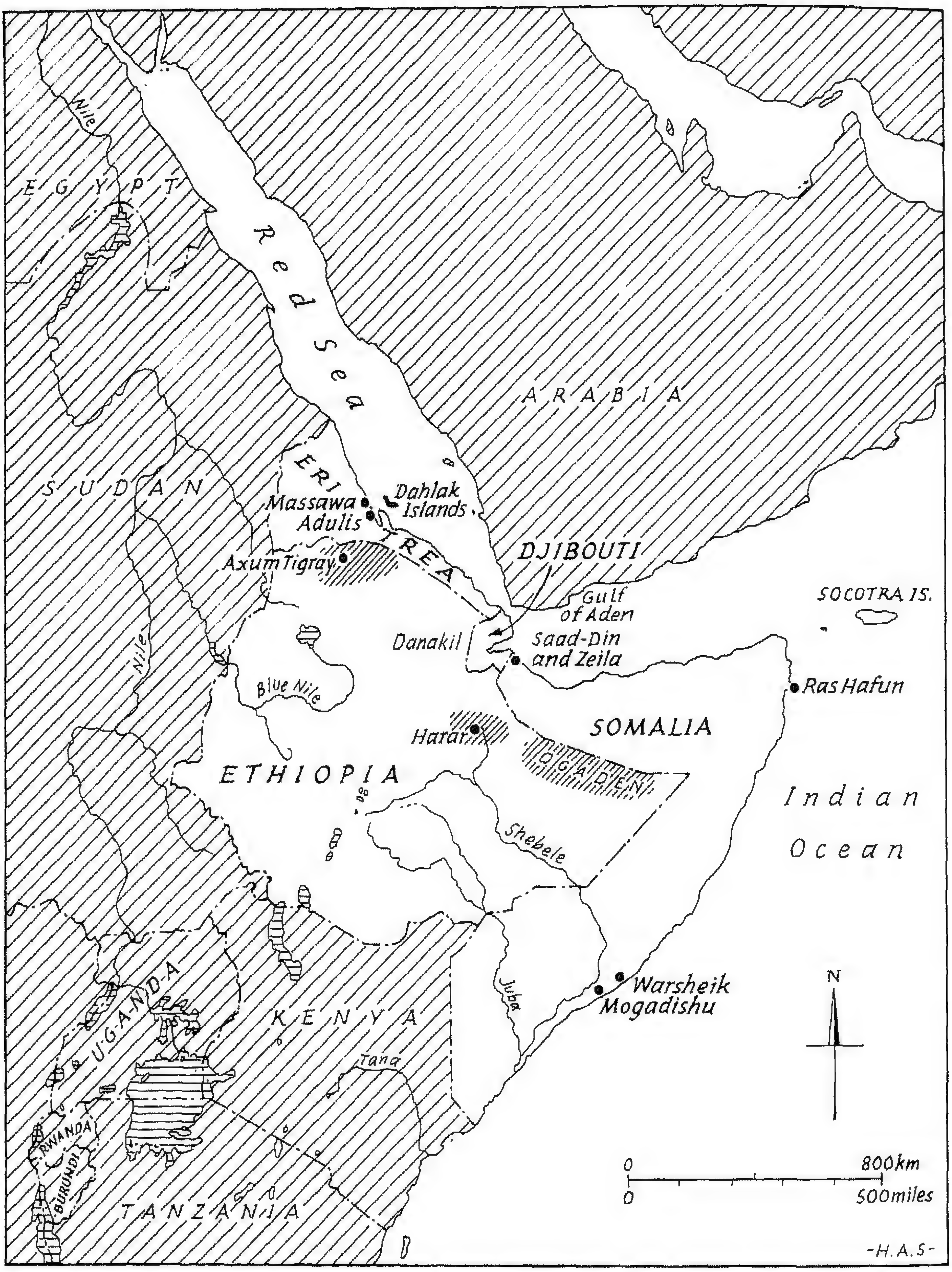


Fig. 1: The location fo the Dahlak Islands.

Dahlak Kebir, Eritrea: From Aksumite to Ottoman.

Timothy Insoll

Abstract. *A preliminary reconnaissance visit was recently made to the site of Dahlak Kebir in the Dahlak Islands, Eritrea. The archaeological remains which were recorded attested to the importance of the Dahlak Islands which appeared in historical annals around 100 B. C., and functioned as major entrepot of Red Sea trade and a staging point between Africa and Arabia during both Aksumite and Islamic periods. Various features were noted including tombs and cemeteries (both were previously investigated by other researchers), settlement areas comprising both settlement mounds and remains of a stone town, what appeared to be a harbour area, and numerous cisterns and tanks for storing water. Much of the surface area of the site was rife with archaeological material such as glass and stone beads, glass vessel and bracelet fragments, unglazed pottery of probable local manufacture, and Chinese and Islamic glazed pottery, tentatively dated to the medieval period (twelfth-fifteenth centuries A. D.). The visit to Dahlak Kebir allowed a number of preliminary observations about the site and its role in Red Sea trade. Of prime importance was the indisputable link between the growth of Dahlak Kebir and trade which was both local and international in focus. The potential for further archaeological research on this important site is thus indicated. After all, the site is a key location in reconstructing the mechanisms of Red Sea trade over time.*

Introduction

This paper outlines the results obtained during a brief exploratory visit recently made to the Dahlak Islands, Eritrea, to assess the feasiblity of conducting a long term co-opertive archaeological research project at the site of Dahlak Kebir. The country's present lack of full antiquities legislation (and consequently the absence of a formal research permit) has influenced the amount of work that could have actually been achieved. Nevertheless, these factors have not been disarming within the scope of this mission because it is observatory in nature, and for which a letter of introduction (obtained from the National Museum in Asmara) has been enough. In fact, the achieved results unexpectedly exceeded the original anticipations. All things considered, however, this paper should be regarded as a working note only.

Contemporary Situation.

The site of Dahlak Kebir is located on the Island bearing the same name, and is one of 209 islands which collectively form the Daklak Archipelago (Paice 1996: 106; Figure 1). Dahlak Kebir is the largest island (760 km^2). Rainfall is low; temperature is extreme, reaching up to 48^o Celsius during the months of summer (June - September). Consequently, vegetation on the island is sparse; where found, it is composed mainly of doum palm and acacia scrub. However, birdlife is abundant, and gazelle are still present.

The current inhabitants who live within the vicinity of the archaeological site of Dahlak Kebir are divided into two groups. In the upper village live the self-named Dahlak Afar. These number approximately 170 persons who, for their living, depend mainly on fishing and pastoralism. In the lower village, actually built amidst the ruins of the stone town and surrounded by settlement mounds, live the Dahlakin, who are described as the mixed people of the Islands, an amalgam of Arabs, Afars, and Persians (Idris Usman pers. comm.). This definition is broadly in accord with Tedeschi's (1969: 49) description of the Islands inhabitants as Muslims, Arab in origin, who speak a Tigre dialect. Over the centuries, trade ob-

Epigraphy, 6 (1): 62-65. Copenhagen.

Sedov, A.V., 1996. "Qana' (Yemen) and the Indian Ocean: Archaeological Evidence". In: **Tradition and Archaeology. Early Maritime Contacts in the Indian Ocean. Proceedings of the International Seminar Techno-Archaeological Perspectives of Seafaring in the Indian Ocean, 4th cent. BC- 15th cent. AD. New Delhi, February 28- March 4, 1994,** Ray H.P.and Salles J-F. (eds.)New Delhi/Lyon, Manohar: 11-35.

Sedov, A.V., 1998. **Moneti drevnego Hadramauta (The Coinage of Ancient Hadramawt).** Moscow, RosCentr.

Sedov, A.V., 'Aydarus, 'U. 1995. "The Coinage of Ancient Hadramawt: The Pre-Islamic Coins in the al-Mukalla Museum". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 6 (1): 15-60. Copenhagen.

Seyring, H., 1986. "Une question de numismatique greco-arabe". In: **Seyring H. Scripta Numismatica**. Paris: 7-10. Bibliotheque archeologique et historique, tome CXXVI.

Walker, J., 1937. "A New Type of South Arabian Coinage". **The Numismatic Chronicle,** VIII (5): 260-279. London.

Walker, J., 1948. "A mysterious South Arabian Coin Legend". **The Numismatic Chronicle,** VIII (6): 39-49. London.

Hill, G.F. 1922. **Catalogue of the Greek coins of Arabia, Mesopotamia and Persia,** London, The British Museum.

Irvine, A.K., 1964. "Some Notes on Old South Arabian Terminology". **Journal of the Royal Asiatic society,** pp 18-36. London.

Jamme, A., 1958. "The She'b edh-Dhaqab inscriptions". In: **Le Baron Bowen, R., Albright F.P. Archaeological Discoveries in South Arabia.** Baltimore, The Johns Hopkins Press: 143-147. Publications of the American Foundation for the Study of Man. Volume II.

Jamme, A., 1976. " A. K.Irvine's paper coinage and weight, and Ja 2873". In: **Jamme A. Carnegie Museum 1974-1975 Yemen Expedition.** Pittsburgh: 125-137. Carnegie Museum of Natural history. Special Publication no. 2.

Kubitschek, J.W., 1899. "Munzen". In: **Muller D.H. Sudarabische Altertumer im Kunsthistorisch Hofmuseum.** Wien: 67-78.

Le Rider, G., 1961. "Monnais grecques recemment acquises par le Cabinet des Medailles". **Revue Numismatique**, T. III, VIe ser., Paris: 11-13, pl. I, 6.

Mitchiner, M. 1985. "Unusual Early South Arabian Coins of the Himyarite-Katabaian Series". **Coin Hoards,** 7: 75-77. The Royal Numismatic Society, London.

Munro Hay, S.C.H. 1992. "The Coinage of Shabwa (Hadhramawt), and Other Ancient South Arabian Coinage in the National Museum, Aden". In: **Fouilles de Shabwa. II. Rapports preliminaires.** Breton J. - F., ed, Paris, Geuthner: 394-418.

Munro Hay, S.C.H., 1994. "Coins of Ancient South Arabia (1)". **The Numismatic Chronicle,** 154: 191-203. London.

Munro Hay, S.C.H., 1996. "Coins of Ancient South Arabia, II". **The Numismatic, Chronicle,** 156 : 33-47. London.

Munro Hay, S.C.H., 1997. "South Arabian Coins in a Private Collection (PC 1996)". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 8 (2): 230-240. Copenhagen.

Munro Hay, S.C.H., 1997a. "La monnaie dans l'Empire himyarite". In: **Yemen au pays de la reine de Saba'.** Paris, Flammarion: 197.

Nordbo, J.H. 1985. "En myntskatt fra Arabia Felix". **Norsk Numismatik Forening Nytt 1,** Oslo: 6-26.

Nordbo, J.H. 1987. "The First Arabic Coinage". **Araby** 1: 20-23. Oslo.

Oddy, A. 1998. "Two Putative Coin Hoards from South Arabia". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 9 (1): 131-136. Copernhagen.

Pirenne, J., 1990. **Les temoins ecrits de la region de Shabwa et l'histoire.** Paris, Geuthner. Fouilles de Shabwa, I.

Potts, D.T., 1994. "Augustus, Aelius Gallus and the Periplus: A Re-Interpretation of the Coinage of San'a' Class B". In: **Arabia Felix. Beitrage zur Sprache und Kultur des vorislamischen Arabien. Festschrift Walter W. Muller zum 60. Geburtstage.** Nebes N., ed. Wiesbaden, Harrassowitz Verlag.

Robinson, E.S.G., 1948. "Greek Coins Acquired by the British Museum 1938-1948. I". **The Numismatic Chronicle,** III (6) : 48-55. London.

Schlumberger, G., 1880. **Le tresor de San'a (monnaeis himyaritiques).** Paris, Ernest Leroux.

Sedov, A.V. 1992. "New Archaeological and Epigraphical Material from Qana (South Arabia)". **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 3 (2): 110-137. Copenhagen.

Sedov, A.V., 1995. "Two South Arabian Coins from Mleiha". **Arabian Archaeology and**

8. The exact meaning of symbols and monograms occurring on South Arabian coins and its relation to this or that deity, or dynasty, or ruler is a highly disputed question, althogh some of such signs are recordered also on South Arabian votive and architectural inscriptions, stelae and every-day objects. Only in a few cases such correlation could be established with certainty (cf. still the best work on this subject: Grohmann 1914).

9. D. T. Potts in the recently published article argued ((a Flavian date for arrival of Augustan models in South-Arabia)) (Potts 1994: 212-222).

10. Usually this symbol is considered to be a variation of the symbol of Ilmaqah (Grohmann 1914: 6-17), but one should take into consideration that practically all stelae from Awwam temple bore its "oblong" variant, which very rarely appeared on the carvings and inscriptions from other places. Thus, it could be assumed that the so-called "twisted oblong symbol" pertains to Awwam temple in the Marib oasis, which was dedicated, as we know, to Ilmaqah, the "federal" deity of Saba'.

11. See also the find of copper fraction ((series with "Bucranium")) in the 4th - early 7th centuries AD strata in Aksum in 1958 (Contenson 1963: 8, Pl. XIVe).

12. In fact, Sumhuram is a suitable royal name for Hadramawt (cf., for instance, the Hadrami rock inscription 'Uqayba 5 from the Shabwa region where a certain Sum[hu]ram 'Alh [an], *mukarrib* of Hadramawt [*s¹ m[h]rm 'lh[n]mkrb hdrmt*] is mentioned: Pirenne 1990: 53-54).

References

'Abdullah, Yu.M., Galeb, 'A.O., Sedov A.V. 1997. "Early Qatabanian Coinage: the as-Surayrah Coin Hoard". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 8 (2) : 203 - 229, Copenhagen.

Albright, F.P. 1982. **The American Archaeological Expedition in Dhofar, Oman, 1952-1953.** Washington DC. Publications of the American for the Study of Man. Volume VI.

Andreev, M.S., Chehovich, O.D. 1972. **Ark (kreml') Bukhari v konce XIX - nachale XX vv.** Dushanbe, Donish.

Avanzini, A. 1997. "L'hegemonie qatabanite". In: **Yemen au pays de la reine de Saba'**. Paris, Flammarion: 98-102.

Avanzini, A., Bafaqih, M., Batayi ', A., Robin, Chr. 1994. "Materiali per il corpus qatabanico". **Raydan. Journal of Ancient Yemeni Antiquities and Epigraphy,** 6: 17 - 36. Louvain.

Beeston, A.F.L. 1962. **A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian.** London, Luzac.

Beeston, A.F.L., Ghul M.A., Muller W.W., Ryckmans J. 1982. **Sabaic Dictionary (English-French -Arabic).** Louvain-la-Neuve/Beyrouth, Editions Peeters/Librairie du Liban.

Biella, J.C. 1982. **Dictionary of Old South Arabic. Sabaean Dialect.** Harvard. Harvard Semitic Studies, no. 25.

Contenson H., de 1963. Les fouilles a Axoum en 1958. Rapport preliminaire. **Annales d'Ethiopie,** T. V., Paris: 1-40.

Davidde, B. 1992. "Le monete di 'Amdan Bayyin Yuhaqbid rinvenute nelle tombe di Harabat al-Ahgar, presso Waragah (Damar)". In: **Yemen. Studi archeoligici, storici e filologici sull'Arabia meridionale,** 1: 41 - 54. IsMEO, Roma.

Davidde, B. 1995. "Observation on 29 silver coins from the Bagil hoard". **Arabian Archaeology and Epigraphy,** 6 (4) : 246-258. Copenhagen.

ملخّص: إن المسكوكات النقدية، التي اكتشفت حديثا في الحفريات الآثارية، وفي مجموعات المتاحف، أعانت في رسم صورة أولية عامة عن المسكوكات، في الممالك العربية الجنوبية، مع ابداء بعض الملاحظات العامة عليها. فأصبح باستطاعتنا، الآن، أن نضع بعض التعريفات الأكثر دقة؛ مثل النقد القتباني، والنقد السبأي، والنقد الحضرموتي، والنقد الحميري. وتعود بدايات التداول النقدي في جنوب الجزيرة العربية، إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد؛ حيث كانت قتبان هي المملكة، التي بدأت ضرب قطع عملتها "الوطنية". ومنذ البداية الأولى، تأثر سك العملة في ممالك جنوب الجزيرة العربية، تأثراً عميقاً بالعملة الاثينية؛ حتى إن القطع ذات الصور المحلية، لم تبدأ بالصدور قبل القرن الثاني قبل الميلاد. وقد سجلت وحدات نقد جزئية، ضربت من الفضة والنحاس، في سبأ ، وحضرموت، وحمير. إلا أن سك العملة المحلي في جنوب الجزيرة العربية، توقف مع أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع الميلاديين. ومن المحتمل أن الإصدارات السابقة بقيت قيد التداول، إبان أواخر القرن الميلادي الرابع ، وأثناء القرن الميلادي الخامس.

Notes

1. Probably part of such work was done already by S.C.H.Munro Hay, whose book Coinage of Arabia Felix was announced several years ago as to be published in 1998 by the Staatliches Museum fur Volkerkunde, Munchen, but has not yet appeared.

2. As a good parallel see, for instance, the description of the 19th century castle (*the ark*) of emir of Bukhara, where gold, silver and copper coins were struck at the mint (*sikkakhona*) located in the royal residence (Andreev, Chehovich 1972: 72).

3. The so-called "Minean coinage" (Hill 1922: 75) is not the subject of the present study as well as coinages of other small kingdoms in the Wadi al-Jouf. Despite the fact that single imitations of Alexander's tetradrachms found in Arabia were previously considered as the coinage of the Kingdom of Ma'in or certain Minean rulers, such attribution still needs justification. Recent comprehensive study of imitations of Alexander's tetradrachms from Arabia made by D.T.Potts allows the attribution of these series to the eastern part of the peninsula (Potts 1991).

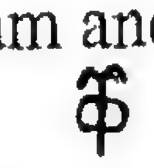
4. Among six big imitations of Athenian tetradrachms acquired in Yemen by Mordtmann and Glaser at least two must be attributed to (1) a genius Athenian issue with countermarks (Berlin Munzkabinett, no. 474/1886) and (2) an "oriental imitation" (Berlin Munzkabinett, no. 183/1886); four others must be identified as Qatabanian "tetradrachms" (Berlin Munzkabinett, nos. 184-187/1886) (Kubitschek 1899: 76). About other acquisitions of genius Athenian tetradrachms in Yemen, see Hill 1922: lxxx; Munro-Hay 1996: 33-34, pl. 12, 1-2. See also, the note of G. Schlumberger about the genius Athenian tetradrachm of the "old style" countermarked on the obverse by the South Arabian letter 𐩬 = *n*, which he saw "au bazar de Constantinopole" (Schlumberger 1880: 22).

5. It is usually accepted that the word of bitt/blt appearing in several Sabaean inscriptions (cf. CIH 376, CIH 73, RES 4765, Ja 624, Gl 1533=Ja 2855) must be translated as ((coin/coins)) (Beeston 1962: 42, 54-55; Biella 1982: 43-44; Beeston et al. 1982: 29). Etymologically the South Arabian term might be connected to Greek παλλάς/παλλάδες, which in 5th - 4th cent. BC was used as a designation for the Attic tetradrachms with the head of the goddess Athena Pallada on the obverse (Irvine 1964: 22-23; but cf. Jamme 1976: 125-137 who strongly rejected both etymology and translation).

6. See, for instance, inscriptions Ja 405, Ja 2361 (Jamme 1958: 143-147), MuB 36, MuB 525 (Avanzini et al. 1994: 19-20, 32).

7. M. Macdonald strongly rejected the identification of script of the legend as "Aramaic" or "Lihyanite" (pers. com.).

nian coin with a male head with curly hair on the obverse and a male head with a "chignon" on the reverse. Only few differences must be pointed ont: The name of Rydan (*rydn*) in the exergue on the reverse denoting the royal mint, different monograms and symbols, and the "arabisized" style of the head with a "chignon" (cf. France Bibliotheque Nationale, Cabinet des medailles, no. Y. 19184). The year 115 BC or, alternatively, 110 BC may mark not only the beginning of the so-called Himyarite era but also the starting point for the new coinage.

Rather soon, and again as in Qataban, the early type of Himyarite coinage was replaced by a "series with two heads": Sometimes accompanied by a monogram, the obverse displayed a beardless male head with "South Arabian hair-style", probably the king's portrait. The reverse showed a similar but smaller head supplemented by the name of Raydan (*rydn*) in the exergue, king's name on round top, another monogram and/or kind of symbol of ruling dynasty () on either side. Variations of the same series even borrowed the sign () from the late Qatabanian issues (Hill 1922: lxiv-lxxix).

The following king's names are known from the coins' legends: Karibil Yuhan'im (*krb'l yhn'm*),'Amdan Yuhaqbid (*'mdn yhqbd*), 'Amdan Bayan (*'mdn byn*), Shamnar Yuhan'im (*s2mnr yhn'm*), and Tha'ran Ya'ub (*t'rn y'b*). The coins of smaller denomination sometimes showed a monogram instead of a head on the obverse, and a short king's or mint-name Ya'ub (*y'b*), Watar (*wtr*) or Na'am (*n'm*) in the exergue on the reverse. Himyarite pieces unlike the Qatabanian ones were usually very scyphate.

Almost all names occurring in the coin legends could be related to Himyaritic rulers of the 1st through the 2nd centuries AD known from the South Arabian inscriptions. It is quite certain, for instance, that coins with the names of 'Amdan Yuhaqbid and 'Amdan Bayan were struck by one person, namely 'Amdan Bayan Yuhaqbid, king of Saba' and dhu-Raydan (c. 80-100AD). On the other hand, these coins are very numerous, and this fact may indeed indicate that they enjoyed a high popularity without any iconography changes during the reigns of several Himyarite rulers of the 2nd century AD. Coins with the name of Tha'ran Ya'ub are associated with Tha'ran Ya'ub, king of Saba' and dhu-Raydan, who probably reigned in the late 2nd or early 3rd centuries AD. It appears that these pieces were the latest in the Himyarite "pre-Imperial" coinage bearing the king's name.

The lack of "federal" Himyarite issues of the late 3rd and 4th centuries AD, i.e. the period of Himyarite Empire, is rather striking. Probably from this period the British Museum possesses three bronze coins with portrait of a ruler and Himyarite monograms and royal sign on the obverse and reverse respectively, but it is not clear who struck these coins (The British Museum, nos. 1929-11-7-2, 1929-11-7-3,1929-11-7-4). We cannot exclude the possibility that they repersented a coinage of a local tribe or tribal federation (*s^2'b*). Archaeological contexts of the 3rd and 4th centuries AD produced a huge number of coins registered as ((small crude copper fraction of series with "Bucranium")) (Sedov 1998: 152). Apparently, the Himyarites borrowed the late Sabaean type for the internal use, while Axumite gold coins probably substituted the currency for international trade (Munro Hay 1997a: 197).

Prof. Alexander V. Sedov Head of the Department of Ancient East Studies, Institute of Oriental Studies, Russian Academy of Sciences, Rozhdestvenka str., 12 Moscow 103753 Russia. e-mail: sedov@sed.msk.ru

reasons was not mentioned in the inscriptions[12]. Following a second interpretation, we have to come to the conclusion that series with winged caduceus on the reverse was a local coinage, and the pieces were minted, for instance, in Sumhuram/ Sumuram, the Hadrami daughter-city on the coast of Dhofar (Sedov 1998: 70-75).

Around the early 1st century AD, Yashhur'il Yuhar'ish, son of Abiyasa', *mukarrib* of Hadramawt, started a completely new type of coinage. It is the well-known coins with the male head facing right (most probably, the oprtrait of *mukarrib*), a large letter 𐩣 = m (reversed) and the name of the "federal" deity Sayin (𐩪𐩺𐩬 = s'yn) on the obverse, and on the reverse an eagle with open wings (undoubtedly the manifestation of Sayin) and two names, Shaqar (*s^2qr*) and Yash(a)h 𐩺𐩪𐩠 = ys'h. Coins of this type were cast in a mould. They varied in size, and their weight presumably depended on the coin's value (three denominations could be distinguished) (Walker 1937: 260-263; Munro Hay 1992: 399-400; Sedov, 'Aydarus 1995: 19-21). There is some evidence that at least some of the coins of this type were minted not in copper, but in billon (Sedov 1995: 62-63). Images on both sides showed strong Roman influence, and the biggest coins usually had very clear representations and legends. In contrast, the images of small denominations were sometimes completely "decomposed": Often one could only recognise the big letter 𐩣 = *m* and something similar to the head on the obverse. The eagle on the reverse was converted into a kind of chicken and the legends disappeared almost completely.

The appearance of the most common types of Hadramawt coinage (1. small square copper coins with the name of Shaqar (*s^2qr*) on the obverse, and a bull's head and name of Sayin (*s^1yn*) on the reverse, and 2. coins with radiate head on the obverse, and a bull standing on line accompanied with legend Shaqar (*s^2qr*) on the reverse) could also be associated with Yashhur'il Yuhar'ish, son of Abiyasa', *mukarrib* of Hadramawt. There is plenty of evidence that bull was the animal manifestation of Sayin, the "federal" deity of Hadramawt.

The next type of Hadramawt coinage showed a radiated head facing left with the letter *alif* in front of the face on the obverse. The reverse bore a bull standing to the right, and two names, Shaqar (*s^2qr*) and Sayin (*s^1yn*), in the legend. As to the question of who minted these coins, some Hadramawt inscriptions of the 1st century AD mention'Ili'adh Yalut, son of Yada''il, king of Hadramawt. He is attested to in the texts from both Khor Rori (ancient *Sumhuram/ Sumuram*) and Shabwa, and was, most probably, Eleazos, king of the "frankincense-bearing land" in the *Periplus Mare Erythraeum*. 'Ili'adh Yalut, son of Yada''il, King of Hadramawt, was one of the successors of Yashhur'il Yuhar'ish, son of Abiyasa ', *mukarrib* of Hadramawt, and his reign probably lasted up to the third quarter of the 1st century AD. The *alif* letter could be the initial letter of his first name.

The stratigraphy of coin finds at Bir ' Ali (ancient *Qani'*) as well as the tentative deciphering of the obverse and reverse monograms allowed us to associate other series with a bull on the reverse with various Hadramawt kings ruling in the 3rd century AD. The monograms seem to denote rulers' names, and such coins were very common in the strata of the "middle" (BA-II) period at Bir ' Ali settlement (ancient *Qani'*) which dated between the late 2nd and late 4th centuries AD. It seems that Hadramawt royal coinage came to an end around the last quarter of the 3rd century AD, but undoubtedly the pieces continued to circulate in the territory of the former independent kingdom in the 4th and even in the early 5th centuries AD (Sedov 1998: 81-85).

The coinage of Himyar.

The Himyarite Kingdom seems to have started its mintage in the late 2nd century BC copying in detail the contemporary Qataba-

for their coinage a standard which, since Kubitschek's and Hill's publications, was considered rather similar, if not identical, to a weight system common in Persia and Asia Minor, and was based on a drachma of 5.6 gm (Hill 1922: lxxix-lxxx). We can suppose that such a standard was close to the local, Sabaean weight system. In addition, there is evidence for the existence of gold and copper issues of the Sabaean imitations of the "new style" (Munro Hay 1992: 402). The weights of the coins of the so-called ((series with "Bucranium")) are very irregular ranging, according to Hill, from 0.30 to 3.63 gm. It gives no clear idea on a fixed standard but can perhaps be related to the weight of Neronian denarius (Hill 1922: lxxxi). Both silver and copper fractions of "series "with "Bucranium" were struck.

The coinage of Hadramawt:

As is the case in other South Arabian states, the first coins minted and circulated in Hadramawt were imitations using Athenian tetradrachms as models. Pieces of the so-called ((series)) according to Hill's classification might be considered as the earliest samples imitating, probably, Attic coins from the time of Philip II and Alexander the Great. Early Hadramawt imitations were minted in silver and copper in several denominations following, as was the case in Sabaean coinage, the local weight standard with the highest denomination close to 5.6 gr. The Hadrami letters ᛘ =*n*, ᒥ =*g*, x =*t* and ⦚ =s^2 were placed, usually reversed, on the Athena's cheek to mark coin values of a whole, half, quarter and one eighth denominations (it seems there were no copper coins with the letter ᒥ = *g* as a value mark). Doubtless the copper coins were struck using the same dies as the silver pieces.

It seems that early Hadramawt imitations were minted for quite a long period of time: While the earliest samples kept very accurate legend and faithfuf style of image, comparable to the Greek models, the later issues bore images with various degrees of debasement in legend and representations. With those, one could barely recognise Athena's head on the obverse and a crude outline of the owl with only traces of the first and last letters of the legend on the reverse.

The early Hadramawt imitations were replaced by another type of coinage the obverse of which bore a male (?) head facing right instead of the head of Greek goddess. Its reverse still showed an owl facing left or right, but pseudo-Greek legend was replaced by a Hadrami one with the name of Shaqar)ϕ⦚ = s^2qr, the name of the royl residence in Shabwa, and most probably denoting the royal mint as well.

For several reasons, one is very tempted to consider the beginnig of the Hadramawt coinage to have started with the names of Shahr ' Alhan, son of Yada "il, king of Hadramawt (*c.* 360-345 BC), and his successors Yada "il Bayan, son of Sumhuyafa' (*c.* 345-340 BC) and Ilsama' Dhubayan, son of Malikkarib (*c.* 340-325 BC)known from inscriptions RES 2778=M 30 and RES 3869.

Around the late 1st century BC the type of Hadramawt coinage was completely changed, probably, under the influence of the late Hellenistic Mediterranean coinage. A radiated male (?) head appeared on the obverse perhaps representing a Hadrami solar or lunar deity (cf. representation of Helios in Hellenistic and Roman coinage). The reverse showed a winged caduceus, the symbol of god of trade in Greek and Roman mythology, accompanied with the name of Shaqar (*s^2qr*) and a monogram ( ) which can be deciphered as a name of Sumhuram (*s^1mhrm*). The possible interpretation of the monogram could take one of two ways: (1) as a part of the name of Hadrami ruler who struck the coins, or (2) as a mint-name. In the first case we can suppose that around the late 1st century BC (the most probable date of the coinage) Hadramawt was under the rule of a certain Sumhuram who for some

in pairs, of which the specific relation to coins is not yet clear (they might be considered as mint-names or signs of a kind of magistrates)[8].

The oldest type of Sabaean coinage was minted from the second half of the 4th to the late 2nd - early 1st centuries BC, then to be replaced by a completely new issues known as the imitations of the "new style" Athenian coinage. The flan of the new coins becomes larger and thinner than the old ones. The obverse bears now a beardless male head with what is called the "South Arabian hair-style" wearing a diadem. It might be the representation of a king or a god. It is quite probable that the image on the obverse was influenced by the well-known representation of Apollo's head on the Egyptian seals of the 2nd century BC. The reverse shows an owl sitting on a lying amphora as was the case on Attic coins of the "new style". It is accompanied by a value-mark, a South Arabian monogram, the pseudo-Greek legend AOE with wrongly rendered characters (one can presume that the inscription has lost its real meaning and become a purely decorative one), and symbols of Sabaean mukarribs and of Ilmaqah. In the latest issues roughly dating from the mid-1st century BC the legends and symbols of Sabaean mukarribs have disappeared being replaced with pairs of South Arabian monograms except for the symbol of Ilmaqah which remains unchanged (Hill 1922: liv-lxii).

The last issues of the series described above shows the obvious Roman influence reflecting the establishment of close commercial and political ties between the Roman Empire and the Sabaen Kingdom. A portrait very similar to that of the Roman emperor Augustus Caesar or one of his successors now replaces the obverse male head with "South Arabian hair-style"[9]. The reverse still bears an owl sitting on the amphora associated with pairs of South Arabian monograms and symbol of Ilmaqah. It has been suggested that the mintage of these coins is inspired by the military campaign of Aelius Gallus against Arabia Felix in 26/25 BC indicating the Roman penetration into the region. The coins are limited in number and can be dated to the period immediately following the event. We cannot exclude the possibility that again shortly thereafter the coins bearing the head with "South Arabian hair-style" replaced the coins with "Augustan head". The assumption is based on a silver coin with the "South Arabian hair-style" head on the obverse, which was struck over the "Augustan head". (now in Paris, Bibliotheque nationale de France, Cabinet des medailles, inv. no. Delepierre 3001).

It appears that Sabaean coinage with an owl on the reverse was minted until the early 1st century AD when the Kingdom was absorbed into a new state whose rulers bore the title "kings of Saba' and dhu-Raydan" and struck the coins denoting below as Himyarite coinage.

The revival of independent Sabaean state fell on the early 2nd century BC, and changes in political and economical situation were reflected by the introduction apparently at that time of a new type of coinage characterised by strictly indigenous elements - the so-called "series with "Bucranium" " (Hill 1922: lxii-lxiv). The obverse showed now a beardless male head with "South Arabian hair-style", rather similar to the previous series, flanked with two symbols of Sabaen deities, Ilmaqah ( ) and Athtar ( ). The reverse bore an antelope head with long lyre-shaped horns and plume between them, probably an animal manifestation of Ilmaqah, flanked by a monogram and symbol of Awwam temple ( )[10], the principal temple of Sabaean folk in Marib oasis devoted to the "federal" deity. According to stratified coin finds from Bir 'Ali settlement (ancient *Qani'*), the "series with "Bucranium"" was circulated until the end of the Kingdom in the second half of the 3rd century AD (Sedov 1998: 148-149)[11].

It seems very likely that Sabaeans used

two male heads, surely the king's portraits - on the obverse, and, smaller, on the reverse. The reverse bore on round top the name of the ruler who struck the coins, the name of the royal residence and mint Harib (*hrb*) in the exergue, sometimes different monograms and/or letters, and symbol . The following names of kings were known from the coins' legends: Yad'ab Yanuf (*yd''b ynf*), Shahr Hilal (*s²hr hll*), Dhamar'alay Dhubayan (*dmr'lydbyn*), Waraw'il Gaylan (wrw'l gyin) denominations of this series showed a head with curly hair on the obverse, smaller male head and king's or mint-name Yuhabir (*yhbr*) in the exergue on the reverse. Unfortunately, it is rather hard to correlate the above mentioned names with the Qatabanian rulers known from inscriptions.

The weights of the late Qatabanian issues are so irregular and the number of known pieces is so small that it is hard to come to any conclusion about their standard. There is no evidence for the existence of Qatabanian copper coins.

There are three groups of coins which can be identified as Qatabano-Sabaean and Sabaeo-Qatabanian series: They either show a combination of both Qatabanian and Sabaean features or bear the name of a Qatabanian (?) ruler.

The Qatabano-Sabaean series consists of the issues struck according to the Sabaean weight standard (see below). its obverse bore a male head with curly hair facing to the right, and reverse - an owl in more upright position than on pure early Qatabanian or Sabaean pieces flanking by a pair of monograms (Hill 1922: 52). The image on the obverse is iconographically very close, nearly identical, to the pieces which I tentatively identify with Yada''ab Dhubayan Yuhargib, king of Qataban (*c.* 155-135 BC.), while the reverse strictly resembles some series of Sabaean coinage (see below) although the monograms are not attested to in it.

The Sabaeo-Qatabanian series consists of Sabaean "old style" and "new style" imitations bearing a legend in cursive script on the reverse which was formerly identified as "Aramaic" or "Lihyanite" ( )[7]. The reading and interpretation of the legend have raised many questions and prompted numerous theses. Generally, it is identified as the name of a Qatabanian king, a certain Shahr Hilal, but there is no understandable reason why the Qatabanian royal name written on Sabaean coins and in such a script, "Aramaic" or "Lihyanite." One may say that the coin of such features was probably used in order to facilitate trade with the people who were accustomed to it (though those people were definitely not Sabaeans) (Hill 1922: lii-liv; Walker 1948: 39-49).

In any case, we may suggest that the existence of both series (one with Sabaean typological features but with the image of Qatabanian ruler on the obverse, and the other with the name of Qatabanian king on the reverse of Sabaean coins) reflects a kind of political subordination or suzerainty of the South Arabian kingdoms, when Qataban dominated the big part of the pre-Islamic Yemen (Avanzini 1997: 98-101).

The coinage of Saba'.

The Sabaean coinage is characterised by four different typological series of which three show both Athenian and Roman influences in their iconography. The oldest coin type can be considered an accurate imitation of the Attic coins of the so-called "old style" although smaller and lighter than the Qatabanian ones. The Sabaean letters on the obverse distinguished coin values. There are more characteristic features on the reverse of the oldest type of Sabaean coins: The appearance of the two symbols ( ) indicating the political and religious power of the Sabaean *mukarribs* of the 5 th - 4 th centuries BC, the symbol of Ilmaqah, the "federal" deity of Saba' ( ) as well as different South Arabian monograms, sometimes

the most widespread in antiquity. They were highly esteemed for the regularity of their weight, the quality of their alloy, and the continuity of their issue. To put it briefly, they had become a sort of international currency that represented a certain economic stability. For this reason, it is very likely that societies dependent on long distance trade like the South Arabian kingdoms of Qataban, Saba' and Hadramawt introduced for their local and, probably, international trade a coinage that was equally well-known and appreciated at international market places, and that existed alongside traditional barter.

The coinage of Qataban.

Qatabanian coinage was probably the earliest in pre-Islamic Yemen. Its oldest coins can be considered highly accurate imitations of the Attic pieces. Their obverse bears the head of Athena with lozenge or triangular eye, circular earring and helmet adorned with olive leaves, while on the reverse we find the owl with large globular eyes, the lunar crescent and olive-spray on the top left and Greek legend ΑΘΕ on the right downwards. South Arabian letters ĥ/ĥ = *k*, ᒧ = *n* and Γ = *g* were added on Athena's cheek to distinguish different values. The "nationality" of the early coins or, probably better to say, their royal mint was marked by the monogram on the reverse Ѱ identified from the inscriptions as the royal Qatabanian monogram [6].

It seems likely that the "Qatabanian owls" were based on the weight system, which was rather close to the Attic standard for coinage. Their weights were very close to those of Athenian tetradrachms (from 16.0 gm to 18.0 gm for pieces without South Arabian letter on Athena's cheek), didrachms (from 7.2 to 8.7 gm for pieces with letter ĥ/ĥ = *k*), drachms (from 3.8 to 4.1 gm for pieces with letter ᒧ = *n*) and hemidrachms or triobols (from 1.8 to 2.0 gm for pieces with letter Γ = *g*). On the other hand, we cannot exclude the possibility that such a coincidence was accidental, and in fact, the weight system of Qatabanian coins was purely local, although we do not know anything about it from other material, least of all from known inscriptions. Such heavy valuated coins as Qatabanian "tetradrachms", "didrachms" and "drachms" might have been used for both international commerce and local transactions.

Probably around the early 2 [nd] century BC Qatabanian imitations of Athena, at least the pieces of "hemidrachm (triobol)" denomination, were replaced by a type with local iconography. The image of the Greek goddess on the obverse was changed into a diademed male head (portrait of a local ruler?), and two monograms now accompanied the owl on the reverse - Qatabanian royal monogram e on the right and an additional one, m, on the left.

Changes on the next "hemidrachm (triobol)" issues were more drastic. The obverse now bore a bearded male head with curly hair, and the owl on the reverse was replaced by a "hellenized" male portrait with hair in "chignon" accompanied by the royal monogram Ѱ , letter x = *t* and symbol 凸 . The ruler who made those changes put his name Yada' 'ab (*yd''b*) and his title "king of Qataban" (*mlk qtbn*) or "king of Qataban set up" (*mlk qtbn s* [2] *ym*) on the obverse and reverse of the coins. It is very tempting to identify him with Yada''ab Dhubayan Yuhargib, king of Qataban (*c.* 155-135 BC.), a king also known from inscriptions (there is a unique piece with preserved remains of the letters]ПH = *ḏb[* in the legend which might be considered as initial letters of the second name of the king) ('Abdullah et al. 1997: 227). Most likely, the same ruler also replaced the royal monogram by the name of Harib (П)Ψ = hrb) in the exergue on the reverse of his latest series (Hill 1922: 52).

The latest known Qatabanian issues were pieces, sometimes slightly scyphate, with

age is the most disputed question. For early imitation issues we have, at least, the *terminus post quem*, but the dating of the pieces with local iconography is very uncertain. There are no dates or other chronological indicators in the coin legends. There are very few iconographical features with well established chronology that can be compared with the elements of Hellenistic or Roman coinage. There are no coin hoards from south Arabia which have dated foreign issues in addition to the local ones. The names of rulers who issued South Arabian coins, where they do occur, are very rare, and it is difficult to correlate them with the rulers attested to in South Arabian inscriptions. Thus, the only means of arriving at an approximate chronology of South Arabian coinage is evidence of archaeology.

The Russian excavations at the Bir 'Ali Settlement (ancient *Qani'*) recovered a bulk of different Hadramawt, Sabaean and Himyarite issues in the strata which could be assinged to the three main archaeological periods. These have been dated by the presence of imported pottery, mainly of Mediterranean origin, and by other chronologically sensitive archaeological material (Sedov 1992: 110-137; 1996: 11-35). Thus, we have now the possibility to determine a general chronological framework for some of the South Arabian coins, particularly the Hadramawt and late Himyarite issues. However, at least two serious difficulties disqualify the precise use of this method: (1) the wide range given by pottery dating, and (2) according to the finds in controlled excavations, the custom of withdrawing old coins from circulation upon the introduction of new ones does not seem to be the practice in ancient Yemen.

The first coins in South Arabia.

The beginning of coin circulation in the Arabia Felix could be dated close to the late 5 th - early 4 th centuries BC, and probably it was closely relating to the commercial ties which existed at that period between South Arabia and the Mediterranean world. The first coins known to South Arabians were, no doubt, the Athenian tetradrachms of the so-called "old style" and their "oriental imitations". Several such pieces coming from Yemen were registered in public and private collections, and appeared on the illegal antiquity market in San 'a' [4]. In 1948 a hoard consisting of Attic tetradrachms and their "oriental imitations" including a unique coin of Persian satrap Tissaphernes was published as coming from near the town of Marash in ancient Commagena (south-eastern Anatolia). Many pieces in the hoard, and the coin of Tissaphernes among them, were countermarked on the reverse above the owl with a sign bearing a very strong resemblance to the South Arabian letter ꩫ = *k*. One piece from the hoard had an additional sign on Athena's cheek in the form of the South Arabian letter ꩰ = *b* shown in relief (i.e. the letter was not countermarked on the coin, but incised on the obverse die - a practice which became later very typical of South Arabian coinage). According to scholars, the genius Athenian tetradrachms from the hoard were minted between 475 and 400 BC, and the very early 4 th century BC was apparently the date when the entire hoard was buried (Robinson 1948: 48-55, pl. V. 6-8; Le Rider 1961: 11-13, pl. I. 6; Seyrig 1986: 7-10). It is very tempting to consider the above mentioned countermarked tetradrachms as the first coins being in use in South Arabia along with the pieces of purely Attic origin and their "oriental imitations" which were documented as belonging to the region.

The beginning of the minting in South Arabia.

Taking into account the type of the first coins used in the region, it is not surprising that the first coins minted in South Arabia typologically were deeply inflenced by the Athenian coinage [5]. Undoubtedly, the deliberate imitations of Attic coins were among

The Coinage Of Pre-Islamic Yemen: General Remarks

Alexander V. Sedov

Abstract. *The appearance of new numismatic finds, in both archaeological excavations and museum collections, now makes it possible to draw a general picture of the pre-Islamic coinage of South Arabian states. Naturally this is only a sketch with some general remarks. First of all, we can now use more precise definitions such as Qatabanian, Sabaean, Hadramawt and Himyarite coinage. The beginning of the coin circulation in South Arabia might be dated close to the early 4 th century BC, and Qataban was the kingdom where first "national" pieces had been struck. From the very beginning the mintage of South Arabian states was deeply influenced by Attic coinage, and pieces with local iconography started to be issued not before the early 2 nd century BC. Both silver and copper fractions were registered in Sabaean, Hadramawt and Himyarite coinage. The local mintage came to an end in South Arabia about late 3 rd - early 4 th century AD, but probably the previous issues continued to circulate in the late 4 th and 5 th centuries AD.*

The most important of the early numismatic studies on pre-Islamic South Arabian coinage was without doubt the 1922 British Museum *Catalogue of the Greek coins of Arabia, Mesopotamia and Persia* (Hill 1922: lxiv-lxxvii, 68-75). In preparing this fundamental volume G. F. Hill had studied all known South Arabian pieces from major European collections and publications. The new phase of South Arabian numismatic studies started in the 1980s and 1990s, when pieces from different regions of Yemen including several very important coin hoards surfaced in private and public collections or in the hands of coin dealers (Mitchiner 1985: 75-77;Nordbo 1985: 6-26; 1987: 20-23; Sedov, Aydarus 1995: 15-60; Davidde 1995: 246-258; Abdullah et al. 1997: 203-229; Munro Hay 1994: 191- 203; 1996: 33-47; 1997: 230-240; Oddy 1998: 131-136). At the same time numerous archaeological reports brought to light important numismatic finds, including those from Khor Rori (ancient *Sumhuram/Sumuram*), Shabwa, the capital of Hadramawt Kingdom, Bir 'Ali settlement (ancient *Qani'*), and sites in the Yemeni Highlands (Albright 1982: 90-92; Munro Hay 1992: 394-418; Sedov 1992: 110-137; 1998; Davidde 1992: 41-54). But till now there is no corpus that assesses purely numismatic aspects such as typology, iconography and weight together with historical and epigraphical studies[1].

Usually the numismatic material from South Arabia are classified in general terms as South Arabian coinage, but the more specific definitions like "Sabaean coinage", "Himyarite coinage", "Katabanian" or "Himyarite-Katabanian series", or "Hadramautic coinage" also occur (Hill 1922: lxiv-lxxvii; Walker 1937: 260-279; Mitchiner 1985: 75-77). In my opinion, the "national" coinage of the different South Arabian kingdoms can be defined more precisely. The presence of the names like Harib (*hrb*), Raydan (*rydn*) or Shaqar (*s^2qr*), the names of the royal residences in Qataban, Himyar and Hadaramawt, on the reverse of the coins can be considered as the names of the royal mints denoting at the same time the "nationality" of coinage, the mintage of different South Arabian states[2]. The so-called "twisted symbol" or "the club", and its "oblong" variation, the symbols of the "federal" Sabaean god Ilmaqah and its principle temple Awwam in the Marib oasis, and the "signs of Sabaean *mukarribs*" may have had a similar function on Sabaean coinage [3].

The chronology of South Arabian coin-

ISSN: 1319-8947 (pp 27 - 38)

ElMahi A, T. 1994 "Traditional wildlife conservation: A vanishing Tribal lore in the Sudan." In: Ahmed M. M., (Ed.) **Indigenous Knowledge for sustainable development in the Sudan.** Sudan Library series: 20: 81 - 114.

ElMahi A, T. 1996. **The wildlife of the Sudan in a historical perspective.** Beitrage zur Sudan Forschung: 6: Wein.

ElMahi A, T. 1996. **Paintings with guinea fowl: An early evidence of Snaring in the Sudanese Nile Valley".** Archaologie du Nil Moyen: 7

ElMahi A, T. 2000. "The Ibex Hunt in the Rock Art of Oman". **New Arabian Studies** vol. 5 Exeter University Press. England.

Fuller E. 1987 **Extinct Birds**. London.

Gallagher M. and Harrison D. 1988 "The small mammals of the sand". Special Report: 3, PP. 437-42. **Journal of Omani Studies.**

Gallagher M. and Woodcock M. 1994 **The Birds of Oman.** Quartet Books, London.

George, W. 1962 **Animal Geography.** Heinemann, London.

Godman E.M. 1937 **The Birds of British Somaliland and the Gulf of Aden.** Vol. I : London.

Grzimek B. 1988 **Grzimek's Animal Life Encyclopedia** Vol. 5. New York.

Harrison D. L. 1968 **The Mammals of Arabia: Garnivora, Hyracoidea, Ardiodactyla.** Vol. II, PP. 195-381, Ernest Benn LTD, London.

Harrison D. L. 1977. "Mammals obtained by the Expedition with a check-list of the mammals of southern Oman: the Special report: Flora and Fauna." **Jouranl of Omani Studies.**

Harrison D. L. and Bates P. J. 1991 **The Mammals of Arabia,** Zoological Museum Pubication. 2nd Ed, London.

Illies, J. 1974 **Introduction to Zoogeography,** Trans. W.D. Williams, Macmillan, England.

Jackli, R. 1980 Al-fan al-saqri fi Oman, **Al-Hasad**, Parts 9, 10, The Ministry of Culture and Heritage, Sultanate of Oman.

Jackli, R. (Unpublished report) "Rock Art in Oman. An introductory Presentation". The Ministry of Culture and Heritage, Sultanate of Oman.

Jung M. 1994 "A map of southern Yemeni rock seminar for the Arabian Art with notes on some of the subjects depicted." **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies:** 24.

Khan, M. 1993 **Prehistoric rock art of Northern Saudi Arabia.** Ministry of Education, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.

Laufer, 1926 **Ostrish egg-shell cups of Mesopotamia,** England.

Leroi-Gourhan, A. 1979 "The Evolution of Paleolithic Art. Scientic Hunters, Farmers, and Civilizations": **Old World Archaeology.** Scientific American. San Francisco.

Lewicki, T. 1974 **West African food in the Middle Ages.** Cambridge.

McHugh, W. 1974 " Late prehistoric cultural adaptation in Southwest Egypt and the problem of the Nilotic origins of Saharan cattle." **JARCE** XI. PP. 9-22.

Nayeem, M. 1995 **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula, Saudi Arabia.** Vol. I, Hidarabad, India.

Olsen, S. J. 1968 **Fish, Amphibian and Reptile Remains from Archaeological Sites.** Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Ethnology. Vol. 56. no. 2.

Petroleum Development of Oman 1990 **Oman's Geological Heritage,** Published by Petroleum Development, Oman.

Preston, K. 1976 "An introduction to the anthropomorphic content of the rock art of Jebel Akhdar." **Journal of Omani Studies :** 2, PP. 17-38.

Siegfried W. R. 1984 "Ostrich". In: Mason I., ed. **Evolution of Domesticated Animals.** Longman, London.

Smith, P. 1968 "Problems and possibilities of the prehistoric Rock Art of North Africa." **African Historical Studies.** 1. 1, PP 1-39.

Strabo, S. 1917 **The geography of Strabo.** Trans. Jones H. L 32: 1,2. London.

The administration of Aniquity and Museums 1975 **An introduction to the Archaeology of the Kingdom of Saudi Arabia.** Publications of the Ministry of Al Marif.

Ward, P. 1987 **Travels in Oman.** The Oleander Press LTD, England.

gations may reveal more substantial osteological and cultural evidence to render more solid answers to this issue.

Finally, this paper has highlighted a rock scene presenting the ostrich at Wadi Sahtan on the Jabal Akhdar in Oman. The paper has taken the description of the rock art graphic delineation to find a reasonable meaning to this rock scene. To this end, rock scenes are viewed as a series of snapshots. This approach by necessity assumes that a rock scene can be one single snapshot of a series of snapshots that actually represent the main theme of a particular activity that the artist had in mind when he depicted the scene. The ancient artist had chosen to depict a certain moment of activity from a wider temporally extended activity (cf. ElMahi 2000). In reality such chosen parts of temporally extended activities can instantaneously render a theme conceptualized by virtue of our common experience and shared knowledge of the nature of the activity, be it a horse racing on a track or an ostrich hunt.

Ali Tigani ElMahi **Department of Archaeology, College of Arts, Sultan Qaboos University, Muscat, Sultanate of Oman.**

ملخّص: موضوع هذا البحث رسم صخري، من منطقة وادي سحتن بالجبل الأخضر بعمان. ويمثل الرسم الصخري مشهداً لمجموعة من طائر النعام ، وفرسان على ظهور خيل وابل، وبعض الراجلة. وهذا المشهد يعد الوحيد الذي يمثل فيه طائر النعام في عمان. البحث محاولة لتفسير هذا الرسم الصخري، على أنه مشهد لصيد النعام. وفي سعي البحث لإثبات هذا التفسير، يستعرض اشكاليات دراسة عنصر الحيوان في الرسومات الصخرية، وسجل الرسومات الصخرية لهذا الطائر، وطرق صيده في كل من الجزيرة العربية وشمال إفريقيا. كما يبرز البحث بعض الجوانب الإحيائية والسلوكية عند هذا الطائر، في التأقلم والدفاع عن النفس. ومن ناحية أخرى، ينظر البحث للرسم على أنه يمثل مشهداً واحداً، من مجموعة مشاهد، ممتدة في نطاق زمني ومكاني ، اختار الفنان منها مشهداً واحداً فقط ليعبر به، عن ذلك النشاط الممتد. ويستعين البحث بأساليب صيد النعام في المجتمعات التقليدية، في كل من الجزيرة العربية وإفريقيا.

References

The Holy Qur'an: surah Al Ma'idah: 1-4

The Old Testament: The Book of Job (xxx, 29 & xxxi 13-18); micah (I, 8); and Isaiah (xxxiv, 13 & xii, 21).

Al-Qaysi, N.H. 1982 **Al-tabeah fi al-sher al-jahili. The nature in the Jahili poetry.** Aalam Al-Kutub, Beirut.

Al-Shahri, A. 1994. **Dhofar**. Dubai.

Anati, E. 1968. **Rock-Art in Central Arabia. The "Oval-Headed" People of Arabia.** Volume 1. Ouvrage publie avec le concours de la Fondation Francqui.

Anati, E. 1972. **Rock-Art in Central Arabia Corpus of the Rock Engravings.** Volume 3, parts I & II. Louvain-La-Neuve.

Anati, E. 1974. **Rock-Art in Central Arabia Corpus of the Rock Engravings.** Volume 3, parts III & IV. Louvain-La-Neuve.

Barfield, T 1997. **The Dictionary of Anthropology.** Blackwell Publishers. Oxford.

Brown L., Urban E. and Newman K. 1982 **The Birds of Africa** Vol. I. London.

Clarke C. 1975 "The rock art of Oman." **Journal of Omani Studies:** 1, PP. 113-122.

will start the pursuit and eventually the fleeing ostriches will end in the direction of another waiting group which in turn takes over the pursuit. Every group will be waiting for the ostriches in their flight. This organization offers each hunting group a break to rest and be ready to resume the pursuit again. In many cases, the fleeing ostrich will keep changing directions and circling around frightened by the presence of hunters in every direction. In this way the ostriches are eventually exhausted and overtaken by the horsemen. In fact, Laufer (1926: 14) maintains that Arab horsemen in hunting ostriches arrange themselves in relays to be able to overtake ostriches. Similarly, Lewicki (1974: 94) reports that on the borders of the western Sudan and the Sahara, horsemen use a comparable technique for hunting ostriches. The horsemen follow ostriches until the birds are completely worn out.

As has been mentioned before, horses cannot overtake ostriches without being changed by fresh ones at certain points in the pursuit. In such an organization of team pursuit, horsemen, camel riders and even men on foot can successively cover a portion of the hunt course. As much as this indicates the importance of relays in hunting ostriches, it also underlines the fact that ostriches cannot be hunted without such an organization. Therefore, the position of the horseman and the camel rider in the rock from Wadi Sahtan (Fig. 1) can possibly reflect a single phase of the ostrich hunt. The fact that any of the horsemen can expect the ostriches to come from any direction and to go in another unexpected direction during the pursuit, justifies the position of the two riding figures and the men on foot in the scene.

The presentation of ostriches in rock art brings into focus an important point. It is noticeable that the ostrich is only once presented in the rock art of Oman (cf. Preston 1976 & Jackli 1980). In comparison with other elements of the indigenous fauna, such as the Nubian ibex *Capra ibex,* the ostrich has a vague and a limited presentation. Yet it remains unclear why the ostrich has a restricted presentation in the rock art of the Oman! As far as the author is aware, records of zooarchaeology in Arabia contain no substantial osteological evidence of this bird. Although bits and pieces of ostrich's eggshells are generally encountered in archaeological contexts, the bones of this bird are rarely reported. In general, bird bones are seldom encountered in the archaeological context (ElMahi 1996: 63). The scarcity of osteological evidence of avi-fauna in archaeological deposits is justifiable. Birds have hollow bones and the weight of their skeletons is reduced. Accordingly, being light and hollow, osteological materials of avi-fauna hardly survive the many processes of destruction that usually overtakes bones in the archaeological context (Olsen 1968: 109). Rock art, therefore, is the sole source that offers indirect evidence on the ostrich, although the bird is an indigenous species of the Arabian Peninsula.

The limited presentation of this bird in the Omani rock art can perhaps rest on another likelihood; namely, the low ostrich poulation densities and the consequent restricted interaction (hunting) between man and these birds. The reports of early travellers in Oman may cast some light on the question of man/ostrich interaction. In 1775, Abraham Parsons visited Muscat and reported that ostrich-feathers were among the commodities brought by caravans overland (cf. Ward 1987: 8). Moreover, in 1816 James Silk Buckingham wrote about his visit to Muscat and mentioned the commodities brought from Zanzibar that included ostrich-feathers (cf. Ward 1987: 11). Until recent times, ostrich-feathers were in great demand in Mesopotamia, Persia, India and the Far East. Therefore, these reports may signify that ostrich-feathers were brought to Oman to be re-exported to those markets. The reports also indicated that there were no local markets of ostrich-feathers in Oman. It is conceivable that low population densities of ostrich on the one hand, and local demands for ostriches' feathers on the other hand, explain the situation. However, future investi-

fore, ostriches with flapping wings can be identified as being on the run or leaping away whether or not this action is caused by a sense of danger.

Second, the scene in question also exhibits a camel rider. It is not surprising that camels were equally involved in ostrich hunting. In Africa, some traditional societies (e.g. the Sudan) in ecosystems with similar environmental characteristics use camels in their pursuit of game. Up to the present, traditional hunting in many societies maintains methods and techniques similar in organization and function to those used in prehistoric times.

Third, this hunting scene is a realistic portrayal of form and movement. One may recall that the horseman and camel rider are portrayed facing the opposite direction the ostriches are facing. This position may give the impression that the riders are not pursuing the ostriches. However, on a closer look at the techniques of ostrich hunting by horse, one will realize immediately that this scene probably presents part or an episode of a hunting operation. To explain this we need to understand that ostrich hunting by horse cannot be done in one single pursuit or leg. This type of hunting is not simply a group of fast horses racing against ostriches to make a successful hunt. It takes more than that to run down a single ostrich. Perhaps the statement of Xenohpon when he accompanied the army of Cyrus through the desert along the Euphrates, in northern Arabia (Laufer 1926: 21), can support this argument. In his description of the area, he mentioned abundance of animals such as asses, ostriches, bustards and antelopes, which the horsemen of the army hunted. Further on, he reported that although the horsemen suceeded in hunting asses, they failed to capture an ostrich and that the horsemen soon desisted from the pursuit of ostriches. The ostriches outstripped them in their flight using their feet for running and raising their wings like a sail. This statement explains the fact that those horsemen lacked an adequate technique of ostrich hunting by horse and that they depended entirely on the speed of their horses, not knowing that ostriches can out-run horses. Ostriches are reported to run at a speed of 26 miles an hour (Godman 1937: 4). Therefore, to comprehend the technique of ostrich hunting by horse, we need to know also something about the ostriches themselves.

Ostriches are extremely keen-sighted birds and can detect danger when feeding much more readily than many antelopes in the same habitat (Brown 1982: 29). Also, it has already been mentioned that ostriches prefer open plains. In such a setting they seldom allow a person (riding or on foot) to approach within 500 yards of them before they take off (Godman 1937: 3). In an ecological sense their instinct of flight distance permits only 500 yards (the flight distance between prey-predator is a function of the prey's defense mechanism of survival) which enables the bird to out-distance any predator. Moreover, ostriches are known to outdistance horses over any period of time or space (Godman 1937: 4). They are also recognized for their incredible ability to go through thornbushes with great maneuvering speed. Moreover, if a predator chases ostriches, two or three young birds will split from the flock and feign injury by dropping their wings. Seeing an easy catch, their pursuer will follow them; once this happens, the young ostriches speed away taking their predator in away from the flock which flee to safety.

A bird with such abilities and in such environs cannot be outrun by a group of horsemen in one single leg or pursuit. What is the technique of ostrich hunting by horse? The method of hunting ostriches by horse rests on the simple fact that ostriches are usually circling around their home range. A home range can be a seasonal habitat for feeding, breeding, or a favourable habitat with good pasture. Taking into consideration the speed and the sharp eyesight of the ostrich, and its incredible ability of maneuvering in bushes, the horsemen are compelled to pursue ostriches in relays. The hunters organize themselves into teams or groups, each consisting of one or two individuals. The groups are scattered in different directions. One group

opment in the techniques of pursuing this bird. It is preceded by techniques involving men on foot armed with spears or using various types of traps. Nonetheless, the ostrich hunt involving the horse and other animals of burden such as the camel must have been more effective than earlier methods. Ostrich hunt by horse or camel is a collective effort and depends on the number of hunters. Along with the horse, men on foot can also contribute effectively in the ostrich hunt since the hunt's basic technique aims at exhausting and wearing down the pursued ostriches.

Discussion

As mentioned previously, the rock scene from Wadi Sahtan (Fig. 1) presents three birds and three anthropomorphic figures, one on horseback, another on a camel, and one on foot. The three birds are facing the opposite direction the men are facing. What is visible on the outer surface of the arrangements of figures made by the artist bears on designative properties of an ostrich chase. Understanding traditional methods of ostrich hunt and the ostrich's reaction to danger may throw some light on this rock scene and offer an explanation. The following argument identifies the rock scene of Wadi Sahtan (plate 1) as an ostrich hunt.

First, it is noticeable in this scene that the ostriches are presented with their wings spread (cf. Fig. 1). It is known that ostriches flap their wings when they are leaping away. The wings in fact serve as a rudder especially when the bird changes its direction and runs in zigzags or makes shrap turns. Xenophon reported that ostriches in northern Arabia used their wings like a sail while running (cf. Laufer 1926: 21). There-

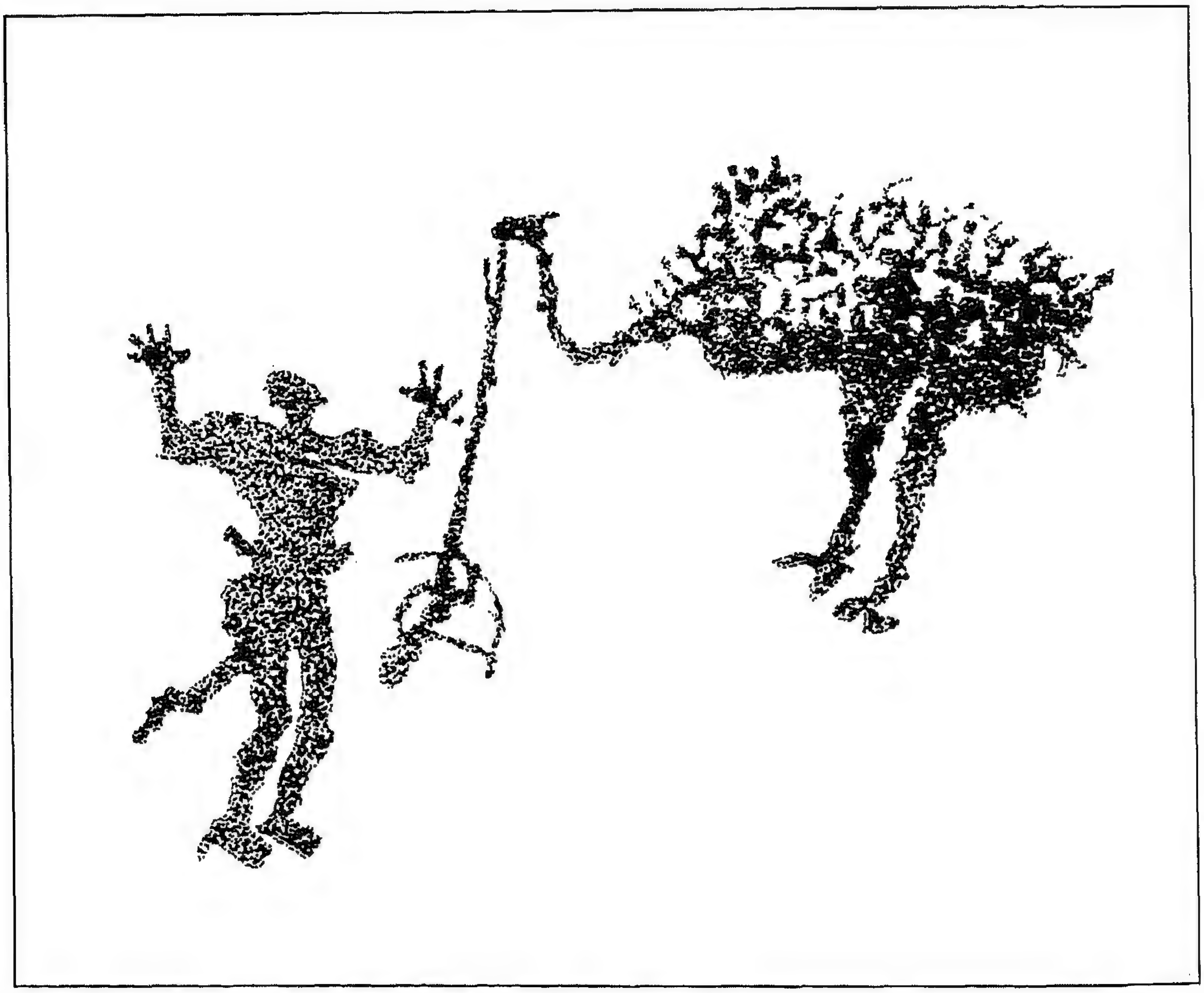


Fig. 4 : Trapped ostriches, Kingdom of Saudi Arabia. (After Nayeem 1995).



Fig. 3 : Hunting ostriches with spears. West of Najd Sahi, Kingdom of Saudi Arabia. (After Anati 1968).

Ostrich hunting methods are also traceable in several reports from various parts of the world. One of the earliest reports is made be Strabo the Greek geographer (63 BC -AD 19). He reported on a tribe in Ethiopia, the Struthophagi, "Bird-eaters," who hunt a bird of the size of a deer. The classical writer also mentioned that some of these people hunt this bird with bows and arrows, and others disguise themselves in ostrich skin with feathers to be able to get close enough to the ostriches and kill them with cudgels (Strabo 1917-32: 1,2). In South Africa another method is used by the natives: they hide themselves in a hole close to an ostrich nest and stick an ostrich hide up on a pole to fool another ostrich. Other tribes are reported to have used tame ostriches and await wild ones to approach them and then shoot them with poisoned arrows (Laufer 1926: 22). In Somali, the Migdan tribe poisons wild figs (part of the ostrich's diet) and spread them where ostriches feed (Laufer 1926: 22). Furthermore, it is known that horsemen on the borders of the western Sudan and the Sahara chase ostriches until the birds are exhausted and easily fall into their hands (Lewicki 1974: 94). Elderly people also informed the author about the nature of the traditional techniques of ostrich hunting in the Sitat River and the Blue Nile regions in the Sudan. They claim that ostriches are fast and clever enough to take advantage of the rough terrain and thorny bushes in order to escape their pursuers. Until recent times, horsemen and camel riders were compelled to exhaust and thus run down ostriches by using maneuvering tactics to relieve one another in the uninterrupted chase.

What is interesting in this context is the ostrich hunting in the Arabian Peninsula. As has previously been mentioned, the ostrich is widely reported in pre-Islamic and early Islamic poetry. Arabic poetry testifies to the great popularity this bird has acquired. Yet, the corpus of Arabic poetry contains no detailed description of the ostrich hunt that can reveal the methods and techniques of pursuing this bird. Nonetheless, it is evident that Arab horsemen in hunting ostriches arrange themselves in relays to be able to overtake ostriches (Laufer 1926: 14). Moreover, the introduction of the horse as a new element in the ostrich hunt is certainly a subsequent devel-

etarian and these nomadic movements are in fact geared to the potentiality of pasture across the seasons.

The Ostrich Hunt

In Central Arabia, pictorial evidence of early ostrich hunt is easily traced in the corpus of rock art. Ostriches are frequently depicted on the rock of Saudi Arabia and over different phases and periods. They are depicted in association with man in hunting scenes and also portrayed independently (Fig. 2). Some scenes portray the hunting of ostriches with spears on foot (cf. Anati 1968: plate XL-a-figs 84-a) (Fig. 3). Ostriches are also depicted trapped (cf. Nayeem 1995: Fig. 52: 4) (Fig. 4). Other engravings are recorded near Dahthami well, 50 km. North of Bisha (Anati 1972: fig. 12 [B7-R. 15.05]). According to Anati (1972: 47-48), this engraving seems to be a hunting scene. It presents four horse-riders surrounding an ostrich. Again, another rock scene portrays a man on horse back with a spear chasing three ostriches. This scene is associated with inscriptions and attributed to the Iron Age (Khan 1993: Plate 71: fig. 507). Anati (1974: 250) concludes that ostriches are consistently depicted in the rock art of Central Arabia especially in later periods. He (*ibid.*) also points out that these birds are rarely engraved during earlier periods.

Other early pictorial evidence of early ostrich hunt is provided by African rock art. The corpus of its rock scenes has proved to be revealing and meaningful for the understanding of the early conditions that prevailed in the Nilo-Saharan region. In this region the ostrich has been expansively depicted and in an articulate and compelling fashion. In some scenes, it is depicted caught in traps or chased by hunting dogs or hunted by bow-men (cf. Allard-Huard 1993: Fig. 36 scene 9-14; Fig. 48 scene 9-11 & 13; Fig. 49 scene 2; Fig. 50 scene 8,13,14,16; Fig. 51 scene 21,24; Fig. 59 scene 4; Fig. 60e scene 5&8; Fig. 60f scene 1; Fig. 70 scene 6; Fig. 74 scene 2; Fig. 87 scene 2,5,7,8). This early African rock art is very informative when it comes to methods and techniques of ostrich hunting. A chronological sequence has been postulated to place these rock scenes within the dates of the Stone Age traditions.

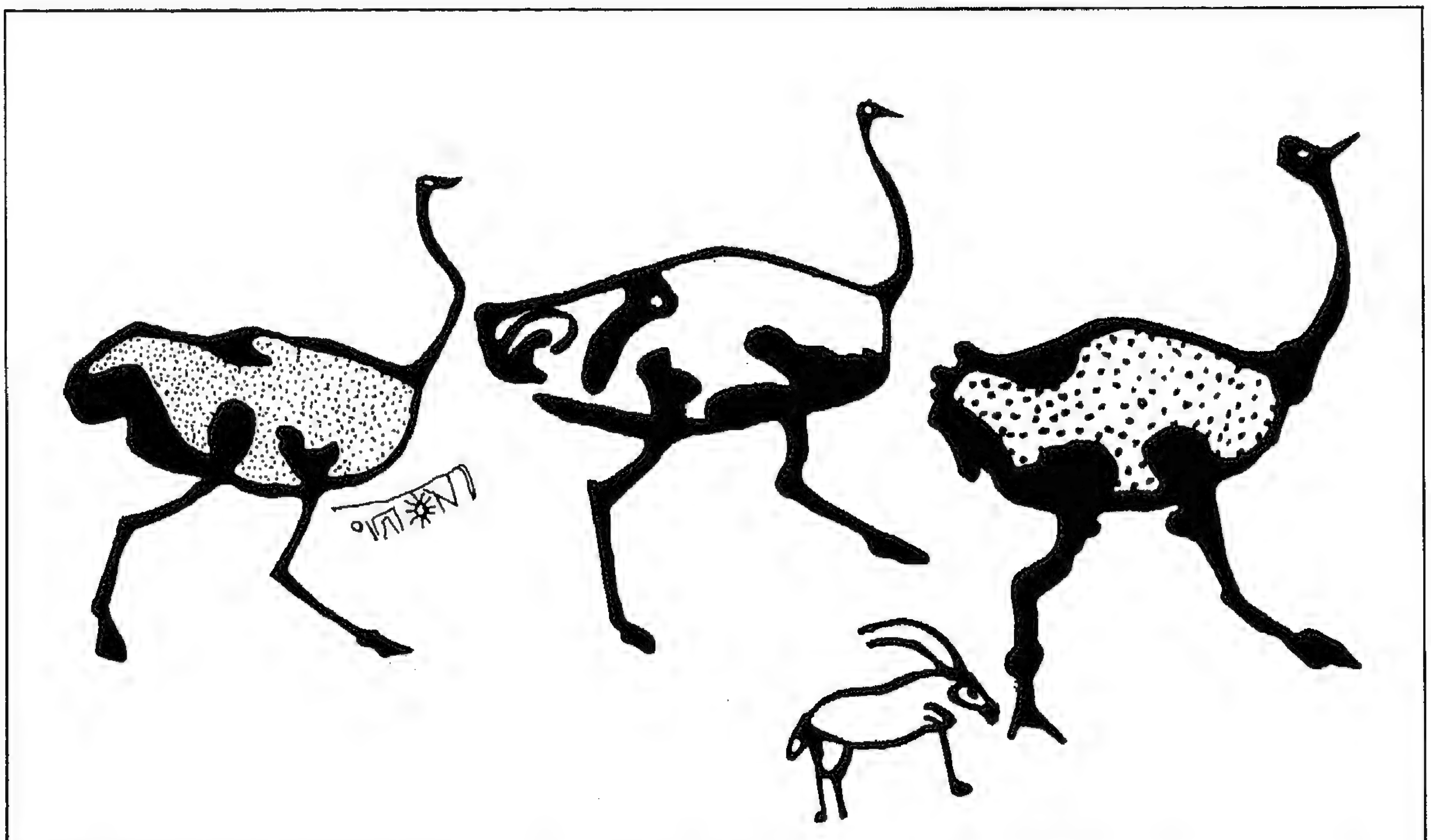


Fig. 2 : Three ostriches. The eastern side of Shaib Huqul, Kingdom of Saudi Arabia. (After Anati 1968).

about the eighth century BC. These seal-cylinders present ostriches with the gods Assur and Marduck (Laufer 1926: 7). Equally, ancient records inform us that the ostrich was a well-known bird to the ancient communities of this region. For instance, the ostrich is known in the Sumerian language as "gir - gide-da" which means "the long-legged bird," while in the Assyrian language it is known as "gamgam - mu" "the long-legged" (*ibid.*).The ostrich is also among the ave species exhibited by the rock art of Southern Yemen (Jung 1994), Oman (Preston 1976 & Jackli 1980) and Saudi Arabia (Anati 1968; 1972; 1974; Khan 1993; Nayeem 1995). This captivating bird occupied a considerable space in the Arabian poetry during pre-Islamic and post Islamic times. The corpus of early Arab poetry reveals a great deal of the ostrich's qualities in intelligent metaphors. The wide reference to the ostrich in poetry indicates genuine early Arab observation of this bird's qualities and behaviour. The ostrich's graceful walk, its speed and charm were highly appreciated qualities among the early Arabs. The behaviour of the ostrich was another quality early Arabic poetry took advantage of to show the ostrich's caution and protection of its clutch and chicks (Al-Qaysi 1982: 151-160). The legislation of Islam neither prohibits the ostrich hunt nor bans eating its meat (Al-Qur'an: surah Al Ma'idah: 1-4). The legislation recommends the method by which game is slaughtered according Islamic law. This clearly shows that the ostrich was familiar to the early inhabitants of the Arabian Peninsula, although this does not necessarily mean it was widely hunted or its meat was frequently eaten. Being such a well-liked bird for its qualities may not competely exclude the fact that ostriches had a restricted geographical distribution in the Arabian region. In other words, it is quite possible that the ostrich did not inhabit every part of the Arabian Peninsula and had a low population density. This might have made the qualities of the ostrich not only more appreciated in this region but widely visible metaphors in the poetry of the early inhabitants of Arabia.

In zoogeographical terms, ostriches are indigenous species of the Ethiopian region that covers the African continent south of the Atlas Mountains and the Sahara, including the southern parts of the Arabian Peninsula. They are exclusive to the Ethiopian fauna of that particular region. (Illies 1974: 64, 65 & George 1962: 24, 27). Although ostriches had a wide geographical distribution that extended over two continents in the past, now their habitat is limited to the African continent. In earlier times, the Arabian ostrich *S. c. syriacus* was found in the Arabian Peninsula, but it became extinct by the 1960s (Laufer 1926: 13), (Siegfried 1984: 365). In Oman, *S. c. syriacus* was also present and breeding until it was exterminated in the 1930s (Gallagher and Woodcock 1994: 40). This subspecies of the largest living bird was distinguished by its smaller size when compared with its African counterparts (Fuller 1987: 17). Yet, it remains uncertain if there were phylogenetic relationships between ostriches and other avian species (Siegfried 1984: 364).

Ostriches have a very characteristic habitat. They usually inhabit an open arid country of scattered acacia trees and semi-desert shrubberies and bushes. A full-grown male ostrich can weigh between 110-130 kilograms and may stand up to 2.2 meters in height; the female is relatively smaller (Siegfried 1984: 364). At the age of two years, a male attains his black and white adult plumage. Breeding varies in response to the conditions of the habitat, especially since ostriches are irregular opportunists in arid conditions (Siegfried 1984: 364-6). Ostriches are also known as nomadic birds that travel in search of pasture and water in flocks of 20-30 birds. They coutiously avoid dense forests and swamps and prefer open plain where they can spot and flee predators. Like other birds of arid ecosystems, ostriches have irregular nomadic movements. These movements are usually unpredictable and do not necessarily take place every year. Therefore, these movements are not true migration, but nomadic movements (Brown et. al. 1982: 34). Ostriches are exclusively veg-

tence, but also as a perstigious delight and a sport of amusement. At length, rock art imposes certain questions that add to the difficulties of this endeavour. Were ancient artists depicting actual scenes and events from their immediate environment or was it the work of their imagination or their memories? Answers to these and other questions cannot be gauged by our present methods and techniques of investigating rock art. Nonetheless, rock art remains a useful source of data that contributes effectively to our understanding of the human past. The study of rock art has also developed greatly in the last decades. It has shifted its focus-from the aesthetic and magic-religious significance to the classification of this art in terms of time and place and the relations among such art forms. In essence, rock art is no longer regarded as gradual accumulations of isolated pictures each created by the need of the moment (Leroi-Gourhan: 1979: 37).

The rock scene of Wadi As-Sahtan

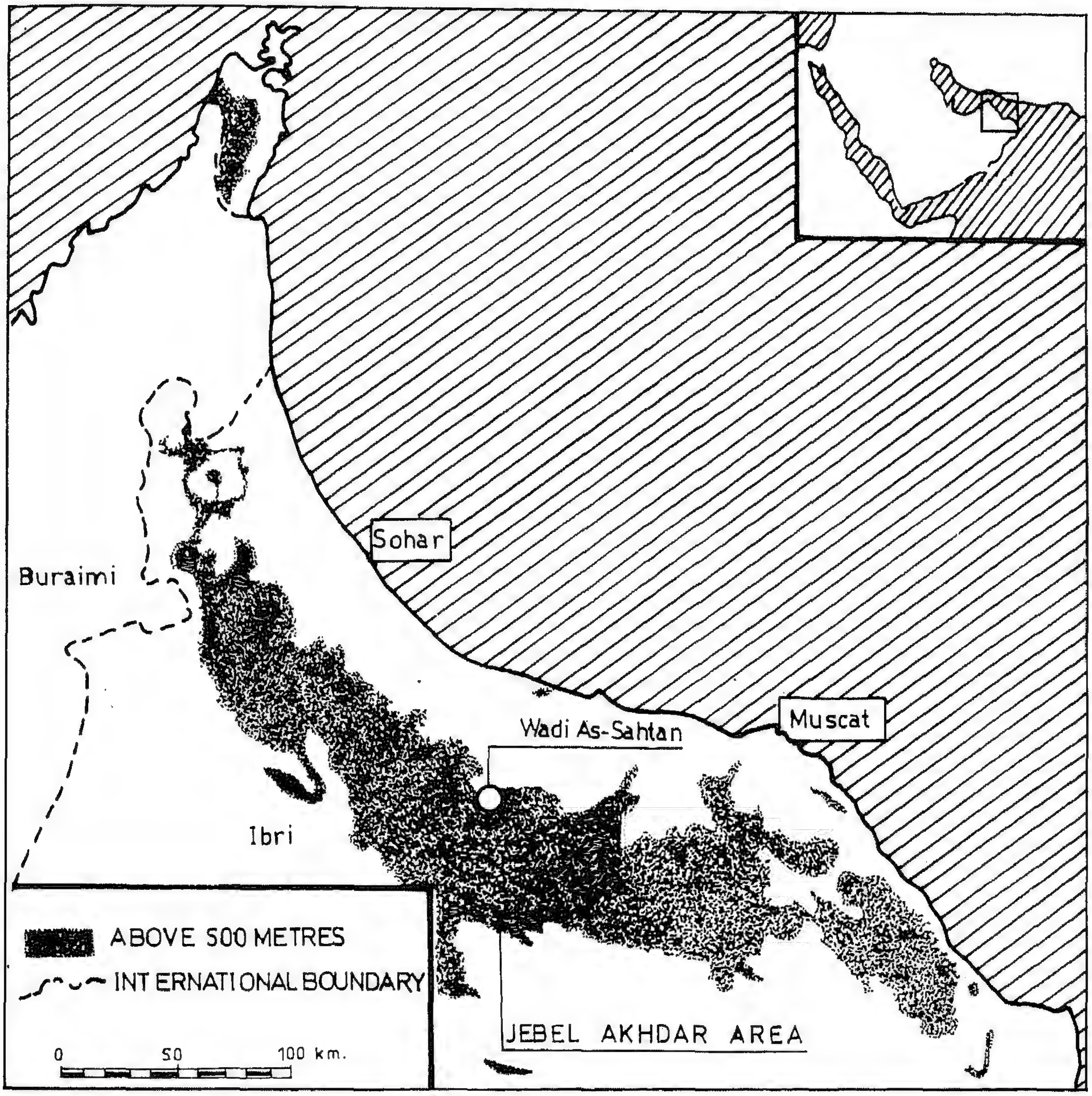
Wadi As-Sahtan, the setting of this rock scene is located in the Jabal Akhdar in Oman (cf. Map 1). The range of the Jabal Akhdar is very dense with limestone (Cretaceous limestone dated to the geological period 140- 100 million years) and erosion has scooped out the crest and created amphitheatres such as Wadi Mistal, and Wadi As-Sahtan. Major Wadis cutting magnificent gorges through the dense limestone (Petroleum Development Oman: 1990) drain these localities. This interaction has created favourable areas for human settlements and smooth walls n the limestone. The sandstone equally proved suitable for rock drawing and particularly for the "pecking" technique, which is very common in the rock art of northern Oman.

The reported evidence of the ostrich in the rock art of Oman comes from Wadi Sahtan (Fig. 1) in the Jabal Akhdar (Map 1) (Clarke 1975: 114), (Jackli 1980 & an unpublished report). In this scene, three birds are presented in association with three other figures of a horseman, a camel rider, and a man on foot. The anthropomorphic figures are in a position with their backs to the ostriches. In other words, they are not facing the same directions. This is a position that can easily argue against a scene of pursuance and hunting. Nonetheless, this scene deserves further examination in order to understand the possible objectives of this delineation. For this reason, a rock scene will be viewed as one single representation (a snapshot) of a wider and an inclusive activity.

The rock scene's very entity presents particular themes. The concept of viewing rock scenes as snapshots is introduced as a possible attempt to comprehend the meaning and the themes of this ancient art form (ElMahi 2000). The idea is simple; it regards rock scenes as a series of snapshots. In essence, a rock scene presenting certain figures can be one single snapshot of a series of snapshots, which actually form the main theme of a particular activity that the artist had in mind when he/she depicted the scene. In other words, the ancient artist had chosen to depict a ertain moment of activity from a wider temporally extended activity. On that account, it is important to focus on the essential quality (the moment of activity depicted by the artist) of rock scenes that convenes beyond the mere graphic delineation and aesthetic property (ElMahi *ibid.*). Accordingly, it would be useful to view the earliest evidence of ostriches, their ecology, habitat and behaviour in order to furnish this attempt with the adequate knowledge.

The ostrich struthio camelus

Throughout time, the ostrich has always captured the interest and fantasy of man. The Greek comedian Aristophanes (415 BC) described the ostrich as a bird of awesome stature, a fearful and the enormous creature and the largest of all things that fly (cf. Laufer 1926). Early evidence of ostriches in the ancient Middle East comes from various sources. The Old Testament contains one of the earliest records that frequently mentioned the ostrich: The Book of Job (xxx, 29 & xxxi 13-18), Micah (I, 8), and Isaiah (xxxiv, 13 & xii, 21). The same region yielded Assyrian seal-cylinders dating to



Map 1 : Wadi As-Sahtan

ments in the rock art of Oman. Among these difficulties is the scarcity of osteological evidence of the animals depicted in the rock art of Oman. The association between the rock scenes of animals and faunal remains in the archaeological context is hampered by the partially limited available knowledge about the prehistory of Oman. For instance, the Neolithic tradition as a crucial phase of technical and socio-economic development and man / animal relationship evolvement is not fully comprehended. Moreover, the history of wildlife and domestic animals in Oman is not thoroughly grasped. It has been upheld that the history of wildlife and domesticates is a valuable furtherance of understanding the cultural ecology of human societies and the characteristics of the environment and landscape (ElMahi 1994). Furthermore, in the absence of an unfailing method of dating rock art, scenes of hunting cannot be assigned with confidence to any particular period in the history of a country simply because hunting has survived in the course of time in many societies. Hunting has endured not only as an act of subsis-

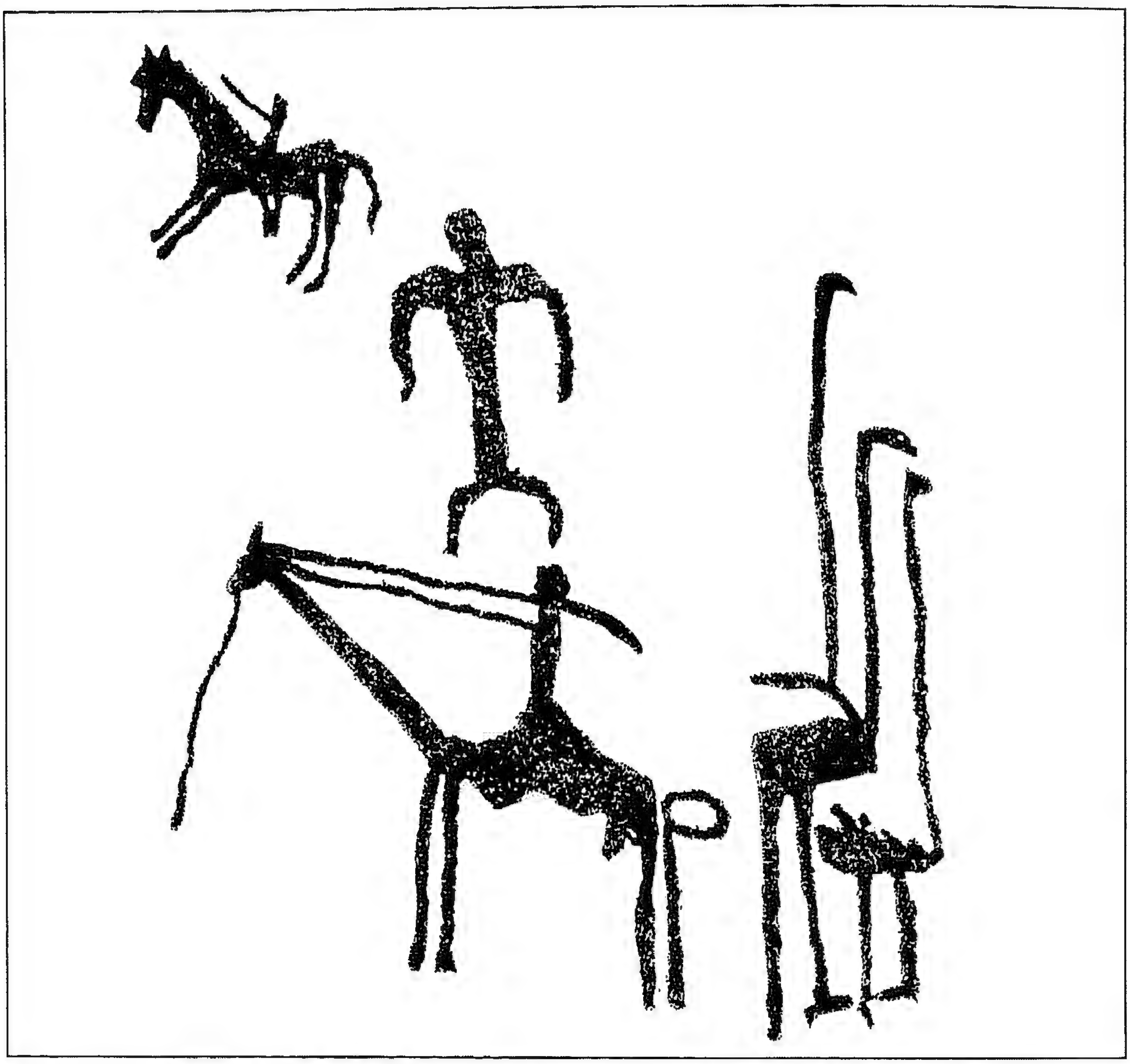


Fig. 1 : Ostriches in a rock scene from Wadi As-Sahtan, Sultanate of Oman. (After Clarke 1975 and Jackli 1980)

would be most useful in context to review the difficulties that usually impede any study of faunal elements in rock art.

Difficulties of faunal elements in rock art

Certain problems haunt this valuable source of information. Some of these problems are in essence related to rock art as a source of information and others are of a regional nature or geographical provenance. Nonetheless, one of the outstanding problems of rock art is the dating of scenes to an absolute chronology. Currently, the rock art of Oman stands in need of detailed and systematic studies of documentation and conservation. The study and the detailed mapping of the geographical distribution of this art form in the country also remain to be an urgent necessity. In this line, few studies have been undertaken. The work of Preston (1979), Clarke (1975), Jackli (1980; unpublished report), Al-Shahri (1994), and ElMahi (2000 & in press) are the only efforts that address the rock art of Oman. It is to be acknowledged that there are numerous undocumented rock scenes in the country. The absence of these basics is responsible for our limited knowledge not only of this crucial source of data but also of an ancient intellectual expression of technical skill and aesthetics.

In addition, there are certain difficulties usually encountered in studying faunal ele-

The Ostrich in the Rock Art of Oman

Ali Tigani ElMahi

Abstract. Up to the present, efforts of recording rock art in Oman have succeeded in reporting one single rock scene of the ostrich Struthio camelus from Wadi Sahtan in the Jabal Akhdar. This paper is an attempt to examine and look into this rock scene that presents one species of the ave fauna of Oman and the records of this bird in the rock art of the Arabian Peninsula and North Africa. Interpretations of rock scenes have always been tediously difficult and disputable. Therefore, the paper looks at rock scenes as a series of snapshots. It is assumed that a rock scene presenting certain figures can possibly be one single snapshot of a series of snapshots, which actually form the main theme of a particular activity that the artist had in mind when he / she depicted the scene. It is also believed that the artists usually chose to depict a certain moment of activity from a wider temporally extended activity. Aided by the traditional techniques of hunting ostrich and the abilities of the ostrich to evade its enemies the paper concludes with an analogical interpretation and argues that this scene is an ostrich hunt.

Introduction

The quiescene of rock art has always accommodated the eloquent and fascinating quintessence of human experience and endurance. Rock art has been an ancient unequivocal intellectual expression of technical skill and aesthetics. The ancient form of art has unceasingly communicated allusions and subliminal images of the past to the scholarly interest and scrutiny of archaeologists, anthropologists, artists, and historians. The mere graphic delineation of this ancient art has illuminated persuasively certain traits of the biotic palaeo-environmental conditions, socio-economics, technology and the spiritual beliefs of early human organizations. Equally, rock art has raised more frustrating queries and unanswered paradoxes. The current limited comprehension of the cultural values, impetus and motives of those who depicted their art, ideas and concepts on the rock surface cause this state of uncertainty. Therefore, to outline the reason and the meanings of rock scenes is notoriously difficult.

The Sultanate of Oman has a remarkable wealth of rock art distributed over the area of the North Mountains in the country and the Southern Mountains of Dhofar. Initiatory explorations indicate a diversity of subjects illustrating human figures, animals, boats and cultural symbols. Although the rock art of Oman depicts a wide range of faunal elements, bird species are exceptionally rare. At the present, the whole corpus of the rock art of Oman grants one single rock scene in which the ostrich *Struthio camelus* is categorically presented (Fig. 1) Jackli (1980: fig. 31). The rock scene comes from Wadi Sahtan in the Jabal Akhdar in Oman (Map 1). This paper is an attempt to examine and look into this rock scene that presents one species of the ave fauna of Oman. Interpretations of rock scenes have always been tediously difficult and disputable. Nonetheless, the paper aims to achieve an explanation for this rock scene. Aided by the traditional techniques of hunting ostrich, the paper concludes with an analogical interpretation and argues that this scene is an ostrich hunt. Ethnographic analogy has been acknowledged as an operative principle of archaeology and a corner stone in the archaeological reconstructive approach (cf. Barfield 1997: 156). Indeed, it seems that a considerable number of rock drawings cannot be thoroughly understood without a constructive analogical approach. However, it

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 15 - 26)

M. A Kelly and C. S. Larsen (ed), pp: 279-293. Wiley-Liss, New York.

Holland, T. D. and M. J. O'Brian 1997." Parasites, Porotic Hyperostosis and the Implications of Changing Perspectives", **American Antiquity** 62 (2): 183-193.

Klepinger, L. K. 1992. "Innovative Approaches to the Study of Past Human Health and Subsistence Strategies". In: **Skeletal Biology of Past Peoples: Research Methods**, S. R. Saunders and M. A. Katzenberg, M. A. (eds), pp: 121-130. Wiley-Liss, New York.

Lukacs, J. R. 1989. "Dental Paleopathology: Methods for Reconstructing Dietary Patterns". In: **Reconstruction of Life from the Skeleton**, M. Y. Iscan and K. R. Kennedy (eds), pp: 261-286. Alan R. Less, New York.

Martin, D. L., A. H. Goodman, G. J. Armelagos, and A. L. Magennis, 1991. **Black Anasazi Health: Reconstructing Life from Patterns of Death and Disease**. Carbondale Center for Archaeological Investigations, Illinois

Mays, S. 1998. **The Archaeology of Human Bones**. Routledge, London

Molnar, S. 1971. " Human Tooth Wear, Tooth Function and Cultural Variability", **American Journal of Physical Anthropology** 34: 175-190.

Potts, D. T. 1989. "Excavations at Tell Abraq, 1989",**Paleorient** 15/1: 269-271.

Potts, D. T. 1990. **The Arabian Gulf in Antiquity: From Prehistory to the Fall of the Archaemenid Empire,** Vol. I. Clarendon Press, Oxford.

Potts, D. T. 1990a. **A Prehistoric Mound in the Emirate of Umm al-Qaiwain, U.A.E.: Excavation at Tell Abraq in 1989**. Munksgaard, Copenhagen.

Potts, D. T. 1991. **Further Excavations at Tell Abraq: The 1990 Season**. Munksgaard, Copenhagen.

Potts, D. T. 1993. "Four Seasons of Excavation at Tell Abraq", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** 23: 117-126.

Potts, D. T. 1993a. "A New Bactrian Find from Southeastren Arabia", **Antiquity** 67: 591-6.

Potts, D. T. 1993b. "Rethinking Some Aspects of Trade in the Arabian Gulf", **World Archaeology** 24 (3): 423-440.

Potts, D. T. 1997. "Before the Emirates: An Archaeological and Historical Account of Developments in the Region c. 5000 BC to 676 AD". In: **Perspectives on the United Arab Emirates**, E. Ghareeb, and I. al Abed (eds), pp: 36-73. Trident Press, London

Roberts, C. and K. Manchester, 1995. **The Archaeology of Disease** (2nd ed). Cornell University Press, New York.

Smith, H. B. 1991. "Standards of Human Tooth Formation and Dental Age Assessment". In: **Advances in Dental Anthropology**, M. A. Kelley and C. S. Larsens (eds), pp: 143-168. New York, Wiley-Liss.

Smith, P. and B. Peretz, 1986. "Hypoplasia and Health Status: A Comparison of Two Life-Styles", **Human Evolution** 1: 535-544.

Stuart-Macadam, P. 1991. "Anaemia in Roman Britain: Poundbury Camp". In: **Health in Past Societies: Biocultural Interpretation of Human Skeletal Remains in Archaeological Contexts**, H. Bush and M. Zvelebil (eds), pp: 101-114. British Archaeological Reports, International Series 567, Oxford.

Walker, P. L. 1986. "Porotic Hyperostosis in a Marine-Dependent California Indian Population",**American Journal of Physical Anthropology** 69: 345-354.

Wilkinson, R. G. 1997. "Violence Against Women: Raiding and Abduction in Prehistoric Michigan". In: **Troubled Times: Violence and Warfare in the Past**, D. L. Martin and D. W. Frayer (eds), pp: 21-43. Gordon and Breach Publishers, Canada.

tant site for understanding human existence in the past in the Oman Peninsula. The discovery of 1059 has expanded further the interest of this site, providing insight into one young and relatively unhealthy individual.

Acknowledgements

Comments provided on drafts of this paper by Dan Potts and Tim Denham are most appreciated. Reponsibility for the content is however, my own.

Dr. Soren Blau **Department of Archaeology & Natural History, Research of Pacific & Asian Studies, Australian National University, A.C.T. 0200, Australia. soren@coombs.ana.edu.au.**

ملخّص : تعالج هذه الورقة مدفناً واحداً واضح المعالم، اكتشف في موقع "تل أبرق". ويصف البحث بنية القبر، ثم يعطي تقريراً مفصلاً عن عمر الشخص المدفون، وعن صحته وجنسه. وتظهر على الهيكل العظمي لهذا الجثمان (الذي قد يكون لامرأة شابة) آثار مرضية، من أهمها كسر في الجمجمة. وتوحي العلاقة المعمارية، بين المدفن وبرج القلعة، في تل أبرق، أن تاريخ الدفن يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. وبما أنه قد سبق بحث القبر الجماعي في موقع "أم النار" وتوصيفه، فان لوجود هذا القبر منفرداً – في هذا الموقع – أهمية خاصة.

Notes

1- The final recording of the fortification tower at Tell Abraq was undertaken by Anne-Marie Mortensen (Moesgard) who also discovered the burial described in this paper. I would like to thank Anne-Marie for inviting me to excavate and record this burial. Thanks to both Anne-Marie and Neils for their assistance in excavation.

2- See Potts 1990a: 22, for detailed plans of the foundations of the tower.

3- Two teeth, a left second and a left third maxillary molar were collected for DNA analysis.

References

Benton, J. N. forthcoming. **Excavations at Jabal al-Emaleh: A Third Millennium Site in the Emirate of Sharjah**. Turnhout, Brepols.

Blau, S. 1998. "Finally the skeleton: an analysis of archaeological human skeletal remains from the United Arab Emirates", ph.D. Dissertation, Department of Archaeology, The University of Sydney, Australia.

Bullion, S. K. 1986. "Information from Teeth on the Growth and Developmental History of individuals" . In: **Teeth and Anthropology**, E. Cruwys, and R. A. Foley (eds), pp: 133-136. Oxford, British Archaeological Reports, International Series 291.

Chamberlain A. 1994. **Human Remains**. British Museum Press, London.

Goodman, A. H., Martin, D. L. and Armelagos, G.J. 1984. "Indications of Stress from Bone and Teeth". In: **Paleopathology and the Origins of Agriculture**, M. N. Cohen and G. C. Armelagos, (eds), pp: 13-49. Academic Press,Orlando.

Goodman, A. H. and Rose, J. C.1991. "Dental Enamel Hypoplasias as Indicator of Nutritional Stress" In: **Advances in Dental Anthropology**,

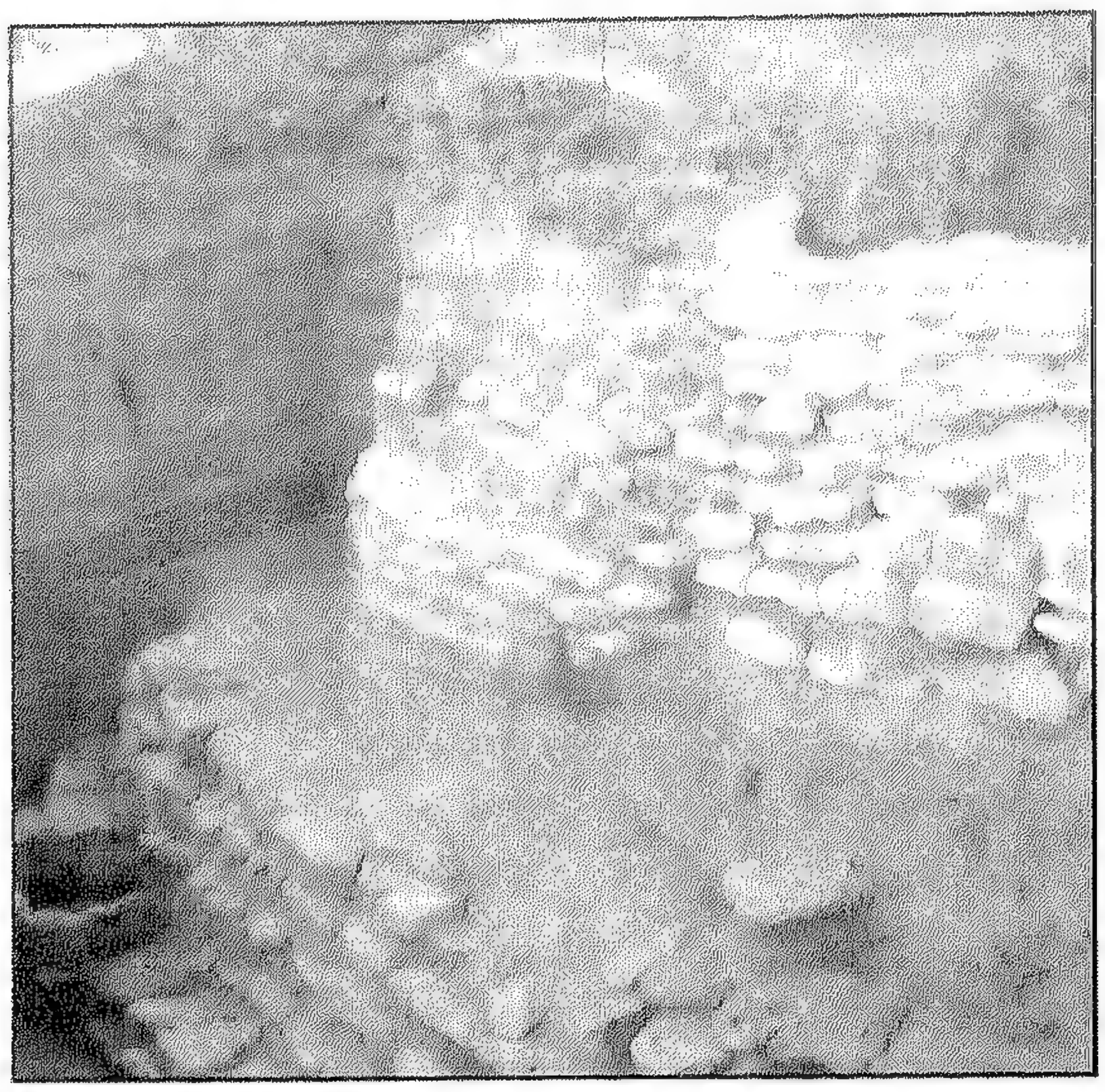


Fig. 8: View of third millennium BC tower (looking west) with locus 1059 built into the foundations of the wall.

erts and Manchester 1995: 166), and/or diseases such as gastro-intestinal or parasite infections (Mays 1998: 142; *cf.* Holland and O'Brian 1997; Walker 1986).

Studies have shown that in general, more cases of orbital lesions occurred in the Umm an-Nar period than the Wadi Suq period (Blau 1998: 266-267). The dietary stress experienced by the individual in 1059 perhaps accounts for the occurrence of non-specific infection, although such infection is considered typical of most prehistoric skeletal collections (Goodman *et al.* 1984: 32).

Although it is interesting that a relatively young individual showed evidence of joint disease in three different articulations, the deterioration of the joints was only minor, manifesting as pitting as opposed to osteophytes and/or eburnation.

The dental health of this individual appears to be typical of people who lived in the third millennium BC (Blau 1998: 245). That is, while the molar teeth showed some wear, the front teeth were relatively more worn and evidence of caries was common. While in general there was a decrease in the prevalence of enamel hypoplasia and wrinkled and / or pitted enamel between the third and second millennia BC, interestingly, specific site idiosyncrasies occurred. For example, individuals at Tell Abraq showed a higher frequency of enamel hypoplasia than individuals from other sites (Blau 1998: 247-248). The fact that the individual in 1059 was relatively young and already had evidence of five dental caries almost certainly suggests a high reliance on dates (Potts 1997: 47). The high prevalence of enamel hypoplasia also suggests an unbalanced diet.

The isolated occurrence of the cist burial 1059 is unusual because it provides a rare example of articulated skeletal remains, allowing detailed osteological analyses, so often limited in the UAE (Blau 1998). Further, the age of the grave, dating to the late third millennium BC, raises many questions about burial practices in the past: why was this individual singled out for an isolated burial when a communal burial dating to the same period was located only 10m to the west of the tower? Why was the cist grave attached to the tower and not built as a free standing structure?, and why were no grave goods included?

It is possible that both the relatively young age of the individual and the fact that she (?) suffered severe head trauma, in some way made the individual unique in the community. It is also possible to suggest that she (?) had high standing in the community and was therefore provided with her own resting place. While such an interpretation may call into question the lack of associated material culture, it is possible that grave goods were only included with older individuals. Alternatively, her age and cause of death (which can only ever be speculative), perhaps meant she was required to be set apart. It is interesting to note however, that an articulated female (also recovered in a crouched position but lying on the left side), of similar age (20 years old), and with possible poliomyelitis (a crippling disease which would also have inevitably set the individual apart), was not given a unique burial, but was recovered in the communal tomb (Potts 1997: 50).

Conclusion

Tell Abraq is unquestionably an impor-

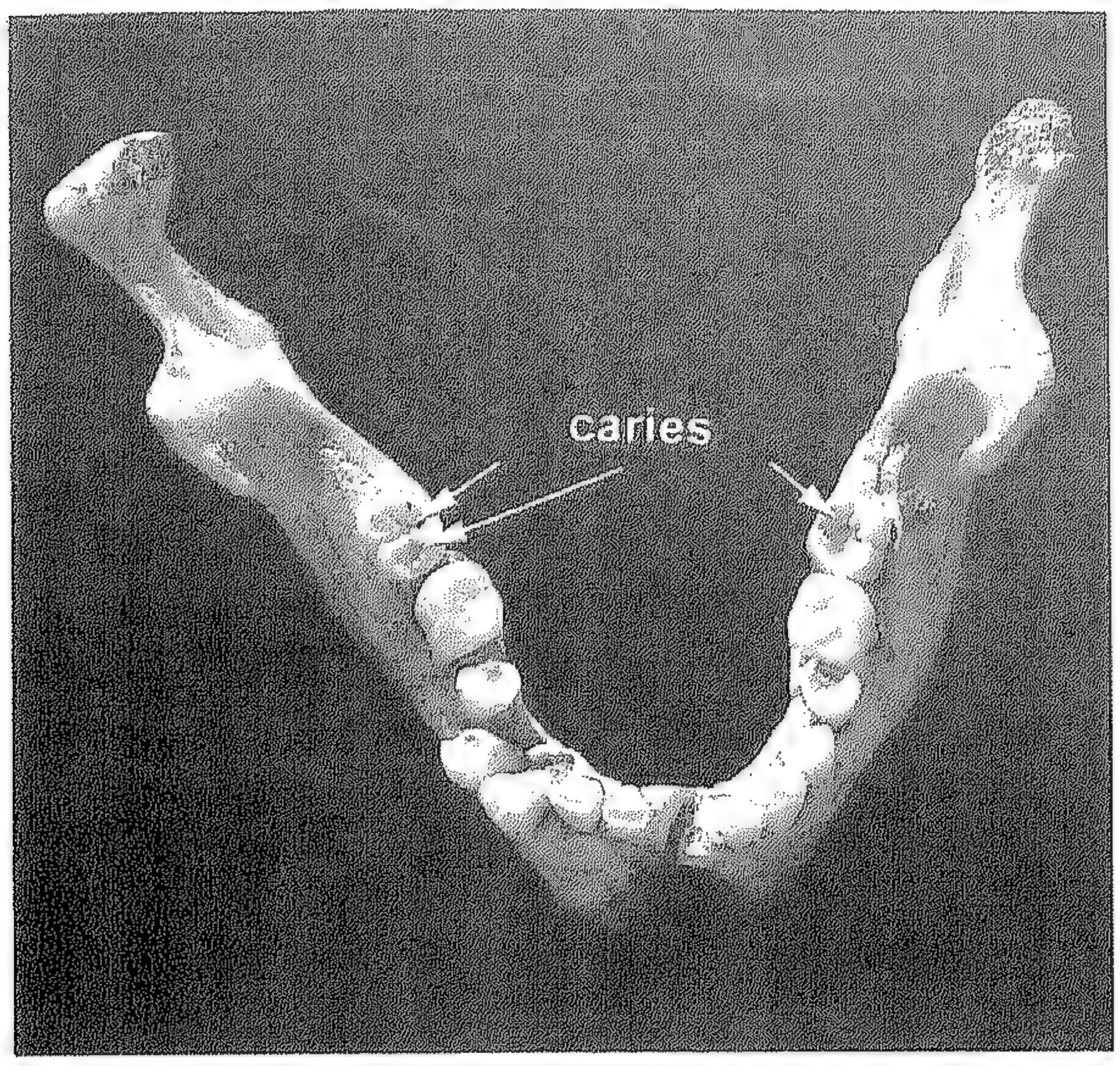


Fig. 6: Plan view of mandible showing example of dental wear and caries.

Material Culture

No grave goods were associated with this individual. The undisturbed state of the burial suggests the grave had not been robbed. The only items recovered from the fill of the burial were a number of date seeds.

Dating the Burial

Rectangular cist burials similar to 1059 have been recorded elsewhere in the UAE such as that associated with Tomb III, Jabal al-Emalah (Benton and Potts forthcoming: 23) (see Figure 1). While only unidentifiable bone fragments were recovered from the cist burial at Jabal al-Emalah, the discovery of two well-preserved bronze bracelets indicated that this grave dated to the Iron Age (*Ibid*: 23). Further, the cist burial at Jabal al-Emalah was obviously a later addition as evidenced by the way it abutted, rather than formed part of, the wall of Tomb III (which was dated to the early third millennium BC) (*Ibid*: 23). In contrast, the burial structure 1059 at Tell Abraq was clearly built as part of the foundation of the tower (Figure 8), and consequently cannot be much later than the tower itself dated to c. 2200 BC (Potts 1993: 118).

Discussion

The individual recovered form the cist burial showed signs of trauma, non-specific infection, slight joint and metabolic disease, and generally poor dental health. The depressed nature of the head trauma suggests that the injury was inflicted with a blunt instrument. If it can be accepted that 90% of the worlds' population are right handed, then the fact that the cranial injury occurred on the left side of the individuals cranium may indicate that the wound was a result of some kind of hand-to-hand fighting (Roberts and Manchester 1995: 80). This is an interesting interpretation given the relatively young age of the individual and the fact that the sex was estimated to be female.

The presence of enamel hypoplasia on the majority of teeth and the occurrence of cribra orbitalia in both the left and right orbits (although only slight), suggests that the individual was under some kind of systemic metabolic stress. While the exact aetiology of enamel hypoplasia is unknown (Skinner and Goodman 1992: 62), these enamel defects are often associated with dietary deficiencies (Goodman and Rose 1991: 281; Smith and Peretz 1986: 536; Bullion 1986: 133). Similarly, the skeletal changes associated with cribra orbitalia are indicative of a common form of anaemia caused by iron deficiency, also commonly associated with dietary changes (Klepinger 1992: 122; Rob-



Fig. 7: Left mandible showing lingual surfaces of dentition all exhibiting linear enamel hypoplasia.

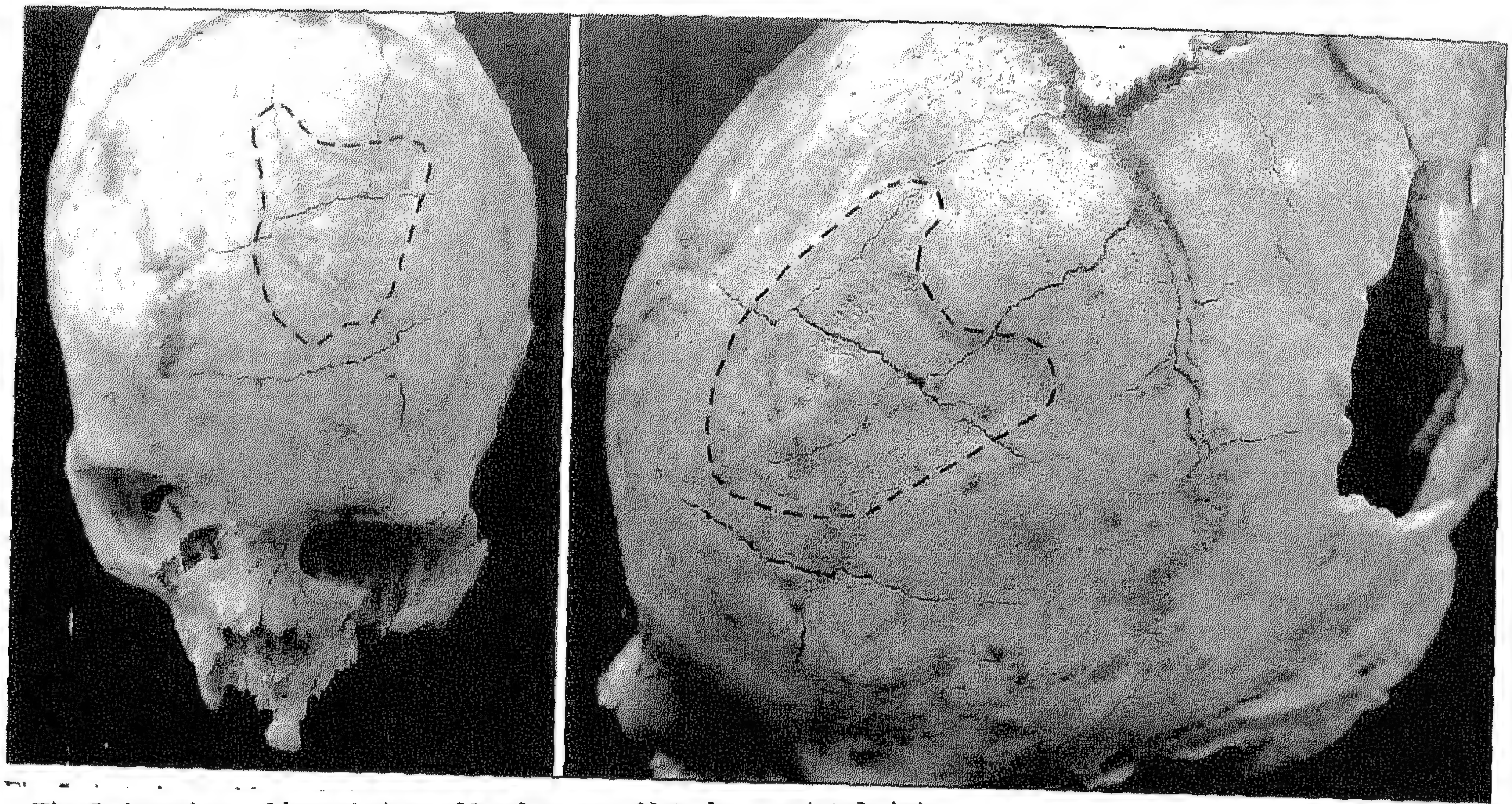


Fig. 5: Anterior and lateral views of head trauma. Note the associated pitting.

Metabolic Disease

Alterations in the form of scattered fine foramina were present in the left orbit. Large and small isolated foramina were present in the right orbit. Such lesions, although only moderate, are indicative of anaemia (Stuart-Macadam 1991: 109).

Joint Disease

Some kind of joint disease was indicated by pitting on the left radial tuberosity and the proximal articular sufrace of the right clavicle. The disorganised new bone on the distal articular surface of the left tibia was also indicative of joint disease.

Dental Disease

Dental attrition is not a disease in itself (Martin *et al.* 1991: 166; Molnar 1971: 175; Roberts and Manchester 1995: 52) and is often omitted from discussion of dental palaeopathology (see for example, Lukacs 1989). Studies of dental attrition (wear), however, provide information about aspects of prehistoric diet, including the types of food consumed as well as methods involved in processing food. Both the mandibular and the maxillary teeth were well preserved. In general, both the mandibular and maxillary front teeth, including the premolars, were noticeably more worn than the molar teeth. Wear predominantly occurred on the lingual surfaces of the teeth (Figure 6).

Although the molar teeth were relatively unworn, evidence of occlusal caries were recorded on both the maxillary and mandibular molars. These included a large carious lesion on the left second mandibular molar, two small lesions on the right second mandibular molar (Figure 6), a small lesion on the right first maxillary molar and a small lesion on the left first maxillary molar.

A defect in the enamel in the form of wrinkling and / or pitting was identified on seven teeth. These included the buccal surface of the right first and second mandibular premolars, the occlusal surface of the right second molar, the buccal surface of the left maxillary first premolar, the occlusal surface of the left maxillary second molar and the occlusal surfaces of the left and right third maxillary molars.

All mandibular teeth except the right first incisor, the second premolar and the first molar exhibited evidence of linear enamel hypoplasia (Figure 7). Only the right maxillary first incisor showed evidence of enamel hypoplasia.

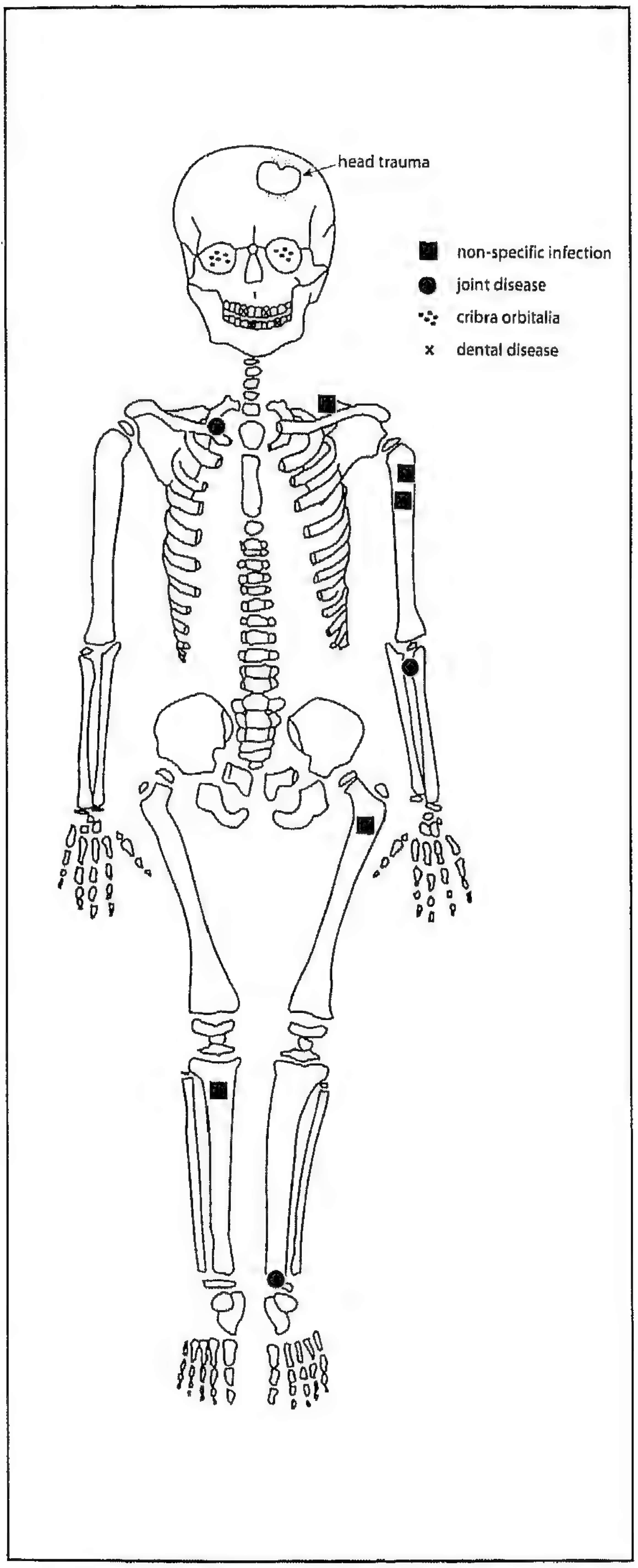


Fig. 4: Distribution of different pathological alterations throughout the body.

physeal surfaces and the examination of the dentition (Chamberlain 1994: 14-16) including the formation of crowns and roots, the eruption of teeth (Smith 1991: 143), and dental attrition (i.e. tooth wear). With the exception of the distal humeri, all long bone epiphyses were completely unfused. The mandibular third molars had not erupted and the maxillary third molars were just beginning to erupt. Such evidence suggests that the individual was approximately 18 years old. It is interesting to note that the individual exhibited dental wear (see below) suggestive of a significantly older person.

Sex Determination

Estimating the sex of an individual ideally requires the assessment of measurements of dimorphic dimensions as well as morphological features known to differ between males and females (Mays 1998: 33-42). An assessment of the morphology of the cranium and the pelvic region suggested that this individual was possibly female. Given that the individual was still developing and had therefore not reached full sexual maturity, such an assessment of sex can only be tentative.

An Assessment of Recorded Pathology

A number of different pathological alterations were identified on the skeleton (Figure 4).

Trauma

The most obvious pathological deformation was a head trauma, consisting of a large (ca. 28.72 x 34.81 mm) depression fracture with associated pitting on the middle to left side of the frontal bone, almost in line with the sagittal suture (Figure 5). No obvious endocranial damage to the frontal bone was identifiable. This is perhaps not unusual given "the frontal bone has twice the resistance strength of the parietals" (Wilkinson 1997: 32) Interestingly the left mastoid process was significantly longer (29.23 cm) than the right (25.36 cm). This has no known clinical significance.

Infection

New woven bone indicative of possible non-specific infection was recorded on two areas on the proximal anterior surface of the left humerus, the left acromion on the scapula, the right proximal anterior tibia, and on the posterior mid-shaft of the left femur.

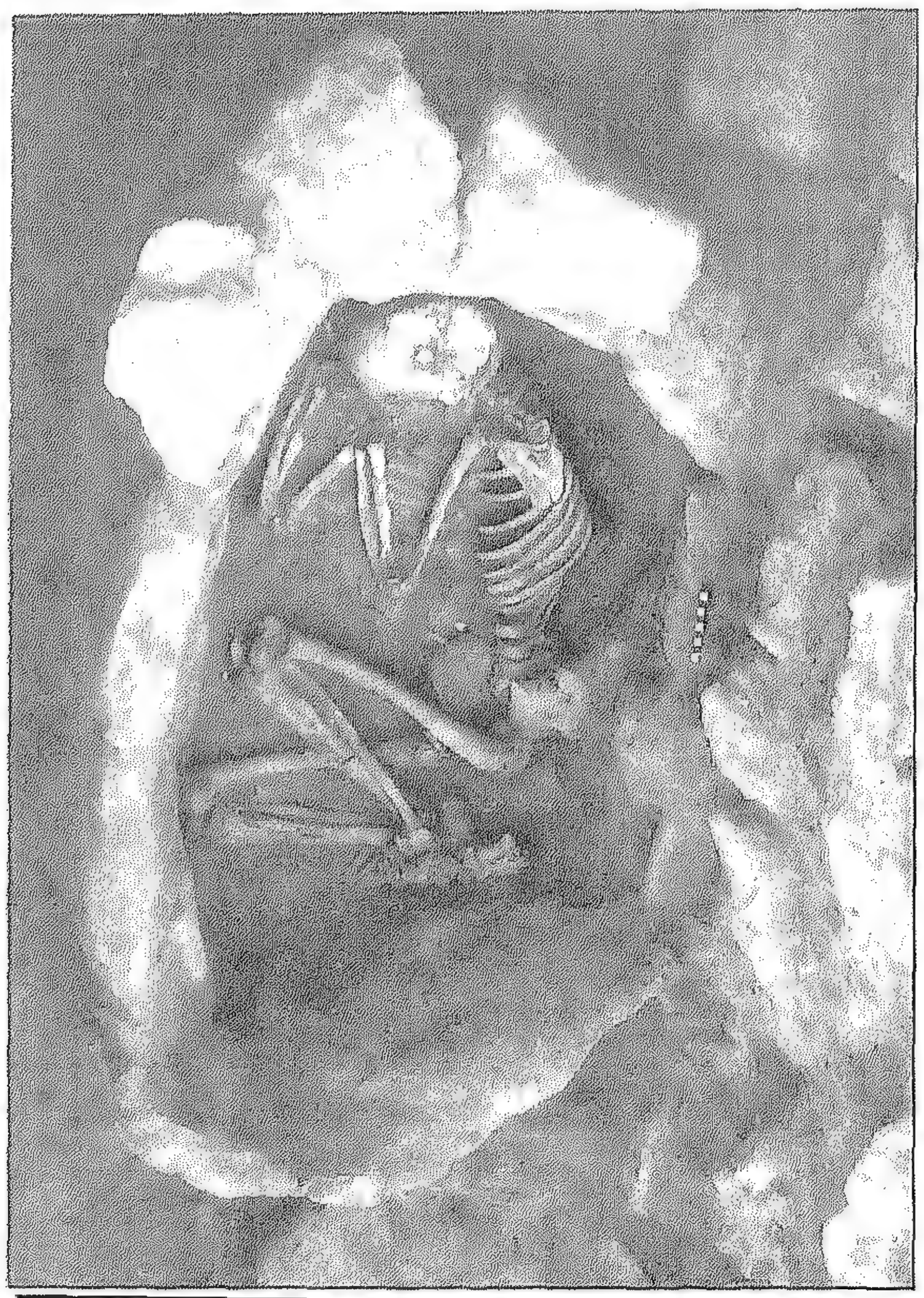


Fig. 2: Plan view of the burial structure.

The Skeletal Remains

Treatment of the Skeletal Remains

Paraloid B72 was applied as a consolidant to the majority of remains except those collected for DNA analysis [3]. Following photographic and descriptive documentation, the remains were lifted and packaged for further analysis. The sandy matrix around the burial was sieved using 5mm mesh to insure that no teeth or smaller bones were lost.

Assessment of Numbers of Individuals

One articulated individual was recovered lying on the base of the grave. Lying in a tightly flexed position, the person was positioned on the right side and orientated roughly north-south, with the face directed towards the west (Figure 3). Both hands were positioned underneath the chin. The chamber was excavated down to bedrock however no other evidence of human remains were recovered .

Bone Preservation and Completion

Although in-situ, the skeletal remains were fragile (partially due to the relatively young age of the individual - see below). There was evidence of fragmentation on some of the bones, for example, left parietal, left tibia and right radius, probably a result of a rock fall soon after initial burial. The majority of mandibular and maxillary teeth were found in situ, although the left mandibular first incisor, the left maxillary first and second premolar and the right maxillary second molar were lost post-mortem and the right maxillary first premolar was broken post-mortem. There was no evidence of burning or root and foliage disturbance.

Age Determination

The accepted methods of ageing an individual from skeletal remains include examination of the fusion of epiphyses (growth centres), the appearance of the pubic sym-



Fig. 3: The articulated individual in-situ in the burial structure.

Young and Alone: Discussion of an Articulated Third Millennium BC Burial at Tell Abraq, United Arab Emirates

Soren Blau

Abstract. *This paper describes a single articulated burial recoverd at the site of Tell Abraq. The grave architecture is described and followed by an in-depth report on the age, sex and health of the interred individual. The person (possibly female) was a young adult with a number of skeletal pathologies, most notably, a cranial depression fracture. The architectural relationship of the burial to the fortification tower at Tell Abraq suggests the burial dates to the third millennium BC. Given that a communal Umm an-Nar tomb has been previously recorded at the site, the presence of this single burial is significant.*

Introduction

The site of Tell Abraq is located on the west coast on the Oman Peninsula, on the border of the Emirates of Umm al-Qaiwain and Sharjah, United Arab Emirates (UAE) (Figure 1). The site consists of a roughly rectangular mound that covers approximately four hectares, with part of the mound rising 10 m above sea level (Potts 1993: 117). Excavations began at Tell Abraq in 1973; however, it was not until the late 1980's- early 1990's, that a wealth of information pertaining to settlement and burials was recovered (Potts 1989; 1990; 1990a; 1991; 1993; 1993a; 1997). Excavations have revealed a continuous sequence of occupation extending from the middle of the third millennium to the middle of the first millennium BC (Potts 1993b: 591). Of particular note are the 40m diameter, stone and mudbrick round structure described as a "fortification tower" (Potts 1990a: 22; Potts 1991: 21; Potts 1993b: 591) and the Umm an-Nar-type tomb located approximately 10m to the west of the tower (Potts 1989; 1997). This paper details one particular, previously unpublished burial (locus 1059), discovered during the final season of excavation at Tell Abraq.

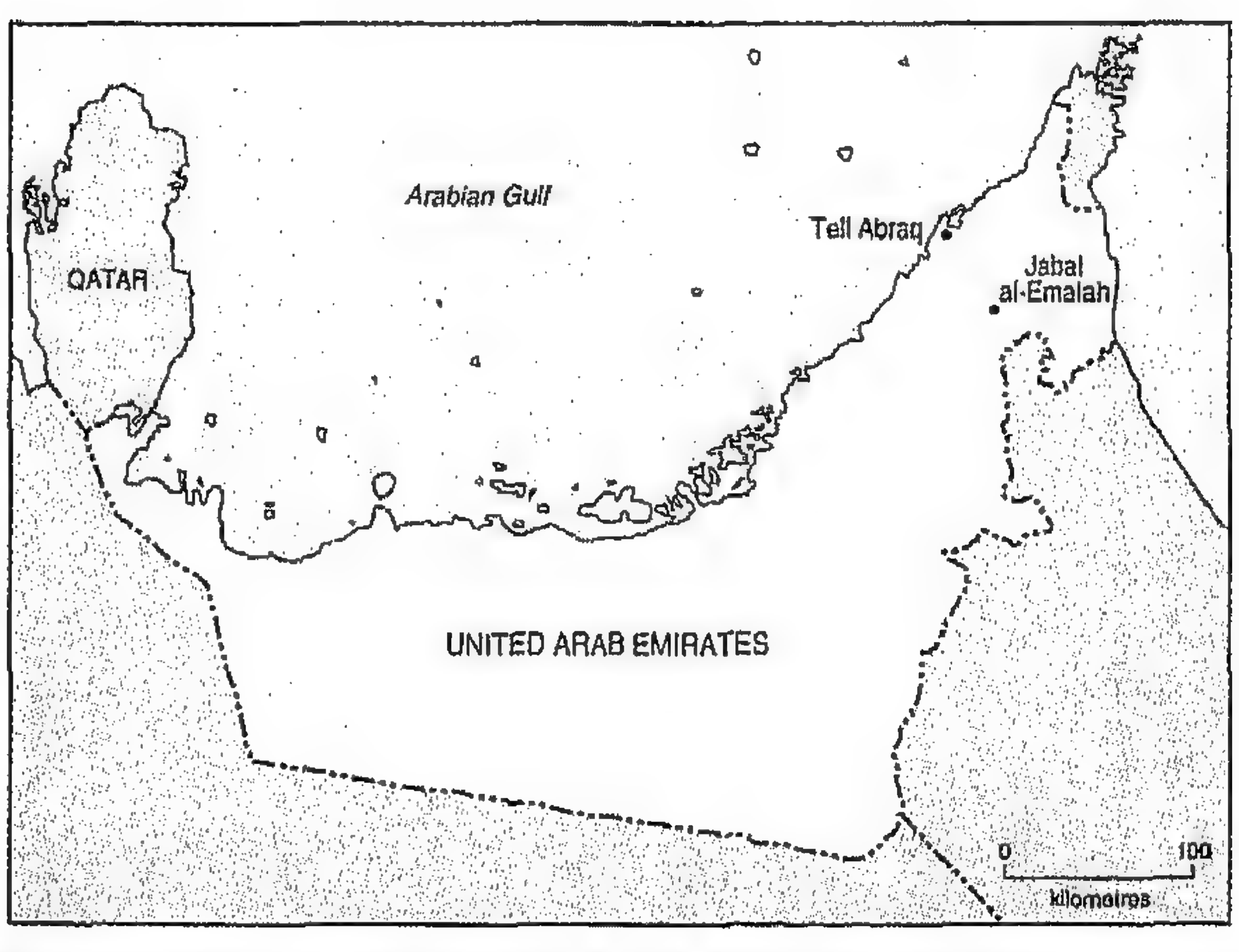


Fig. 1: Map of the United Arab Emirates showing sites mentioned in the text.

The Burial Structure

During the final days of recording at Tell Abraq in February 1998[1], a structure protruding from the foundation of the fortification tower was identified. The presence of human bones within the feature initially identified it as a burial. The burial structure is rectangular in shape, measuring about 46 cm (roughly east-west) and 142 cm deep (Figure 2). The walls are constructed out of irregular, unworked, *farush* blocks, (the same material as the tower), while the base of the grave consists of a densely packed surface of small *farush* "pebbles". The grave was constructed directly onto the natural sand ground surface and protruded from the north-west base, the lowest foundation step[2] of the tower. Apart from the absence of one *farush* block in the north-east corner, the grave is well preserved.

Issue No. 3 January 2001
ISSN: 1319-8947 (pp 7 - 14)

Studies of the Arabian Peninsula hosted in 1979 by King Saud University. Having then presented a paper on the pre-Islamic civilization of the Arabian Peninsula, he only showed how poor familiarity with the topic he had. In fact, his ignorance provoked the most acrimonious criticism of the audience, especially that of non-Arab scholars. He had to admit publicly on the spot to his utter ignorance of the history of the Arabian Peninsula and its civilization. He further promised to undertake, in the future, a more thorough study of the area, and apolgized for his position's serious limitations.

*****

This incident signifies one of two things: al-Salibi thought the quality of the forum would be way shy of what scholars are used to in the West, and thus took his contribution lightly, a disposition unbecoming of a scholar. Or he really had no idea about the history of the Arabian peninsula and only presented what he knew; this too is inappropriate for a scholar. Still, years later, he reappeared with this book. Strangely enough, the book was hailed and promoted by one of the most respected German journals, and then was translated into several hanguages. Should not we stop a moment to reflect on th matter?

*****

Since then , the author published other books with similar theses. Other similar books by other authors also appeared, among those is Muna Ziyăda's Bilqis in which she disseminated some of al-Salibi's claims and ideas. Again, al-Salibi's thesis made its way to Sayyad al-Qimeni to materialize in a number of books. The clearest point in those was al-Qimeni's attempt to reinterpret many of the theological facts and relate them to pre-Islamic paganism, especially his claim that the word Makkah was a late metamorphosis of Sabae's god Ilmaqah. Such a claim, of course, had tainting intent against monotheism.

*****

The crowning touch of sush activities is the London-based Egyptian who, from time to time, publishes works which hand in, on a golden plate, the ancient history of Egypt and its kings to those who allege that Jews have a right to Egypt's ancient civilization. He has maintained that some of Egypt's kings were Israelite prophets, a claim that has no substantiation in Torah or Quran (among holy books) nor in historical records discovered in archaeological sites in Egypt. Yet, his works too are translated into different languages, and Arab newspapers give his claims wide coverage. In his loose way, he even addressed the history and archaeological heritage of the Arabian peninsula only to have yoked together bits and piece that made no sense when read. His was only the scribble of the non-specialist who only harms for no profitable end.

*****

The band of darkness has thus quickened to squirt out its venom at a time when the Arab power is at its lowest. This sudden activity only diverts the attention of the people from what is important to what is trivial. I wonder: instead of insisting on the Arabian Peninsula origin of Abraham and Solomon among other prophets, why those researchers, being adroit polemicists and ingenious debaters, have not directed their energy to the refutation of the beliefs on which Israel has grounded its right to our land and the land of those prophets!

*****

Had those prophets actually come from the Arabian Peninsula, we would have been all the happier. However, confirmed facts (historical, archaeological, and religious) lend no credence, proof, nor authority to the course those researchers have been pursuing. Yet, is their adopted course preparing the region for catastrophes worse that what it is currently living? Such is the hope for the realization of which certain schemers are in hot pursuit. Should not Arab scholars then reconsider their indifference to what they have thought mere bubbles that would sooner or later disappear?

Editor-in-chief

the Arabian Peninsula: genealogies and lineage of the people, history of the people and the land, geographical locations and places, the literature of the area, critical editing of related manuscripts, etc. Through this magazine, Al-Jasser contributed immensely; he passed away (may God bless him), but the magazine is still young in her third blooming decade.

*****

It is perhaps noteworthy that his first book was about the city of Riyadh, but he sealed his life with another about al-Broud, the village in which he was born and in which he learned the alphabets of reading and writing. In this book, Al-Jasser talked in particular about his familial lineage and the genealogy of the tribe to which he belonged; namely, the tribe of Harab of which some two hundred years ago a branch moved to Najd from Al-Madinah Al-Munawarah. Of his scholarly work, Al-Madinah Al-Munawarah has also received a generous share.

*****

May God have mercy on Al-Jasser; he was an overflowing spring of fresh knowledge, and was altruistically generous. His home (dubbed the Arab Society) in Worwod neighborhood in Riyadh was the destination of men of letters who chanced to visit the Kingdom. Few indeed -if any- among those whose agenda of visits in Riyadh excluded a call on Hamad Al-Jasser.

*****

With his death we have lost a great figure who was perhaps the first to defend the Arabian Peninsula against the allegations advanced by Dr. Kamal al-Salibi in his book: "Torah Came from the Arabian Peninsula." In refuting al-Salibi's claims, Al-Jasser (May God bless him) appealed to incontrovertible historical, geographical and linguistic evidence. He never suspected that al-Salibi's claims would seep into the memory of Arab youths and become part of the discourse of their young generation-some, in fact, seem as if they had made a new discovery, or better yet: as if they had not read history. A few days ago, a young man from one of the Gulf States visited me; most of his questions about the Arabian Peninsula and about the characteristics of Torah embodied the claims of al-Salibi who forced and twisted these characteristics to lend support to his thesis.

*****

Throughout the discussion, I have noticed my interlocutor's deep absorption of al-Salibi's ideas such as the claim that prophet Abraham (Peace Be Upon Him) came from a certain area in the Arabian Peninsula, that he had never been to Iraq, that he had not passed through Palestine, that he had not visited Egypt nor married there. My visitor even asserted that Egypt was a certain place in the Northern part of the Arabian Peninsula, etc.

*****

The exposition of this youngster has reminded me of "a roundtable talk" aired recently on a sky channel committed to the Palestinian Cause. In the seminar, the participants took it for granted that prophet Abraham (Peace Be Upon Him) came from Asir in the Arabian Peninsula. From there, the prophet used to visit and return from Makkah, and so and so on forth marshalling the rest of the devious claims the seed of which al-Salibi had sowed.

*****

Unfortunately, ancient history scholars specializing in old civilizations of Mesopotamia, Syria and Egypt have paid no attention to the claims of al-Salibi. In these areas, the course of events (be they the finds of archaeological excavations or writ in holy books) run counter to his orientation the reasons behind which we have yet to discover. Al-Salibi had no knowledge whatsoever of the history of the Arabian Peninsula. This fact became more than obvious when he attended the Second International Forum on the

Editorial

Once again, here we are, dear readers, submitting to you the third volume of your Journal: *Adumatu*. Our commitment has always been that each issue embodies a bouquet of studies that are substantial in terms of erudition, rich in terms of content, methodological in terms of execution, and scholarly in terms of conclusions.

*****

We have no doubts that our objective has been achieved. Has it not? The standard by which we gauge this certainty is the extensive dissemination of the journal among its readers along with the wide ranging feed-back that we have received through various channels, of which the internet is perhaps the most important. Guests of our Internet site have multiplied; they seem to find a new fresh spring quenching the thirst of those who crave after Arab archaeological knowledge. As the saying goes, the pleasant water place invites the crowds.

*****

It was the midmorning of Thursday 16 Jumad II, 1421 H (14 Septembr 2000); we were a group of friends. A colleague suddenly arrived and asked: "have not you heard the latest news"? I thought the news had something to do with the Arab Cause, Palestine and its extraordinary Intifada. But he went on saying: "Al-Jasser has passed away in the USA." We were all stunned, and a deep silence reigned. He added, "His coffin will arrive tomorrow, Friday." Each of us said something relating to the sad occasion; then the group dispersed.

*****

His funeral was an overwhelming sight, attended by his immediate family members along with crowds of his friends and admirers. To witness a great man being buried in dust, yes in dust, is a harsh scene. His admirers and friends shed their tears, prayed for mercy and forgiveness for his soul, exchanged condolences, and parted. I remained for sometime contemplating this world. Al-Jasser had been a father to anyone having any kind of knowledge relating to the Arabian Peninsula: to him Al-Jasser would give advice, help, guidance, encouragement, recognition, and with him he would share his own ideas. Today Al-Jasser faces his Maker who granted him a long fruitful life, almost a full century.

*****

Through what had been repeatedly said about Shaikh Al-Jasser, one could surmise that he was born in the village of al-Broud in 1328 H. Should this date be accurate, he would have lived through the decade of his 90s, a long life during which God has blessed him with erudition and knowledge. Throughout almost half a century, Al-Jasser had fought for his education and learning; he sought his living in writing for newspapers and in criticizing published works and studies, thus establishing a scholarly dialogue with a number of learned intellectuals. Later, he began publishing his own original work, the first of which was *Riyadh through the Stages of History* in 1386H (1966). He was about 60 years old at that time. Since then he became a proliferate writer. He edited manuscripte and authored works covering the places in the Arabian Peninsula, authenticated scholarly expeditions in fields the most important of which was history, geographical places, biography, and literature (both poetry and prose). In all these areas, his work showed a strict, discriminating methodology.

*****

Earlier he fought a bitter battle to issue a journal entitled Al-Riyadh, then he founded al-Yamama Press Establishment, pioneering thereby the Press in Najd. He later inaugurated al-Yamama Magazine, and soon after he launched al-Arab Journal. The latter has been an encyclopedic magazine covering all aspects of

CONTENTS

ADVISORY BOARD

أدوماتو
Adumatu
A Semi-Annual Archaeological Refereed Journal on the Arab World

PUBLISHER

ABDUL RAHMAN AL-SUDAIRY FOUNDATION

GUIDELINES FOR AUTHORS

1. Submitted manuscripts must be written in Arabic or English and should be typed on A4 size paper, along with a 3.5 floppy disk typed on an IBM Compatible PC using Microsoft Word 6 or any updated version of it.
2. Two abstracts, one in Arabic and one in English, should be submitted; they should not exceed 100 words each.
3. Submitted manuscripts should not have been published previously elsewhere; accepted manuscripts cannot be published elsewhere without prior written permission from the Editorial Board.
4. The text should not exceed 5,000 words; photos, illustrations, and graphs ....etc. should not exceed 30% of the text.
5. Photos: B & W photos printed on glossy paper are preferred; they must be suitable for publication.
6. Maps, figures and illustrations should be drawn with China Ink on tracing paper, and their captions should be submitted on a separate sheet.
7. References should be ciled parenthetically as follows: (Owen 1998: 11).
8. Notes (Comments) should be arranged at the end of the text, followed by the bibliography which should be arranged alphabetically at the end of the text as follows:

   a) Books: Mauger, T. 1987. **Bedouins of Arabia.** Alsagi Bookshop, London.

   b) Edited Books: Goldberg, P. and Ian Whitbread 1993. "Micromorphological Study of a Bedouin Tent Floor". In: P. Goldberg, D. Nash and M. Petraglia (eds), **Formation Processes in Archaeological Context**, pp. 165-188. Monographs in World Archaeology No. 17, Prehistory Press.

   c) Journals: lewis, Roger 1993. "Paleolithic Paint Job" **Discorver**, 14 (7): 64-70.

   d) Dissertations: Al-Ghamedi, Abdul Kareem, 1983. "The Influence of the Environment on Pre-Islamic Socio-Economic Organizations in Southwestern Arabia", Ph.D Dissertation, Department of Anthropology, Arizona State University, Tempe, U.S.A.

9. Authors will be provided with twenty-five offprints and a copy of the journal, free of charge.
10. Submitted manuscripts will not be returned to their authors, whether published or not.
11. A brief c.v. and the present address of the author should accompany submitted manuscripts.

SUBSCRIPTION

(Two issues per annum, including mailing charges)

The Arab Warld

- Individuals SR 70
  Institutions SR 120

Rest of the World

- Individuals US$ 30
  Institutions US$ 40

Subscription Form can be found inside this issue.

CORRESPONDENCE ADDRESS

Adumatu Journal
P.O. Box 10071, Riyadh 11433
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: (+966) (1) 403 6780
403 4751
Tel: (+966) (1) 402 2545
Email: adumatu@suhuf.net.sa
WebSite: www.adumatu.com

Legal Deposit Number: 3719 / 20

ISSN: 1319-8947

Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation: Was established by Prince Abdul Rahman bin Ahmad Al-Sudairy, the Emir of Al-Jouf region from 5.9.1362H - 1.7.1410H / 4.9.1943 - 27.1.1990, for the purpose of managing and financing the public library, known as "Dar Al-Jouf Lil 'Ulum", which he has established in 1963, and contributing to the preservation of literary traditions and cultural heritage, and the support of the scientific development in Al-Jouf region, and other charitable activities. Abdul Rahman Al-Sudairy Foundation hopes that Adumatu Journal will contribute to the identification of, and shedding light upon the antiquities of Al-Jouf region, within the framework of its broader concern about the antiquities of the Arab World.

* **Cover Photo:** A Blate with painted decoration from Hejaz.